

في شبه الجزيرة العربية



الدكتور
حقي اسماعيل ابراهيم



بسم الله الرحمن الرحيم

أسواق العرب التجارية

في شبه الجزيرة العربية

رقم التصنيف: 956

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: 2002/1/127

المؤلف ومن هو في حكمه: حقي اسماعيل ابراهيم

عنوان الكتاب: اسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الاسلام

الموضوع الرئيسي: تاريخ العرب / التاريخ الاسلامي / الاسواق

بيانات النشر: دار الفكر – عمان

* تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2002- 1423



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري)- هاتف : ٤٦٢١٩٣٨

فاكس ٤٦٥٤٧٦١ ص.ب : ١٨٣٥٢٠ عمان ١١١١٨ الأردن

Tel: 4621938 Fax: 4654761

P.O Box: 183520 - Amman - 11118 Jordan

ISBN 9907-07-281-1 ردمك



الدكتور
حقي إسماعيل ابراهيم

الطبعة الأولى

1423 هـ - ٢٠٠٢م



الرموز والمصطلحات المستخدمة في الكتاب

الرمز	الكلمة المقابلة للرمز
ج	جزء
ق	قسم
ت	توفي
م	ميلادي
هـ	هجري
ط	الطبعة
بلا . ت	بلا تاريخ طبع
م . ن	المصدر نفسه

الفهرس

الفصل الثاني:

المقدمة

إن دراسة موضوع (أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية قبيل وفي صدر الإسلام) يشمل في أدق حلقاته وأهمها جانباً كبيراً من جوانب النشاط الاقتصادي للجزيرة، حيث تمثل التجارة إحدى هذه الحلقات الرئيسة التي اعتمد عليها الاقتصاد العربي آنذاك.

لقد استهوتني دراسة الحياة الاقتصادية في شبه جزيرة العرب لكونها دراسات جديدة لا زالت تحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي لإظهار جوانبها المضيئة.

إن تطور الحياة الاقتصادية يعد أساساً للتطور الحضاري ورقيه، ومن هنا جاء اختياري لهذا الموضوع رغبة مني للكشف عن أحد الجوانب المهمة للحياة الاقتصادية واستكمالاً للدراسات السابقة التي تناولت جوانب اقتصادية أخرى.

وقد اكتنفت هذا البحث صعوبات أهمها عدم وجود مصادر تناولت الحياة الاقتصادية في الحقبة التي تناولها هذا البحث، وهذا لايعني عدم وجود معلومات اقتصادية وإنما كانت متناثرة هنا وهناك بين الحوادث التاريخية والسياسية وفي الكتب الأدبية.

لقد حاولت في هذه الدراسة أن أقدم صورة واضحة للنشاط التجاري والأدبي والسياسي في أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام وصدره، وقد تجنبت الامتداد خارج هذه الحقبة الزمنية إلا في بعض الأحيان مضطراً، وحين يكون بتر الموضوع وعدم الرجوع إلى جذوره وامتداداته يسبب خللاً في منهج البحث.

لقد تركز بحثي هذا على الحقبة التي سبقت قيام الدولة العربية الإسلامية، وإن كنت قد تناولت الأسواق التجارية في بداية قيام الدولة تناولاً سريعاً، ذلك لأنه يعتبر امتداداً للحقبة التي سبقتها، علّي أجد بعض التطورات والتغييرات التي طرأت عليها.

وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول تناولت في الفصل الأول طرق المواصلات في شبه جزيرة العرب فقدمت في بدايته لمحة جغرافية سريعة لشبه جزيرة العرب شملت أقسامها الرئيسة وأهم مدنها والظروف المناخية فيها لكي تكون في صورة واضحة عن السبب الذي جعل التجارة تحتل مركز الصدارة في اقتصاد الجزيرة، ثم تحدثت عن أهم الطرق التي تربط بين أجزاء شبه جزيرة العرب وبينها وبين بلاد الشام ومصر والعراق، كما تحدثت عن الطرق

البحرية التي تربط الجزيرة العربية بالعالم الخارجي المتمثل آنذاك بالهند والصين، حيث تجارة البخور والعطور التي شكلت معظم تجارة العرب في تلك الحقبة.

وأما الفصل الثاني فقد تناولت فيه تعريفاً لكلمة السوق ثم تحدثت عن ممارسة العرب للتجارة واشتغال الرسول ﷺ وبعض الصحابة رضي الله عنهم فيها.

وأوردت نصوصاً كثيرة تحث على الكسب عن طريق التجارة، ثم استعرضت أسواق العرب المشهورة ومواقعها وأهم الأحداث التي جرت فيها قبيل الإسلام وفي صدره ونشاطها التجاري وتكلمت في نهاية الفصل عن الأسواق الدائمية التي أقيمت في الإسلام، واعتبرت سوق المدينة نموذجاً لبقية الأسواق، لعدم اتساع البحث للحديث عنها جميعاً.

وخصصت الفصل الثالث للسلع المتداولة في الأسواق بما فيها المنتجات الزراعية والحيوانية وأسهبت في الحديث عن المنتجات الصناعية لأنها كانت تشكل حجماً كبيراً من التجارة العربية آنذاك وأهمها المنسوجات، والأسلحة، والعطور والأصباغ.

وتحدثت في الفصل الرابع عن المعاملات التجارية في الأسواق التي شملت أنواع البيوع الشائعة قبل الإسلام والتي اعتبرها الإسلام فاسدة كبيع الملامسة والمنابذة وإلقاء الحجارة وغيرها، كما تحدثت فيه عن النقود التي كان يتعامل بها الناس كالنقود الفضية والذهبية وأسعار صرفها وعن الصكوك والسفاتج والاحتكار علاقته بالأسعار.

أما الفصل الأخير فقد شمل أنشطة الأسواق في مجالات غير تجارية كالنشاط الثقافي والأدبي والديني، وتناولت في النشاط السياسي والاجتماعي الأمن ودوره في تنشيط التجارة، وعن حرب الفجار وتأثيرها على الاقتصاد وعن حلف الفضول ومؤثراته الاقتصادية، وعن أثر الإيلاف في ازدهار التجارة، وعن الرفادة والسقاية، والنشاط السياسي للأسواق في الإسلام الذي تمثل بدعوة الرسول ﷺ للقبائل العربية للاستجابة للدين الجديد.

وثمة أنشطة مختلفة لا يمكن وضعها تحت أي من العناوين السابقة فارتأيت أن أضعها في نهاية هذا الفصل.

وقد استخدمت مصادر عديدة ومتنوعة، وبعد تحليلها أمراً مكرراً وبما أنني استقيت معلومات هذا البحث من مصادر متنوعة، لذا سأكتفي بذكر أهمها وهي:-

كتاب «المناسك وأماكن طرق الحج» للحربي الذي احتوى على معلومات وافية عن جغرافية شبه جزيرة العرب وبخاصة طرق المواصلات التي تربط أجزائها وبينها وبين العالم الخارجي.

واعتمدت أيضاً على كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة، وكتاب «نبذة من كتاب الخراج» لقدامة بن جعفر، و«الأعلاق النفيسة» لابن رسته، وكتاب «مختصر كتاب البلدان» لابن الفقيه، وكتاب «البلدان» لليعقوبي، إذ وجدت في هذه الكتب طرق المواصلات البرية في شبه جزيرة العرب. وقد تميز كتاب ابن خرداذبة أعلاه بأنه قدم وصفاً للطريق البحري الذي يربط بلاد العرب بالهند والصين فضلاً عن ما قدمه السيرافي في كتابه «رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان واندونيسيا» في هذا المجال.

واستفدت من كتاب «صفة جزيرة العرب» لابن الحائك الهمداني الذي عرض فيه وصفاً دقيقاً للطريق الذي يربط اليمن بالحجاز مع ذكر مقدار المسافات بين محطة وأخرى فضلاً عن معلومات كثيرة عن أسواق العرب وبالأخص أسواق اليمن سواء كانت الموسمية أم الدائمية.

وقد حصلت على معلومات وافية من كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي عن الأسواق وبعض أنشطتها فضلاً عن المعلومات الجغرافية.

ويأتي كتاب «المحبر» لابن حبيب في مقدمة الكتب التي أمدت البحث بمعلومات مركزة عن أسواق العرب الموسمية المشهورة ووقت قيامها، وانفضاضها، وعشورها، وطرق البيع فيها، كما وجدت في كتابه «المنمق» أخبار عن أحوال قريش التجارية والسياسية والاجتماعية بما له علاقة بموضوعات شتى في البحث.

أما كتاب « الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي فبالرغم من أنه نقل عن ابن حبيب كل ما هو موجود في المحبر عن أسواق العرب، إلا أنه أضاف معلومات أغنت البحث وخاصة عن أسواق الحجاز كعكاظ ومجنة وذي المجاز.

كما تحدث اليعقوبي في كتابه «تاريخ اليعقوبي» والبيروني في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» والسويدي في كتابه «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب»، وأبوحيان التوحيدي في كتابه «الامتاع والمؤانسة» عن تلك الأسواق إلا أنها لم تكن في غزارة مادتها مساوية لكتابي ابن حبيب والمرزوقي السابقين.

وتميز الأزرقي في كتابه «أخبار مكة» في الحديث عن أسواق الحجاز الموسمية والمؤثرات السياسية والاجتماعية والتي كان لها دور في تنشيط الحركة التجارية فيها.

وأورد ابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» والبلاذري في كتابه «أنساب الأشراف» نصوصاً كثيرة تحدثت عن ملابس الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، استخلصت منها مادة غزيرة عرفتني عن حجم تجارة المنسوجات والأسلحة والعطور والأصباغ في أسواق الجزيرة.

ولا يقل كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني أهمية في معلوماته عن الكتابين السابقين من حيث ما قدمه عن حرب الفجار وتأثيرها البالغ على التجارة في أسواق الحجاز فضلاً عن حديثه في دور حلف الفضول وأثره في إقرار الأمن في الحجاز مما يساعد على ازدهار التجارة فيها.

وفضلاً عما قدمه ابن منظور في «لسان العرب» وابن سيده في كتابه «المخصص» كانت للكتب الأدبية قيمة وأهمية، لما جاء فيها من أشعار أشارت إلى المنسوجات والأسلحة وغيرها من البضائع، ومن هذه الكتب «البيان والتبين» للجاحظ و«المفضليات» للمفضل الضبي، و«الأصمعيات» للأصمعي، و«شرح أشعار الهذليين» للسكري، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني.

وقد تميز الجاحظ في كتابه «التبصر بالتجارة» والدمشقي في كتابه «الإشارة إلى محاسن التجارة» في إغناء بحثي بمادة وافية عن التجارة لأن كتابيهما تخصصا بالحديث عنها.

كما استفدت من كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري وكتابي «إغاثة الأمة في كشف الغمة» و«شذور العقود في معرفة النقود» للمقريزي في معرفة النقود المتداولة في الأسواق قبيل الإسلام وفي صدره.

أما كتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري، وكتاب «التنبيه والأشراف» للمسعودي فقد استفدت منها في تثبيت الحوادث التاريخية أينما وردت في البحث.

وانتفعت أيضاً بمجموعة من الكتب الحديثة لا مجال لذكرها وسيجد القارىء فيها ثبتاً في آخر رسالتي هذه.

وبعد فإني حاولت في هذه الرسالة أن أقدم خلاصة جهدي، فإن أخطأت فالصواب أردت، وإن أصبت فالموفقية من الله تعالى.

الفصل الأول

طرق المواصلات في شبه جزيرة العرب

لمحة جغرافية:

إذا أردنا أن نلم بمجمل النشاط الاقتصادي لسكان شبه جزيرة العرب، لا بد من معرفة الطبيعة الجغرافية لها، ومدى تأثيرها في توجيه الفعاليات الاقتصادية لأن «تاريخ أمة ما، لا يمكن فهمه دون فهم بيئتها، وأن هذه البيئة من الأسس الهامة في تطور ذلك التاريخ»[١].

فالبيئة الطبيعة المختلفة تقتضي اختلافاً في أحوال السكان ونشاطهم الاقتصادي[٢] فخصوب التربة ووفرة المياه تساعدهم على توجيه فعالياتهم نحو الزراعة مبدئياً، كما أن الجدب والجفاف يحفزهم إلى اتجاه آخر رعوي أو تجاري، ووقوع البلاد على طرق المواصلات يشجعهم ويدفعهم إلى ممارسة العمل التجاري[٣].

من هنا فإن معرفة طبيعة أرض شبه الجزيرة العربية، ومصادر مياهها، ومناخها، وموقعها الجغرافي، وطرق المواصلات فيها ذات أهمية كبرى إذ أنها تجعلنا قادرين على فهم الفعاليات الاقتصادية التي كان العرب يمارسونها قبيل الإسلام وصدره.

الموقع والحدود: -

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من قارة آسيا[٤]، في مركز جغرافي مهم يتوسط العالم القديم، وعلى طرق التجارة العالمية، التي تربط الشرق الأقصى والهند وأواسط آسيا وإيران بحوض البحر المتوسط وبالبحر الأحمر[٥].

---

(١) الدوري، مقدمة، ص ٢٣.

(٢) لوبون، حضارة، ص ٥٢.

(٣) الدوري، مقدمة، ص ٣٣.

(٤) كحالة، جغرافية ص٨.

(٥) الدوري، مقدمة ص٣٤.

يحدها من الشرق الخليج العربي وخليج عمان، ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الغرب البحر الأحمر (القلزم) الذي يفصلها عن أفريقيا[١]، أما حدودها الشمالية (الحدود البرية) فهي موضع خلاف بين العلماء ، الأمر الذي أدى إلى اختلافات شتى في طول وعرض ومساحة شبه الجزيرة العربية، فيذكر ابن صاعد أن حدها الشمالي هو أطراف الشام وجهات بلادها الجنوبية ما بين الحجر ودومة الجندل[٢].

والحقيقة أن حدّها الشمالي لا يمكن تحديده بدقة، وإذا ما أخرجنا بلاد الشام وجزءاً من العراق من شبه جزيرة العرب، يصبح حدها الشمالي كما يراه الدكتور جواد علي خط وهمي يمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي، وبذلك يكون النفوذ الشمالي هو الحد بين شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب، وهذا الرأي لا يمكن الاعتماد عليه كثيراً، لعدم وجود ما يفصل طبيعياً بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق، ولأن «الهلال الخصيب لا يمكن فصله عن تربة الجزيرة من الناحية الجيولوجية»[٣]، وهو أيضاً يناقض رأي الهمداني الذي ارتأيت مناقشته بعد أن أذكر الاختلافات التي أشرت إليها سابقاً، ولأنه أيضاً يزيل الكثير من تناقضات العلماء العرب الذين اهتموا بدراسة جغرافية شبه جزيرة العرب.

من هذه الاختلافات، ما يذكره الأصمعي فيما نقله عنه البكري من أن جزيرة العرب تمتد من «أقصى عدن آبين إلى أطرار الشام هذا في الطول، والعرض من جدة إلى ريف العراق»[٤]، بينما يروي أبو عبيد عن الأصمعي خلاف هذا فيقول: « إن طولها من أقصى عدن آبين إلى ريف العراق وإن عرضها من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى اطرار الشام»[٥]، لكن الرياشي يذكر أن « جزيرة العرب ما بين نجران والعذيب»[٦]، في حين يذكر

(١) جواد، علي، المفصل ١/ ١٤٠.
(٢) ابن صاعد، طبقات، ص ٤٦.
(٣) جواد علي، المفصل ١/ ١٤٣.
(٤) الحربي، المناسك, ص ٥٣١. البكري، معجم ، ص٦.
(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٦٦.
(٦) م. ن.

الشعبي أنها «ما بين قادسية الكوفة إلى حضرموت»[١] . أما أبو عبيدة فإنه يذكر أن جزيرة العرب « ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وفي العرض ما بين رمل يبرين[٢] إلى السماوة»[٣]. ويحدد الدكتور العلي مبلغ طولها من رأس الخليج العربي إلى العقبة بحوالي ١٠٠٠ ميل، ومن البحر العربي إلى أطراف الهلال الخصيب الجنوبية حوالي ١٢٠٠ ميل[٤] بينما يرى غيره أن متوسط عرضها ٧٠٠ ميل، ومنتهى طولها ١٢٠٠ميل[٥].

وعلى الرغم من أن المياه لا تحيط بشبه جزيرة العرب من جميع الجهات، إلا أن العلماء العرب أطلقوا عليها اسم جزيرة العرب[٦]، فهي متصلة بالبر من الجهة الشمالية.

إن سبب هذه التسمية هي الأخرى موضع اختلاف بين العلماء، لكن هذا لا يعني أن العلماء لم يفرقوا بين الجزيرة وشبهها وإنما أطلقت التسمية «عن سبيل التشبيه والمجاز المشحون منه كلام الفصحاء»[٧]. وقد ذكر الهمداني عن سبب هذه التسمية «لأن اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل»[٨]،وبهذا المعنى يذكر شيخ الربوة إذ يقول: « سميت جزيرة العرب. . لأنه لم يسكنه إلا العرب العاربة والمستعربة[٩] بينما يروي ياقوت عن ابن الأعرابي قوله: «وإنما سميت لأنها تقطع الفرات ودجلة ثم تقطع في البر»[١٠]، وأحسن ما قيل في ذلك ما رواه الهمداني عن محمد بن السائب الكلبي الذي يوضح سبب تسمية العرب لبلادهم باسم الجزيرة فضلاً عن أن هذا النص الآتي قد ترتبت عليه جميع الاختلافات التي

---

(١) البكري، معجم، ص ٦.

(٢) يبرين: الرمل الموصوف بالكثرة، بينه وبين الفلج ثلاث مراحل، وبينه وبين الإحساء، وهجر مرحلتان، انظر ياقوت، البلدان، ٥/ ٤٢٧.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٦٦، وانظر الحربي، المناسك، ص ٥٣٢.

(٤) العلي محاضرات ص١٣.

(٥) وهبة، جزيرة ص١٣ . كحالة، جغرافية ص٨ باوزير، معالم ص٦.

(٦) الهمداني، صفة، ص٣٩.

(٧) الألوسي ، بلوغ، ١/ ١٨٧.

(٨) الهمداني، صفة، ص٣٩.

(٩) شيخ الربوة، نخبة، ص٢١٤.

(١٠) ياقوت، البلدان، ٢/ ١٣٧.

ذكرتها سابقاً، يقول الهمداني: «سميت بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأصرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، ذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة، وامتد إلى عبادان وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرباً مطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها... ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية آبين وعدن... واستطال ذلك العنق... ومضى إلى جدة ساحل مكة ... وخليج أيلة[١] ... وكور مصر البحرية - حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها... فصارت بلاد العرب... على خمسة أقسام ... تهامة والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن»[٢]. يفهم من هذا النص أن الفرات والنيل هما أحد الأسباب التي دفعت العلماء العرب في إطلاق تسمية على بلادهم، التي اعتبرها البعض تجاوزاً علمياً ظاهراً[٣]، لأنه يكمل استدارة المياه على الجزيرة العربية من جهتها الشمالية، فهو يدخل المنطقة العربية من قسمها الشمالي الغربي، فيقترب من شواطىء البحر المتوسط ثم يمتد ليصب في الخليج العربي في قسمها الشمالي الشرقي[٤].

وتأتي أهمية هذا النص من أنه يدخل بلاد الشام كلها وبعض العراق، المتمثل بالبادية التي بين بلاد الشام والعراق، وبادية سيناء وجزء من مصر، في جزيرة العرب[٥]كما أن هذا التحديد «لا يختلف كثيراً عن تحديد شبه الجزيرة على أساس تكريبها الطبيعي، فقد أدرك الجغرافيون العرب بفطرتهم السليمة، الصورة الصحيحة لشبه جزيرة العرب ومدى امتدادها قبل أن تتقدم الدراسات الجيولوجية لشبه الجزيرة في بداية النصف الثاني من القرن العشرين»[٦]، وعلى أساس هذا التحديد أيضاً اعتبرت شبه جزيرة العرب أكبر شبه جزيرة في

---

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقال أبو عبيدة: أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطىء بحر القلزم تعد من بلاد الشام. انظر ياقوت، البلدان، ١/ ٢٩٢.

(٢) الهمداني، صفة، ص٨٤، ٨٥ ياقوت، البلدان ، ٢/ ١٣٧.

(٣) يحيى، العرب، ص ٨٩.

(٤) م. ن.

(٥) عزام، مهد، ص ٢٣.

(٦) أبو العلا ، جغرافية، ١/ ١١.

العالم[١] ، فهي أكبر من شبه جزيرة الهند[٢]، وتبلغ مساحتها ما يقرب من ربع مساحة القارة الأوروبية بأكملها، أو ثلث مساحة الولايات المتحدة الأمريكية[٣]،وهذه الرقعة الجغرافية الواسعة والتي تزيد على ٣مليون كم٢ هي التي دعت - بيربي- يرى أنها تستحق أن يسميها مجازاً (قارة)[٤].

أقسام شبه جزيرة العرب :

قسم العلماء بلادهم إلى خمسة أقسام هي: تهامة، الحجاز، نجد، العروض، واليمن.[٥]

١ - تهامة

أصل لفظ تهامة في الأرجح مشتق من البابلية[٦]. ويروي الزيادي، عن الأصمعي أن «التهمة: الأرض المتصوبة إلى البحر»[٧]. ، ويطلق عليها الغور لانخفاض أرضها[٨]، وسميت تهامة لشدة حرارتها وركود هوائها[٩]. وقيل لتقلبه من حال إلى اخَر[١٠].

وتشمل تهامة المنطقة الساحلية الغربية لشبه جزيرة العرب، وتمتد من أقصى الجنوب إلى خليج العقبة في الشمال[١١]، وقد ذكر العرب في تحديدها أقوالاً كثيرة، يروي ياقوت، عن أبي منذر قوله: «تهامة تساير البحر، منها مكة »[١٢]. وعن الأصمعي قال: « إذا خلفت

---

(١) جواد علي، المفصل، ١/ ١٤٠.
(٢) حتي، مطول ١٥.
(٣) يحيى. العرب، ص ٩٠.
(٤) بيربي، جزيرة، ص ١٩.
(٥) الهمداني، صفة، ص ٨٥٠ القلقشندي، قلائد ص ١٨ . القلقشندي، نهاية، ص ١٧.
(٦) دائرة المعرف الإسلامية، مادة تهامة.
(٧) ياقوت، البلدان ،٢/ ٦٤.
(٨) الهمداني ، صفة، ص ٨٥٠ جواد علي ،المفصل، ١/ ١٧٠.
(٩) ياقوت، البلدان ٢/ ٦٤.
(١٠) البكري، معجم، ص ٣٢٢.
(١١) حمزة، قلب، ص ١٨.
(١٢) ياقوت، البلدان، ٢/ ٦٣و ٦٤.

عمان مصعداً فقد أنجدت، فلا تزال منجداً حتى تنزل في ثنايا ذات عرق» ، حيث تفصل ذات عرق بين تهامة ونجد والحجاز، قال الشاعر :

كأن المطايا لم تنخ بتهامة   إذا صعدت من ذات عرق صدورها[١]

ويروي ياقوت عن الأصمعي أن «طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج عرج، وأول تهامة من نجد ذات عرق[٢] » .

وتبدأ حدود تهامة من البحر الأحمر[٣]، يجعلها المدائني جنوب الحجاز[٤] ، ويحجزها عن داخل شبه جزيرة العرب سلسلة جبال السراة[٥]، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية وبعدها عنه[٦] ،فهي لا تعد وأحياناً غير جزء ضيق من الساحل[٧]، وقد تتسع فيبلغ عرضها ٤٠كم[٨]، وربما يصل إلى ٧٥ كم في بعض المناطق[٩]، وقد تضاف تهامة إلى القسم الذي تحاذيه فيقال تهامة اليمن وتهامة عسير وتهامة الحجاز[١٠]. وتهامة اليمن سهل خصب تنحدر إليه الأودية[١١]من الجبال[١٢] فتكثر فيه الأشجار والزروع [١٣]، أما تهامة الحجاز فهي منطقة صخرية[١٤].

---

(١) الهمداني، صفة، ص٨٩.
(٢) ياقوت، البلدان ٢/ ٦٣ . البكري معجم، ص ٣٢٢.
(٣) جواد علي المفصل ١/ ١٧٠ .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية مادة تهامة .
(٥) الهمداني، صفة، ص ٨٥.
(٦) أبو العلا، جغرافية، ١/ ٣٩.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة تهامة .
(٨) أبو العلا، جغرافية، ١/ ٣٩.
(٩) الدباغ، جزيرة، ١/ ١٤ .
(١٠) حمزة، قلب، ص ١٨ .
(١١) انظر في أودية تهامة، أبو العلا، جغراقية، ١/٣٩.
(١٢) انظر في جبال تهامة، السلمي، أسماء جبال تهامة، ص ٢٩٨- ٤١٥ .
(١٣) سالم، تاريخ ، ص ٨٩. عزام، مهد، ص ٩٣ .
(١٤) عزام، مهد، ص ٥٥ .

٢- الحجاز

يعتبر الحجاز من أهم أقسام شبه جزيرة العرب[١]، وفيه تقع سلسلة جبال السراة «أعظم جبال العرب»[٢]، والتي اعتبرها العلماء أساسا لتقسيماتهم الجغرافية والإدارية.

ولفظة الحجاز معروفة قبل الإسلام، لكن حدودها غير واضحة، حيث لم تكن في جزيرة العرب دولة واحدة تجمعها وتنظم إدارتها، لذلك كانت التقسيمات الإدارية غير ثابتة ولا متطابقة مع التقسيمات الجغرافية، وهذا ما يفسر لنا اختلاف العلماء في تحديد أقسام الجزيرة ومن ضمنها المنطقة التي أطلق عليها اسم الحجاز، لعدم اعتمادهم على الطبيعة الجغرافية كأساس لتقسيماتهم الإدارية[٣].

وتختلف الآراء في تسمية المنطقة بالحجاز، منها ما يذكرها الحربي والبكري عن الحسن قوله: « إنما سمي الحجاز لأنه حجز عن الأنهار وعن الأشجار »[٤]. ، ينما يروي الأصفهاني عن الأصمعي قوله: « لأنها احتجزت بين الجبال »[٥] في حين يذكر القزويني أنه « حاجز بين اليمن والشام »[٦] ، بينما أطلق قسم من العلماء تسمية الحجاز على جبال السراة نفسها [٧]، وهناك آراء وتفاصيل أخرى إلا أن أقرب هذه التعريفات كما يرى (الدكتور العلي) صلة بالجغرافية[٨] هو التعريف الذي ذكره العديد من العلماء العرب حيث اعتبروا سبب تسمية الحجاز لأنه « حجز بين الغور وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر»[٩]، وأهم مدن الحجاز هي:

---

(١) العلي ، تحديد الحجاز، ص١.
(٢) الهمداني صفة، ص ٨٥.
(٣) العلي، تحديد الحجاز، ص ١ ، ٢.
(٤) الحربي المناسك، ص ٥٣٨. البكري، معجم، ص ١١.
(٥) الأصفهاني، بلاد، ص ١٦.
(٦) القزويني، آثار، ص ٨٤.
(٧) الهمداني، صفة، ص ٨٥. الحربي، المناسك، ص ٥٣٣.
(٨) لمزيد من التفصيل انظر العلي، تحديد الحجاز، ص ٤-٩.
(٩) الهمداني، صفة، ص ٨٥، الحربي، المناسك، ص ٥٣٢. الأصفهاني، بلاد، ص ١٤.

٣- مكة[١]:

تعد مكة أقدم مدينة في ديار العرب، حيث يصفها الجاحظ بأنها: «قبلة العرب، وموضع الحرم، والموسم الأعظم، والحج الأكبر، والأصلي والمفخر»[٢].

ويفتقر الحرم المكي إلى الأشجار المثمرة[٣]، والمياه الجارية والآبار،[٤] عدا بئر زمزم وبعض ما يجري لها من عيون بعيدة عنها[٥].

ومكة في موقع فريد لا تتمتع به أي مدينة في شبه جزيرة العرب، ولهذا كان هذا الموقع عاملاً مشجعاً للقوافل التجارية في أن تتوقف في مكة، لتوفر عاملين يعتبران من أهم ما تتطلبه القافلة، وهما الأمن والماء، فضلاً عن وجود البيت الحرام فيها.[٦]

وتتبع مكة مدن أقل أهمية[٧]، منها جدة التي تقع على ساحل البحر الأحمر[٨]، وهي فرضة أهل مكة، وأهميتها تأتي من كونها مدينة تجارية، يقول عنها الإصطخري: «ليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها»[٩] ويشير إليها المقدسي إذ يقول أنها «خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر»[١٠].

---

(١) ورد اسم مكة في القرآن الكريم بتسميات عديدة منها (أم القرى) انظر سورة الشورى: الآية ٧ و(مكة) في سورة الفتح: الآية ٢٤. و(بكة) في سورة آل عمران: الآية٩٦. ولمكة أسماء أخرى ذكرتها المصادر كالمقدسة، والقادسية، صلاح، أم رحم، أناسة، النسناسة وغير ذلك انظر الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١.

(٢) الجاحظ، رسائل، (رسالة في نفي التشبيه) ١/ ٢٩٧.

(٣) الاصطخري، مسالك، ص٢٣.

(٤) ابن حوقل، صورة، ص٢٩، ٣٠.

(٥) الإدريسي، جزيرة ص٢٢.

(٦) الشريف، مكة، ص ٦٧ فما بعدها.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك ص ١٣٣.

(٨) اليعقوبي، البلدان، ص ٨٠.

(٩) الإصطخري، مسالك، ص ٢٣.

(١٠) المقدسي، أحسن، ص ٧٩.

٤- المدينة المنورة (يثرب)

تقع المدينة في مستوى من الأرض[١] ، في حرة سبخة[٢] ، لها أسماء كثيرة عدها ياقوت تسعة وعشرين اسماً[٣] .

وللمدينة جبال كثيرة أهمها جبل أحد[٤] ، تتخللها بعض الأودية[٥]، ولهذا تعتبر المدينة منطقة زراعية تعتمد بالدرجة الأساس على النخيل[٦]، والذي منه معظم معاشهم وأقواتهم[٧]، ويتم إرواء هذه المزارع من مياه الآبار المنتشرة في المنطقة[٨] .

وترتبط بالمدينة مدن وقرى أهمها الجار[٩]، وهو ساحلها[١٠]، على بعد ثلاثة أميال منها، وإليه ترسي مراكب التجار التي تحمل الطعام من مصر[١١]، وفي المدينة أسواق كثيرة أهمها سوق بني قينقاع وسوق زبالة[١٢] .

٥- الطائف :

مدينة صغيرة نحو وادي القرى على ظهر جبل غزوان[١٣]، وعلى بعد اثني عشر فرسخاً عن مكة[١٤]، وهي ذات أشجار وثمار كثيرة أهمها الزبيب الذي يضرب بحسنه المثل، ومن

(١) الإدريسي، جزيرة ص ٢٤ .
(٢) الإصطخري ، مسالك، ص ٢٣ .
(٣) ياقوت ، البلدان، ٥/ ٨٣ . وانظر ابن شبه تاريخ المدينة، ١/ ١٦٢ .
(٤) الإصطخري ،مسالك، ص ٢٣ .
(٥) ابن شبه، تاريخ المدينة، ١/ ١٦٦ فما بعدها. الزمخشري ، الأمكنة، ص ١٦ .
(٦) ابن سلام، الأموال، ص٨ .
(٧) اليعقوبي، البلدان، ص٧٧ .
(٨) الاصطخري، مسالك، ص٢٣ . انظر في آبار المدينة، ابن شبه، تاريخ المدينة، ١/ ١٦٩ .
(٩) الحربي، المناسك ص٤١٣ .
(١٠) الهمداني، صفة، ص٨٤ .
(١١) اليعقوبي، البلدان، ص٧٧ .
(١٢) ابن شبة، تاريخ المدينة ١/ ٣٠٦ .
(١٣) الاصطخري، مسالك، ص٢٤ .
(١٤) القزويني، آثار، ص٩٧ .

الطائف تنقل الفاكهة إلى مكة[١]، كما أنها تشتهر بدباغة الجلود، حيث يحمل أديمها إلى سائر البلدان[٢].

نجد:

نجد لفظ يعني ما ارتفع من الأرض، وما خالف الغور[٣]، وتطلق تسمية نجد على المنطقة الوسطى من شبه جزيرة العرب[٤]، وتشمل أراضي واسعة بما فيها من قرى وصحارى شاسعة[٥]، وتبدأ من حدود اليمن جنوباً وتنتهي شمالاً عند صحراء السماوة وشرقاً إلى العروض[٦]، ويرى ابن الكلبي أنها تشمل المنطقة «ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب[٧]. ويمثل جبل السراة حدودها الغربية [٨]،أما حدودها الشرقية فهي غير اضحة وربما تصل إلى القرب من الخليج العربي [٩]،ويحدها شمالاً بر الشام وجنوباً الأحقاف واليمامة [١٠].

وفي نجد جبلان هما: أجا وسلمى، جبلا طي [١١]،وتكثر في شعاب وأودية نجد منابع العيون [١٢]، حيث تستقر مياه الأمطار قريباً من سطح الأرض فلا يجد الإنسان صعوبة كبيرة في حفر العيون [١٣]،مما يجعل المنطقة صالحة للزراعة في فصل الشتاء خاصة.

(١) الاصطخري، مسالك، ص٢٤.
(٢) القزويني، آثار، ص٩٨.
(٣) الالوسي ، تاريخ نجد، ص ٧.
(٤) حمزة، قلب، ص ٢٢. الشريف، مكة، ص ٥.
(٥) أبو الفدا، تقويم، ص ٧٨. الألوسي، تاريخ نجد، ص ٢١.
(٦) كمال، الطريق، ص ٣٦.
(٧) الحربي، المناسك، ص ٥٧٣.
(٨) الهمداني، صف، ص ٨٥.
(٩) الشريف مكة، ص ٥.
(١٠) الألوسي، تاريخ نجد، ص ٩.
(١١) الزمخشري، الأمكنة، ص ١٢٤.
(١٢) وهبة، جزيرة، ص ٥٧.
(١٣) ابن المجاور، المستبصر، ص ٢٢٠.

العروض[١] :

العروض هي اليمامة والبحرين[٢]، تقع جنوب شرق نجد وشمالي الربع الخالي[٣] على شكل مستطيل مع ساحل البحر[٤]، وتتكون أراضي العروض من مساحات مرتفعة وأخرى منخفضة، ذكر ذلك ابن الكلبي فقال: «وصارت بلاد اليمامة والبحرين، وما والاها العروض، وفيها نجد، وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها، ومسايل أودية فيها، والعروض يجمع ذلك كله»[٥].

ومن مدنها المهمة حجر[٦]، التي تتوسط المنطقة، ومدينة جو التي تبعد عن سابقتها يوم وليلة، أما البحرين فمدينتها العظمى (هجر) سوق بني محارب بن عبد القيس[٧]،ويطلق على هجر والبحرين أيضاً تسمية الإحساء ، وهو ساحل واطىء حار يمتد من البصرة إلى عمان [٨]، وفيه مناطق زراعية خصبة تكثر فيها المياه القريبة من سطح الأرض[٩]، والقسم الأكبر منه سهل صحراوي، تتخلله بعض التلال المنفصلة وتعتبر واحتا الأحساء والقطيف أغنى قطعة في المنطقة[١٠].

٥- اليمن :

تقع اليمن في الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب [١١]، وتشمل منطقة واسعة

---

(١) سميت العروض عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق، ياقوت، البلدان، ١٢٢/٤ .
(٢) أبو الفداء، تقويم، ص٧٩.
(٣) البكر، دراسات، ص٧٣.
(٤) ياقوت، البلدان، ١١٢/٤ .
(٥) الهمداني، صفة ص٨٥، ٨٦.
(٦) انظر سوق حجر، ص ٨٣ من هذه الرسالة.
(٧) الهمداني، صفة ،ص ٢٤٩-٢٧٤ .
(٨) وهبة، جزيرة، ص ٦٢ .
(٩) عزام، مهد، ص ٨٥.
(١٠) وهبة جزيرة ص ٦٢ .
(١١) عزام، مهد ، ص ٩٢ . الحديثي أهل اليمن، ص ٣٧.

تمتد من تهامة إلى العروض[١]، وحدودها غير واضحة شأنها شأن بقية أقسام شبه جزيرة العرب، لعدم وجود حاجز طبيعي يفصلها عن بقية أجزاء الجزيرة[٢]، ويروي ياقوت الحموي عن الأصمعي في تحديد اليمن فيقول: «اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن، إلى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة وبينونة حد اليمن من راء تثليث وما ساقها إلى صنعاء وما قاربها إلى حضرموت والشحر وعمان إلى عدن آبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود، واليمن يجمع ذلك كله»[٣].

ويفهم من هذا - كما ذكرت سابقاً أن اليمن تشمل مناطق واسعة ومدن كثيرة عدها شيخ الربوة أربعة وعشرين مخلافاً[٤]، بينما ذكر الهمداني أكثر من ذلك بكثير[٥].

وحدود اليمن السياسية غير ثابتة، فهي تتغير تبعاً لنفوذ اليمن القديمة، وقد اعتبر (الدكتور نزار الحديثي) انتشار واستقرار القبائل في مناطق اليمن أساساً للتقسيم الجغرافي، حيث قسمها إلى أربعة أقسام: أولها الهضبة الوسطى التي سكنتها قبائل حمير، وهمدان، وخولان، ونجران، وثانيهما منطقة حضرموت إلى الشرق من الهضبة الوسطى، وثالثها منطقة الجوف ومأرب (أرض سبأ) والتي تمتد شرق صنعاء فيما بين حضرموت جنوباً ونجران شمالاً وآخرها تهامة المتمثلة بالسهل الساحلي المحصور بين البحر والهضبة الوسطى[٦]. غير أن هذا التقسيم كما هو واضح تقسيم سياسي أكثر من كونه جغرافياً.

وقد ذكر شيخ الربوة أن اليمن في صدر الإسلام كان يشمل ثلاثة أقسام رئيسة: فالأول قصبته صنعاء، والثاني قصبته الجند، والآخر قصبته ظفار[٧].

---

(١) سالم، تاريخ، ص٩٢.
(٢) الحديثي، أهل اليمن، ص ٣٧.
(٣) ياقوت، البلدان ٥/ ٤٤٧.
(٤) شيخ الربوة، نخبة، ص٢١٦.
(٥) الهمداني، صفة، ص١٩٣ فما بعدها.
(٦) الحديثي، أهل اليمن، ص٣٧-٣٨.
(٧) شيخ الربوة، نخبة، ص٢١٦.

وبصورة عامة فإن اليمن يقسم إلى قسمين: تهامي ونجدي[١]، وقد وضحنا هذين القسمين فيما سبق وما ينطبق جغرافياً على المناطق التي تدخل ضمن تهامة ونجد، ينطبق على مناطق اليمن فيها.

ومن أهم مدن اليمن التهامية مدينة عدن، وهي أقدم أسواق العرب، أما المدن النجدية فأهمها الجند وصنعاء[٢] قصبة اليمن الأولى[٣]، وقاعدتها القديمة[٤]، وفي اليمن أودية كثيرة تصب في البحر الأحمر منها وادي موزع والشقاق وزبيد وغيرها[٥].

مناخ شبه جزيرة العرب:-

يمتاز مناخ شبه جزيرة العرب بارتفاع درجات الحرارة[٦] وسيادة المناخ الجاف[٧]، وعلى الرغم من أنها تحف بها المياه من ثلاث جهات، إلا أن الأبخرة القادمة من هذه المياه لم تتمكن من تلطيف جوها، بسبب استلاب رياح السموم التي تهب على المنطقة للرطوبة القادمة من البحر قبل صولها إلى وسط البلاد[٨]. فضلاً عن أن مساحة شبه الجزيرة العربية واسعة، تشغل منها الصحراء الجزء الأكبر يقابل هذا ضيق المسطحات المائية «المتمثلة بالبحر الأحمر والخليج العربي» مما يجعلها غير كافية للتأثير على مناخ المنطقة[٩]. وبصورة عامة فإن مناخ شبه جزيرة العرب يتميز بالتنوع نتيجة وجود أراضي مرتفعة من سطح البحر وأخرى منخفضة عنه[١٠].

---

(١) المقدسي، أحسن، ص٨٤.
(٢) الهمداني ،صفة، ص ٩٤ فما بعدها.
(٣) القزويني، آثار ص ٥٠.
(٤) القلقشندي، نهاية الأرب ص ١٨.
(٥) الهمداني،صفة، ص ١٣١ فما بعدها.
(٦) البكر، دراسات، ص٨٧.
(٧) وهبة، جزيرة، ص٥.
(٨) جواد علي، المفصل ١/ ١٠٤.
(٩) الدباغ ،جزيرة١/ ٣٠.
(١٠) باوزير، معالم، ص١٤.

ومن هذه الظواهر التي تمثل العناصر الرئيسية لمناخ أي منطقة هي: الرياح والحرارة والأمطار.

الرياح:-

عرف العرب الرياح التي تهب على بلادهم واتجاهاتها وقسموها إلى أربعة أنواع: شمال وجنوب وصبا ودبور[١].

وتمتاز رياح الشمال بأنها باردة جافة خالية من الرطوبة[٢]، وهي سريعة فتؤدي إلى قشع الغيوم من السماء[٣]. أما الرياح الجنوبية فهي حارة رطبة[٤]، وسحابها محمل ببخار الماء[٥]، والدبور فهي رياح باردة رطبة[٦]، قليلة الهبوب وسحابها خالٍ من بخار الماء، وقد تحمل معها الأتربة[٧]، أما رياح الصبا فإنها تفعل ما تفعله رياح الجنوب، وإلى جانب هذه الرياح فثمة رياح محلية، تهب على بلد معين دون غيره وتسمى (البلدية)[٨].

الحرارة:-

تختلف درجات الحرارة في شبه جزيرة العرب في الليل عنها في النهار في مكان واحد، فقد قيست إحدى المرات في نجد فكانت تتراوح بين ٥٠ْم و ٩ْم تحت الصفر[٩] كما أنها تختلف باختلاف ارتفاع المنطقة وانخفاضها فتصل معدلاتها في المرتفعات الغربية للحجاز إلى ٣١ْم في حزيران و ٣٧ْم في آب بينما تنخفض إلى ٥ْم في الشتاء وربما وصلت إلى الانجماد في المرتفعات العالية، وتعدل الرطوبة القادمة من البحر في حرارة جبال السراة،

(١) انظر: ابن قتيبة، الأنواء، ص١٥٨، ١٥٩.
(٢) المسعودي، التنبيه، ص١٦.
(٣) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٦٢.
(٤) المسعودي، التنبيه، ص١٦.
(٥) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٦٤.
(٦) المسعودي، التنبيه، ص١٦.
(٧) ابن قتيبة، الأنواء، ص١٦٢-١٦٤.
(٨) المسعودي، مرج، ٢/ ٢٢١.
(٩) وهبة، جزيرة، ص ٥.

بينما يغلب الجفاف على المنحدرات الشرقية[١] ، فترتفع درجات الحرارة فيها.

ويؤثر مناخ جبال السراة على مدن الحجاز، فترتفع درجات الحرارة في مكة[٢]، إلى درجة كبيرة بحيث تصبح الحجارة المفروشة بالمطاف كما يصفها ابن بطوطة «كالصفائح المحماة، فقد شاهد وهو يطوف السقائين يصبون الماء عليها»[٣]، لتخفيف شدة الحرارة، إلا أن جوها يعتدل ليلاً فيطيب هواؤها[٤].

ونتيجة لهذا المناخ القاسي فإن أهل مكة يصيفون بالطائف ويشتون في جدة[٥]، كما ينطبق هذا المناخ المتمثل بارتفاع درجات الحرارة على المدينة المنورة[٦]، بينما تمتاز الطائف باعتدال درجات الحرارة فيها، وتنخفض في الشتاء فتصل إلى درجة الانجماد أحياناً، خاصة في المناطق المرتفعة كجبل غزوان حيث يقول الإصطخري: «ليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع»[٧].

وتتراوح درجات الحرارة في العروض بين ٤ْم إلى ٤٤ْم[٨]، بينما تعتدل في نجد فتصبح المنطقة موافقة لمن يسكنها بسبب ارتفاع أرضها[٩]، وهبوب رياح الصبا عليها[١٠]، إلا أن هذا الاعتدال لا يكون إلا في طرفي الليل والنهار[١١]، خاصة في جبل شمر حيث القرب من الأودية[١٢].

---

(١) الدباغ، جزيرة، ١/ ١٩.
(٢) ابن قتيبة، مختصر، ص١٧.
(٣) ابن بطوطة، رحلة، ص١٢٢.
(٤) ابن المجاور، المستبصر، ص٥.
(٥) الجاحظ، رسائل (رسالة في فخر السودان على البيضان) ١/ ١٨٧.
(٦) الإدريسي، جزيرة، ص٢٤-٣٦.
(٧) الإصطخري، مسالك، ص٢٤.
(٨) وهبة، جزيرة، ص٦٣.
(٩) ابن المجاور، المستبصر، ص٢١٧.
(١٠) عزام، مهد، ص٢٦.
(١١) حمزة، قلب، ص٦٠.
(١٢) كمال، الطريق، ص٣٨.

أما تهامة فيرافق الرطوبة ارتفاع درجات الحرارة فيها، لا سيما في القسم الجنوبي منها، حيث تصل درجات الحرارة أحياناً في مايو وأيلول إلى ٤٣ْم، وقد تنخفض قليلاً في الصيف بسبب هطول الأمطار على المناطق الساحلية، بينما لا تقل في الشتاء عن ١٤ْم وتبعاً لذلك فإن المناطق الساحلية والقريبة من الجبال تكون صالحة لزراعة كثير من أنواع الحبوب وقصب السكر والنخيل[١].

أما اليمن فإن درجات الحرارة فيها معتدلة[٢] في جميع أيام السنة[٣] ويبلغ هذا الاعتدال أن الإنسان لا يحتاج أن يتحول من مكانه معظم أيام السنة[٤]، وفي بعض أجزاء اليمن كعمان، ترتفع درجات الحرارة بصورة كبيرة[٥].

الأمطار:

تخلو شبه جزيرة العرب من الأنهار تماماً[٦]، كما أن أمطارها قليلة جداً وإن نزلت ففي فترات متباعدة جداً قد تصل إلى ثلاث أو أربع سنوات، ولهذا كانت أرض العرب كثيراً ما يصيبها الجدب، فيؤدي إلى تيبس الأشجار وهلاك المواشي[٧].

وبسبب ارتباط حياة أهل الصحراء بالمطر ارتباطاً وثيقاً، فإنهم قد يرحلون إلى مناطق أخرى أكثر ملائمة لهم، كما فعلت بطون خزاعة حين خرجت إلى مصر والشام بسبب الجدب[٨]، ولهذا السبب أيضاً كانوا يؤدون صلاة الاستسقاء، فكثيراً ما كان الرسول ﷺ «يخرج إلى المصلى يستسقي»[٩].

(١) كحالة، جغرافية، ص١٣.
(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٨.
(٣) ابن رستة، الاعلاق ص١٠٩..
(٤) الاصطخري، مسالك، ص٢٦، ابن رستة، الاعلاق ص١٠٩.
(٥) ابن الفقيه، مختصرة، ص٩٢، وانظر ابن حوقل، صورة، ص٣٩. أبي الفداء، تقويم ص٩٩.
(٦) الاصطخري، مسالك، ص٢١.
(٧) الديار بكري، تاريخ الخميس ٢/ ١٤.
(٨) الاصفهاني، الأغاني، ٥/ ١٣.
(٩) لمزيد من التفاصيل انظر ابن شبة، تاريخ المدينة، ١/ ١٤٣.

لكن الأمطار قد تهطل بكميات كبيرة وتستمر لمدة أسبوع كامل مما يؤدي إلى سيول عارمة تغرق الأرض وتهدم البيوت وتقطع السبل كما حدث مثلاً في عام ٦ هـ[١]، مما يستدعي أخذ الاحتياطات اللازمة لذلك، وقد تحدث البلاذري عن سيول مكة، إلا أن هذه الظاهرة قليلاً ما تحدث وربما مرة واحدة كل بضع سنين[٢].

وعلى أية حال فإن أمطار الحجاز قليلة ويعتمد أهلها على بعض العيون الشحيحة التي لا تكفي إلا للشرب[٣]،يصل معدل المطر من ٣-٥ بوصة في الجبال ، في حين لا تقل معدلاتها في عسير عن ١٠-١٢ بوصة[٤].

وفي الطائف ينزل المطر في أواخر آب ويستمر أكثر من شهر[٥]،نتيجة تأثير هبوب الرياح الموسمية[٦]،بينما ينزل المطر في شمال الجزيرة ووسطها في فصل الشتاء في شهر تشرين الأول ونيسان بصورة غير منتظمة وبكميات قليلة[٧].

تعتبر اليمن أكثر مناطق شبه جزيرة العرب وفرة في نزول الأمطار، حيث أشار ابن الفقيه إلى ذلك بقوله :« إنهم يشتون مرتين ويصيفون مرتين، وأهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله، ويخصبن في الشتاء، فتمطر صنعاء وما والاها في حزيران وتموز وآب بعض أيلول»[٨]. ونتيجة لغزارة المطر فإن أهل اليمن يفرشون سطوح منازلهم بالحصى[٩]،ويكون وقت نزوله معلوماً، وغالباً ما يكون بعد الظهر[١٠].

---

(١) الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢/ ١٤.
(٢) الدباغ، جزيرة ، ١/ ٣٠.
(٣) كمال ، الطريق، ص ٣٨.
(٤) الدباغ ،جزيرة، ١/ ١٩.
(٥) عزام، مهد، ص ٢٨.
(٦) سالم، تاريخ، ص ٩٦.
(٧) عزام، مهد، ص ٢٨.
(٨) ابن الفقيه، مختصر، ص ٣٤. وانظر ابن خرداذبة، المسالك ، ص ١٦٥.
(٩) ابن رسته، الإعلاق، ص ١٠٩.
(١٠) م، ن . وانظر ابن بطوطة، رحلة، ص ٢٥١.

أما تهامة اليمن فإن أمطارها شتوية[١]، وينزل على عمان قدر كافٍ من الأمطار بصورة دورية[٢]،وخاصة على الجبل الأخضر[٣]،مما يساعد على قيام زراعة منتظمة فيها، وفضلاً عن الأمطار فإن في اليمن الكثير من الآبار والعيون، حيث تتعدد طرق السقي فيها، مما يزيد من خصوبة أرضها، فتدرك عندهم الحبوب ثلاث دفعات[٤].

وعموماً فإن أمطار شبه جزيرة العرب غزيرة نسبياً في الجنوب وقليلة في الشمال، ونادرة في الوسط[٥].

طرق المواصلات:

هناك عوامل عديدة حتمت وجود طرق مواصلات تربط بين أجزاء شبه جزيرة العرب وبينها وبين البلاد المجاورة، ومن بين هذه العوامل، قيام الأسواق الموسمية التي تولت مهمة تبادل البضائع بين المناطق المنتجة والمستهلكة[٦].

وقد اهتم العرب منذ القدم بتحسين الطرق ووضع العلامات عليها، ويروي الأصمعي أن الملك أبرهة ذا المنار الذي ولي الملك بعد أبيه الحارث الرائش، هو « أول ملك نصب الأعلام وبنى الأميال على الطرق والمناهل فلذلك سمي ذا المنار»[٧].

وفي الغالب فإن هذه الطرق تمتد في شبه الجزيرة العربية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، أو من الجنوب إلى الشمال متجنبة المناطق الصحراوية[٨]، سالكة السبل التي تتوفر فيها المياه، وتقل فيها العقبات والصعوبات[٩]، وتمر كل هذه الطرق بالعديد من المحطات، حيث تتوقف فيها القوافل التجارية لغرض الاستراحة والتزود بالماء والقوت، وغالباً ما تكون هذه المحطات عبارة عن مواضع تتوفر فيها المياه بشكل آبار أو

(١) سالم، تاريخ، ص ٩٦.
(٢) وهبة، جزيرة، ص ٥.
(٣) عزام، مهد، ص ٢٧.
(٤) ابن رسته، الاعلاق ص ١٠٩- ١١٢.
(٥) الدباغ، جزيرة، ١/ ٣٠.
(٦) العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٣.
(٧) الأصمعي، تاريخ، ص ٢٨..
(٨) العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٣. العلي، محاضرات، ص ٣٧.
(٩) الحربي، المناسك، ص ٤٤٥

برك[١]، وربما استقرت حول هذه المياه بعض القبائل فتنشأ نتيجة لذلك قرى كبيرة[٢]، وفي كثير من الأحيان تصبح هذه المحطات أسواقاً توفر للقوافل بعض ما تحتاجه من بضائع، فتنتج عن ذلك بعض المعاملات التجارية من بيع وشراء وأقراض[٣].

أما أهم الطرق التي تربط شمال الجزيرة العربية بجنوبها، فهما طريقان - ذكرهما أوليري- يبدآن من ظفار الواقعة على الساحل الجنوبي مقابل جزيرة سوقطرة، حيث كانت مركزاً مهماً لتجارة البخور ، التي يعتمد عليها الجزء الأكبر من التجارة العربية، ويمر هذان الطريقان بمحاذاة الصحراء وإلى الشرق والغرب منها لتفادي عبورها.

الطريق الغربي:

يسير هذا الطريق الذي يبدأ من ظفار بمحاذاة وادي حضرموت الرئيس، ثم إلى شبوة في أقصى الغرب من حضرموت، فيلتقي بالطريق الفرعي المؤدي إلى عدن، ثم منها إلى مأرب، ثم إلى صنعاء، حيث يرتبط مرة أخرى بفرع آخر يؤدي إلى عدن، ومن صنعاء يسير الطريق شمالاً عبر الحجاز ماراً بسلسلتين جبليتين عبر وادي القرى، ثم إلى (العلا)، وهي المحطة الحدودية لدولة الأنباط والتي يتم فيها تبادل البضائع أحياناً بين اليمانيين والأنباط، الذين ينقلونها بدورهم إلى تيماء[٤]، ومن تيماء تتوزع البضائع عبر طرق عديدة، فمنها ما يذهب إلى بصرى أو دمشق ليصل إلى بقية بلاد الشام، ومنها ما يتجه إلى أيلة والعريش والجزء الشمالي من شبه جزيرة سيناء ليصير إلى مصر، والبعض الآخر يمر عبر حائل في منحنى واسع لتفادي صحراء النفوذ ليصل إلى بابل[٥].

الطريق الشرقي:

و يبدأ أيضاً من ظفار ويسير بمحاذاة ساحل عمان متجنباً الصحراء ومتجهاً إلى القطيف التي كانت مرفأ تفرغ فيه البضائع القادمة من الهند، ومن القطيف إلى ظفار، ثم إلى صنعاء، ومنها الحجاز.

---

(١) انظر ابن رسته، الإعلاق، ص ١٧٨. الحربي، المناسك، ص ٤٤٧.
(٢) ابن رسته، الاعلاق، ص ١٧٨. قدامة نبذة، ص ١٨٧.
(٣) العلي، محاضرات، ص ٤٢.
(٤) O'leary: Arabia, P. 103
(٥) OP,Cit, P.104

من الجدير بالذكر أن تجارة الهند مع الخليج العربي كانت تنتقل عبر هذا الطريق[١].
وإلى جانب هذين الطريقين، ثمة شبكة معقدة من الطرق البرية تسير حول الصحراء الجنوبية، حيث يجد طريق يمر من القطيف ، ظفار، شبوة، مأرب، صنعاء، مكة، الرياض، ثم إلى القطيف ثانية. وآخر شمالي يمر بمكة، الرياض، القطيف، إلا أن الطريق الذي ينطلق من القطيف ويمر عبر الرياض، عنيزة، حائل، ثم إلى تيماء هو الطريق الأقدم، لأن تيماء كانت في وقت ازدهارها أكبر مركز توزيعي للبضايع في كل الجزيرة العربية[٢].

ومما يلاحظ على المعلومات التي أوردها أوليري[٣]، أنها لم تقدم لنا وصفاً دقيقاً لمراحل هذه الطرق، ولا مقدار المسافة التي تفصل بين منازله، بسبب قدم هذه الطرق. ويظهر أنه بمرور الزمن تحسنت هذه الطرق وكثرت منازلها نظراً لنشاط الحياة الاقتصادية في الجزيرة وخاصة التجارة، وزاد هذا الاهتمام حين جاء الإسلام فازدادت الحاجة إلى هذه الطرق ليس لأغراض تجارية فحسب، وإنما لحاجة المسلمين لها في عمليات التحرير، فقدم لنا بعض الجغرافيين العرب المسلمين وصفاً دقيقاً للطرق التي تربط بين أجزاء شبه الجزيرة، وبينها وبين البلاد المجاورة، نذكر أهمها:

الطرق التي تربط بين أجزاء شبه الجزيرة العربية:

١- الطريق من المدينة المنورة إلى مكة:

يمر الطريق من المدينة إلى مكة شأنه شأن بقية الطرق بالعديد من المنازل والمحطات التي ذكرها معظم الجغرافيين العرب المسلمين، ويبدأ هذا الطريق لموضع يسمى ذا الحليفة[٤] والذي يبعد عن المدينة بمسافة ٥ أميال ونصف، ثم إلى الحفير ٦ أميال، ثم إلى ملل ٦ أميال، ثم إلى السيالة ٧ أميال فتكون المسافة من الدينة إلى السيالة ٢٣ميلاً ومن السيالة إلى الروحاء[٥] ١١ميلاً ثم إلى الرويشة ١٣ميلاً ثم إلى جي ٤ أميال ثم إلى عقبة ٧

(١) O'leary, Arabia, P.105
(٢) Op, Cit
(٣) للاستزادة، انظر حسونة، الجغرافية، ص ١٢ فما بعدها، بافقيه، تاريخ، ص ١٨٦.
(٤) يذكر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٠. محطة يقال لها الشجرة بدل الحليفة.
(٥) يذكر ابن رسته، الأعلاق، ص ١٧٧-١٧٨. أن السيالة هي نفسها الروحاء.

أميال، ثم إلى أثاية ميلاً واحداً، ثم إلى العرج ميلين، ثم إلى الطلوب ١١ ميلاً ثم إلى السقيا ٦ أميال فتكون المسافة بين الرويثة والسقيا ٣١ ميلاً ثم إلى الأبواء ١٧ميلاً ثم إلى الجحفة ٢٣ ميلاً ثم إلى كلية ١٢ ميلاً ثم إلى مشلل ٩ أميال ثم إلى قديد ٨ أميال ثم إلى أمج ميلين، ثم إلى الروضة ٤ أميال ثم إلى كديد ميلان، ثم إلى عسفان ٧ أميال، فتكون المسافة من قديد إلى عسفان ٢٣ ميلاً، ثم إلى وادي الكراع ١٢ميلاً، ثم إلى جنابذ ٧ أميال، ثم إلى بطن مر ٤ أميال ، فتكون المسافة بين عسفان وبطن مر ٢٣ ميلاً، ثم إلى سرف ٧ أميال، ثم إلى مكة ٦ أميال فتكون المسافة بين بطن مر إلى مكة ١٣ ميلاً[١]، فتكن المسافة بين المدينة ومكة مئتي ميل[٢].

ويخرج من هذا الطريق فرع يصل إلى بدر يبدأ من الرويثة إلى الصفراء بمسافة ١٢ ميلاً ثم إلى بدر ٢٠ ميلاً،[٣] وآخر يبدأ من الروحاء إلى خيف نوح ١٢ميلاً، ثم إلى المصلى ٣ أميال ثم إلى الخيام بميل واحد، ثم إلى الأثيل بميلين، ثم إلى بدر ٣ أميال، ثم يستقيم الطريق إلى الجحفة مسيرة يومين في أرض صحراوية مقفرة فيها بعض الآبار العذبة[٤]

وهناك طريق آخر ، إذ قد يعدل الناس عن الأبواء فيسيرون من السقيا إلى ودان وهي وراء الأبواء بـ ٨ أميال، ثم إلى عقبة هرشي ٥ أميال، ثم إلى ذات الأصافر بميلين ثم إلى الجحفة تفصل بين الطريقين مسافة ميلين فقط[٥].

---

(١) الحربي ، المناسك، ص ٤٢٥ فما بعدها.البكري، معجم، ص ٩٥٤-٩٥٥. بينما لم يذكر كل من ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٠، ١٣١ . ابن رسته، الاعلاق، ص ١٧٧، ١٧٨، قدامة، نبذه،ص ١٨٧، الإدريسي، جزيرة ٢٣-٢٤. المحطات التالية التي ذكرها الحربي أعلاه (الحفير، الروحاء، جي، عقبة،أثاية، العرج، الطلوب، الكلية، مشلل، خليص، أمج، الروضة، كديد،، كراع، جنايذ، سرف). والسبب كما يفهم من كلام البكري أن هذه المحطات هي بمثابة تفرعات قد لا تمر بها القافلة إلا أن الطريق الذي يمر بأثاية هو الطريق الأكثر سلوكاً . انظر البكري، معجم، ص ٩٥٤.

(٢) الحربي، المناسك، ص ٤٦٨، البكري، معجم، ص ٩٥٧. بينما تكون مجموع المسافة عند ابن خرداذبة ،المسالك، ص ١٣٠، ١٣١ (٢٦٣) ميلاً. وعند ابن رسته، الاعلاق، ص ١٧٧، ١٧٨، (٢٥٣) ميلاً، وعند الإدريسي، جزيرة، ص ٢٤، (٢٧٠) ميلاً، ولم يحدد المقدسي المسافة بالأميال بل حددها بـ (١١) مرحلة، المقدسي، أحسن، ص ١٠٦.

(٣) البكري، معجم ص ٩٥٥.

(٤) الحربي، المناسك، ص ٤١٨ فما بعدها.

(٥) البكري، معجم، ص ٩٥٤، ٩٥٥.

٢- الطريق من مكة إلى الطائف:

ترتبط مكة والطائف بطريقين: أولهما يبدأ من بئر ابن المرتفع[١]، ثم إلى قرن المنازل ثم إلى الطائف[٢]، ويبلغ طول هذا الطريق ثلاث مراحل[٣]، ويستغرق المسير فيه ثلاثة أيام[٤].

والآخر يسمى طريق العقيق[٥]، وهو الطريق الذي يأتي على عرفة[٦]، ثم بطن نعمان، ثم يصعد على عقبة حراء[٧]، فيشرف على الطائف، ثم يهبط ويصعد عقبة خفيفة[٨]، ثم يدخل الطائف[٩]، وهذا الطريق أقصر من الأول بمرحلة واحدة[١٠]، إذ يمكن قطعه بيومين[١١].

٣- الطريق من اليمن إلى مكة:

ترتبط اليمن ومكة بطريقين أحدهما على طريق نجد، والآخر على تهامة[١٢]، وقد أولى الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، عناية فائقة في وصف هذيه الطريقين، وتحديد مسافاته بالأميال والبرد والمراحل، وتستغرق القافلة في قطع المسافة بين اليمن ومكة عشرين يوماً[١٣].

---

(١) يضع الحربي بدل هذا المنزل، منزل يقال به (زيمة) انظر الحربي، المناسك، ص ٦٥٤.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٤، وانظر ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨٤، قدامة، نبذة، ص١٨٧. المقدسي، أحسن، ص ١١٢ الإدريسي، جزيرة، ص ٢٦.

(٣) قدامة، نبذة، ص ١٨٧. المقدسي. ، أحسن، ص ١١٢.

(٤) الحربي، المناسك، ص ٦٥٤.

(٥) الإدريسي، جزير ة، ص ٢٦. ويسمى أيضا طريق العقبة، انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٤، ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨٤.

(٦) تبعد عرفة عن مكة ٣ أميال، الإدريسي، جزيرة، ص ٢٦.

(٧) وتسمى أيضاً عقبة (كدي) الإدريسي، جزيرة، ص ٢٦.

(٨) وتسمى أيضاً عقبة (تنعيم)، قدامة، نبذة، ص ١٨٨.

(٩) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٤.

(١٠) المقدسي، أحسن، ص١٢٢.

(١١) الحربي، المناسك، ص٦٥٤.

(١٢) الهمداني، صفة، ص ٣٠١- ٣٠٣.

(١٣) ابن الفقيه، مختصر، ص٣١.

طريق نجد:

لقد حدد الهمداني طول هذا الطريق ب ٢٢ مرحلة[١]، ومن البرد[٢] ٣٥ بريداً، فتكون المسافة ٤٢٠ ميلاً[٣].

ويبدأ هذا الطريق من صنعاء إلى ريدة[٤] بمسافة عشرين ميلاً، ثم إلى أثافت ١٦ ميلاً، ثم إلى خيوان ١٥ ميلاً، ثم إلى العمشية ١٧ ميلاً، ومنها إلى صعدة[٥] ٢٢ ميلاً، ثم العرقة ٢٢[٦] ميلاً ثم المهجرة ١٢ ميلاً، وفي كثير من الأحيان يتم تجاوز المهجرة إلى أرينب الذي يبعد عن العرقة ٢٥ ميلاً، ومنها إلى سروم الفيض[٧] ٢٤ ميلاً، ثم إلى ثجة ١٦ ميلاً[٨]، ثم كتنة ٢٠ ميلاً، وهي أول حد الحجاز[٩]، ثم إلى يهمبم[١٠] ٢٠ ميلاً، ثم إلى بنات حرب٢٠[١١] ميلاً، ثم إلى الجداء ٢٢ ميلاً، ثم إلى بيشة بعطان ٢١ميلاً، ثم إلى تبالة ١١ ميلاً ثم إلى القريحا ٢٢[١٢] ميلاً. ثم كرى ١٦ ميلاً، ثم تربة[١٣] ١٥ ميلاً، ثم الصفن ٢٢

---

(١) بينما يذكر اليعقوبي، البلدان، ص ٨ بأنها تبلغ ٢١ مرحلة، وهو أصح من تحديد الهمداني لأن الأخير اعتبر المسافة بين عرقة والمهجرة والبالغة ١٢ ميلاً تساوي مرحلة. الهمداني، صفة، ص ٣٠٢، فتكون المرحلة عند اليعقوبي = ٢٠ ميلاً، وهي أقرب إلى الواقع.

(٢) البريد = أربع فراسخ، والفرسخ = ٣ أميال، ابن رستة، الأعلاق، ص ٢٢، السمهودي، وفاء الوفا، ١/ ١٠٣.

(٣) الهمداني، صفة ص ٣٠١.

(٤) تجاوز ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٦ هذه المحطة إلى أثافت.

(٥) ذكرها الإدريسي، جزيرة، ص ٢٨. باسم (صفرة).

(٦) وقد تسمى (عرفة) المقدسي، أحسن، ص ١١١. الإدريسي، جزيرة، ص ٢٨.

(٧) وقد تسمى سروم براح، انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٥.

(٨) ذكر الإدريسي، جزيرة، ص ٢٨. بدلها موضع يقال له النجم.

(٩) ذكر ابن خرداذبة أن شجر طلحة الملك هي الحد ما بين عمل مكة واليمن، انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٥.

(١٠) ذكرها الحربي باسم (ينبم) الحربي، المناسك، ص ٦٤٤. وذكر الإدريسي بدلها (سنخة). الإدريسي، جزيرة، ص ٢٨.

(١١) وتسمى أيضاً (بنات جرم)، المقدسي، أحسن، ص ١١١. قدامة، نبذة، ص ١٩٢. وقد جاءت باسم (نبات حرب) الإدريسي، جزيرة، ص ٢٧، ٢٨.

(١٢) وضع بدلها ابن خرداذبة (رنية) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٥. ووضع مكانها الإدريسي (الرويثة) الإدريسي، جزيرة، ص ٢٧.

(١٣) لم يذكر هذا الموضع، ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٥. والإدريسي، جزيرة، ص ٢٧.

ميلاً، ثم الفتق ٢٣[١] ميلاً، ومنها إلى رأس المناقب ١٢ ميلاً، وهي ليست بمنزل إنما المنزل هو قرن المنازل الذي يبعد عنها ٦ أميال، ثم إلى رمة ١٨ ميلاً، ثم إلى مكة[٢].

ب- طريق تهامة (الطريق الساحلي):

يبدأ هذا الطريق من صنعاء ثم البون، فالموبد، ثم أسهل العرقة، ثم الصرحة، ثم رأس الشقيقة، ثم حرض، ثم الخصوف، ثم الهجر، ثم العثر، ثم بيض، ثم زنيف، ثم ضنكان، ثم المعقد، ثم حلي، ثم الجوثم، (وتسمى القناة)، ثم دوقة، ثم إلى السرين، ثم إلى المعجر، ثم الخيال، ثم يلملم[٣]، ثم ملكان، ثم مكة. وطريف المحجة القديمة ترتفع من حلي العليا وتسمى حلية ثم عشم، ثم الليث ومركوب، ثم إلى يلملم[٤].

ومما يميز وصف الهمداني ويفضله على غيره أنه قدر المسافات التي تفصل بين المنازل بالأميال، بينما ذكر (الحربي وابن خرداذبة وقدامة والإدريسي) المنازل دون ذكر المسافات، أما المقدسي فهو يقر بأنه لا يضبط مراحل الطريق حيث يقول: « وأما طريق اليمن فلا أكاد أضبط مراحله كغيرها من الكور»[٥].

٤- الطريق من عدن إلى مكة:

ترتبط عدن بمكة بطريقين: أحدهما محاذٍ لساحل البحر الأحمر، والآخر يسير عبر بواد وأودية المنطقة، وتستغرق الرحلة فيهما نحو شهر.

والطريق الساحلي أطول من الطريق الثاني، والسائر فيها يأخذ على صنعاء وصعدة وجرش وبيشة وتبالة حتى يصل مكة[٦]. كما أشار الهمداني إلى هذه الطريق الذي يبدأ من عدن لحج ثم الصهيب، ثم الحبيل، ثم أسفل الأردم، ثم صور، ثم ثريد، ثم ذوبلق، شراد، ثم أعلى

---

(١) تجاوز الإدريسي هذه المحط ولم يذكرها، الإدريسي، جزيرة، ص ٢٧.
(٢) الهمداني، صفة، ص ٣٠١ فما بعدها.
(٣) يلملم هي مكان إحرام حجاج اليمن.
(٤) الهمداني، صفة، ص ٣٠٣- ٣٠٤. انظر اليعقوبي، البلدان، ص ٨٠.
(٥) المقدسي، أحسن ص ١١٢.
(٦) ابن حوقل، صورة، ص٤١.

شرعة من ناحية عباصر، ثم يكلي، ثم صنعاء، ثم محجة صنعاء إلى مكة[١].

أما الطريق الثاني يسمى طريق الصدور، فيبلغ طوله عشرون مرحلة، لكنه أقل سلوكاً من الطريق الساحلي[٢]، ويبدأ من عدن أيضاً إلى المخنق، ثم الحجاز، ثم المسيل ثم عبرة، ثم كهالة، ثم الماجلية، ثم المقعدية، ثم زبيد، ثم المعقر، ثم الكدراء، ثم المهجم، ثم وادي سهام، ثم بلجة، ثم الحسارة، ثم العباية، ثم الشرجة، ثم العرش، ثم عثر[٣]، ثم يسير الطريق على المراحل التي ذكرناها في طريق اليمن مكة.

٥- الطريق من عمان إلى مكة:

ترتبط عمان بمكة بطريقين أحدهما ساحلي الذي يبدأ من عمان إلى خرق، ثم إلى عوكلان، ثم إلى ساحل هباة[٤]، ثم إلى الشحر، ثم إلى مخلاف كندة، ثم إلى مخلاف عبدالله بن مذحج، ثم مخلاف لحج، ثم عدن آبين (مغاص اللؤلؤ)، ثم إلى مخلاف بني مجيد، ثم إلى المنجلة، ثم إلى مخلاف الركب، ثم إلى المندب[٥]، ثم إلى مخلاف زبيد، ثم غلافقة[٦]، ثم إلى مخلاف عك، ثم إلى الحردة، ثم إلى مخلاف حكم، ثم إلى عثر، ثم إلى مرسي ضنكان، ثم إلى مرسي حلي، ثم إلى السرين، ثم إلى أغيار، ثم إلى الهرجاب، ثم إلى الشعبية، ثم إلى منزل، ثم إلى جدة، ثم إلى مكة[٧].

وثمة طريق آخر بري يبدأ من عثر إلى العرش وهو طريق الجادة [٨]، إلا أنه قلما تسلكه القوافل، وذلك لوجود صعوبات تكتنف الطريق ، فهو يسير في قفار واسعة، كما أن الخدمات فيه قليلة، لقلة السكان فضلاً عن أن القافلة قد تتعرض لغارات بعض القبائل

(١) الهمداني، صفة، ص٣٠٥،٣٠٦.

(٢) ابن حوقل، صورة، ص٤١.

(٣) الهمداني، صفة، ص٣٠٤.

(٤) وقد تسمى (منى) انظر قدامة، نبذة، ص١٩٢.

(٥) يضيف قدامة (مخلاف رمح) بين المندب وزبيد، قدامة، نبذة، ص١٩٢.

(٦) لم يذكر قدامة هذا المنزل، قدامة، نبذة، ص١٩٢.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٤٧ ، ١٤٨ . انظر قدامة، نبذة، ص١٩٢ ، ١٩٣ .

(٨) قدامة، نبذة، ص ١٩٢ .

القاطنة في المنطقة خاصة شمال البحرين مما يجعل الطريق غير آمن، لذلك فإن المسافرين يسلكون طريق البحر لغاية عدن ومنها يسافرون براً أو بحراً[١].

الطريق من اليمامة إلى مكة:

يصف ابن خرداذبة هذا الطريق من غير أن يذكر المسافات التي تفصل بين المنازل، حيث يبدأ من اليمامة إلى العرض ثم إلى الحديقة، ثم إلى السيح، ثم إلى الثنية[٢]، ثم إلى سقيراء[٣]، ثم إلى السد، ثم إلى صداة[٤]، ثم إلى شريفة[٥]، ثم إلى القريتين من طريق البصرة، حيث يلتقي بالطريق الذي يربط البصرة بمكة[٦]، ويسير على نفس المنازل، ويحدد الإدريسي طول هذا الطريق بست مراحل[٧] إلى ما يعادل ١٢٠ ميلاً إذا اعتبرنا المرحلة تساوي ٢٠ ميلاً.

الطرق التي تربط شبه جزيرة العرب ببلاد الشام ومصر والعراق

١- الطريق بين بلاد الشام ومكة:

أ- سرايا الرسول ﷺ:

ارتبط الحجاز ببلاد الشام بطرق عديدة، هي من أهم وأقدم الطرق التي تربط الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة تجارياً، وفضلاً عن كتب الجغرافية، فقد تحدثت كتب السيرة عن هذا الطريق، لارتباطه بالسرايا التي كان الرسول ﷺ يرسلها لاعتراض قوافل قريش التجارية القادمة من بلاد الشام، لكن كتب السيرة لم تصفه بدقة، وإنما اكتفت بالإشارة إلى المواضع

(١) الإدريسي، جزيرة، ص ٤٣.
(٢) وتسمى ثنية العقاء. انظر قدامة، نبذة، ص١٩١.
(٣) وتذكر باسم (الصفراء)، الإدريسي، جزيرة، ص٤٤.
(٤) وتذكر باسم (مرارة)، قدامة، نبذة، ص١٩١. بينما يسميها الإدريسي، جزيرة، ص٤٤. باسم (صدا).
(٥) وتذكر أيضاً اسم (سويقة) انظر قدامة، نبذة، ص ١٩١. الأصفهاني، بلاد، ص ٢٤٢.
(٦) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٨. قدامة، نبذة، ص ١٩١. كما وصف الإدريسي هذا الطريق لكنه لم يذكر بعض المنازل، مثل (السيح، السد، والشريفة) الإدريسي، جزيرة، ص٤٤.
(٧) الإدريسي، جزيرة، ص٤٤.

التي كانت هذه السرايا تعترض فيها قوافل قريش التجارية، ويشير ابن هشام إلى ذلك في رواية عن ابن اسحاق إلى أن الرسول ﷺ خرج غازياً «حتى بلغ ودان وهي غزوة الأبواء يريد قريشاً»[١]، وذكر أيضاً «ثنية المروة»[٢] و«سيف البحر»[٣] و«بواط»[٤] و«الخرار»[٥] كما تحدث عن طريق بدر[٦]، وإذا ما علمنا أن هذه المواضع تقع في الأطراف الغربية لإقليم الحجاز[٧]، فلا بد إذن أنها تقع على قوافل قريش التجارية القادمة من بلاد الشام، إلا أن (الدكتور العلي) يرى ان هذه الطرق التي سلكها الرسول ﷺ في غزواته وسراياه ليست هي طرق القوافل التجارية نفسها، لأنه ﷺ حاول أحيانا التخفي وتجنب الطرق العامة[٨].

ب- طريق القوافل القديم (المعروف بالتبوكية)

تشير رواية عن ابن اسحاق أن أبا بكر -رضي الله عنه- لما جهز الجيوش إلى بلاد الشام «بعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة. . . وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام»[٩]، ويقول (موسل) أن هذا الطريق هو نفسه طريق الحاج الشامي، خاصة بعد تحرير بلاد الشام[١٠]. وقد حدد ابن خرداذبة المناطق التي يمر بها هذا الطريق الذي يبدأ من «دمشق إلى منزل، ثم إلى منزل، ثم إلى ذات المنازل، ثم إلى سرغ، ثم إلى تبوك، ثم إلى المحدثة، ثم إلى الأقرع، ثم إلى الجنينة[١١]، ثم إلى

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ٥٩١. الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٠٤ فما بعدها، والمسعودي، التنبيه، ص٢٠٢.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ص ٥٩١. الطبري، ٢/ ٤٠٤.
(٣) ابن هشام، السيرة ق١، ص ٥٩٥. الطبري، تاريخ ٢/ ٤٠٤.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق١، ص ٥٩٨. الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٠٤.
(٥) ابن هشام السيرة، ق١، ص ٦٠٠.
(٦) م. ن. ص ٦١٣، ٦١٤.
(٧) العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٥.
(٨) م. ن. ص ٩٦٣، ٩٦٤.
(٩) الطبري، تاريخ، ٣/ ٣٨٧.
(١٠) موسل، شمال الحجاز، ص ١٥٥.
(١١) لـ (موسل) ملاحظة حول موقع الجنينة فهو يرى أن موقعها يجب أن يكون بين تبوك والمحدثة، لأن المسافة بين الأقرع والحجر هي (٤٠) كم فقط، ولا يحتمل أن يكون بها منزل آخر، موسل، شمال =

الحجر، ثم إلى وادي القرى... ثم إلى الرحيبة، ثم إلى ذي المروة ثم إلى مر، ثم إلى السويداء، ثم إلى ذي خشب، ثم إلى المدينة»[١]. ومما يلاحظ على وصف ابن خرداذبة أنه لم يقدر المسافة بين المنازل بالأميال، ويرجع (موسل) السبب إلى عدم وجود العلامات على جميع أجزاء هذا الطريق[٢]، كما أن ابن خرداذبة لا يسمي المنزلين الأولين باسميهما، ولا يشك (موسل) بأن الموضع الأول بعد دمشق هو (الكسوة) والموضع الثالث الذي ذكره باسم ذات المنازل هو (اذرعات) الذي يقع جنوب دمشق بمسافة ١٥٠كم[٣]. كما أن الحربي يسمي الموضع الأول باسم (الصمين) ولم يذكر الموضع الثاني الذي يسبق أذرعات[٤]، بينما تجاوز قدامة الموضوعين الأولين وبدأ وصفه للطريق بذات المنازل[٥]. ويبدو أن هذا الاختلاف على الموضعين الأولين ربما كان بسبب عدم أهميتهما لقربهما من دمشق، فكثيراً ما كانت القوافل التجارية تتجاوز بعض المنازل التي لا ترى ضرورة للتوقف بها.

جـ- الطريق الساحلي:

وهو طريق المعرفة الذي أشار إليه الطبري في رواية عن ابن إسحاق قال: «لما قفل أبو بكر رضي الله عنه من الحج سنة اثنتي عشرة، جهز الجيوش إلى الشام فبعث عمرو بن العاص قبل فلسطين فأخذ طريق المعرقة على أيلة»[٦]. ومن الجدير بالذكر أن هذا الطريق أقصر طريق التبوكية حيث «تختصره العرب إلى الشام ومكة»[٧]، وهو نفسه الذي سلكه أبو سفيان مع القافلة التجارية القادمة من بلاد الشام حين علم بخروج النبي ﷺ وأصحابه

= الحجاز، ص١٥٦. لكن هذا ليس دليلاً كافياً لتغيير موضع الجنينة، لأن الكثير من المنازل والتي ذكرتها المصادر كانت المسافة بينهما أقل بكثير من ٤٠كم.

(١) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٥٠. ابن رسته، الإعلاق، ص١٨٣.

(٢) موسل، شمال الحجاز، ص١٥٥.

(٣) م.ن.ص١٥٦.

(٤) الحربي، المناسك، ص ٦٥٣.

(٥) قدامة، نبذة، ص ١٩١.

(٦) الطبري، تاريخ، ٣ / ٣٨٧. ولمزيد من المعلومات عن هذا الطريق انظر العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٨.

(٧) العلي، طرق المواصلات، ص ٩٦٨.

رضي الله عنهم إلى بدر وأنهم معترضون له إذ يقول الطبري: «وكان ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام فخفض أبو سفيان عن بدر ولزم طريق الساحل، وخاف الرصد على بدر»[١]، وهذا يوضح لنا أن بدراً تقع على طريق بلاد الشام، إلا أنه لم يوضح مقدار المسافة بين الطريقين ولا المكان الذي تحول منه أبو سفيان، ويبدو أن المسافة بين الطريقين كانت واسعة بحيث لم يشعر الرسول ﷺ بتحول القافلة، لكن هناك ما يشير إلى أن الطريق الساحلي يقع يمين بدر، يذكر الطبري أن أبا سفيان «ضرب وجه عيره على الطريق فساحل بها وترك بدراً يساراً»[٢].

ومهما يكن من أمر فإن الطريق التي تربط الحجاز ببلاد الشام كانت نشيطة بحيث أشار إليها القرآن الكريم في سورة قريش.

طريق نجد:

يمر هذا الطريق بالفردة كما يشير إلى ذلك المسعودي في سرية زيد بن حارثة التي أرسلها الرسول ﷺ لاعتراض قافلة لقريش يقول المسعودي: إن زيد بن حارثة ذهب إلى «الموضع المعروف بالفردة في أرض نجد بين الربذة والغمرة وذات عرق من جادة العراق يعترض عيراً لقريش تريد الشام فظفر بها»[٣] ومن رواية المسعودي هذه يبدو أن هذا يميل أكثر من غيره نحو العمق بالنسبة لشبه جزيرة العرب، إلا أنه في الوقت نفسه يبدو أيضاً أقل أهمية من الطرق التي سبق أن ذكرناها والتي كانت تربط الحجاز ببلاد الشام.

٢- الطريق بين مصر ومكة:

لم يتم قياس الطريق الذي يربط الحجاز بمصر بصورة دقيقة[٤]، أي أن المسافة لم تقدر بالأميال أو الفراسخ، أو حتى البرد، لكن ابن حوقل قدر المسافة بين مصر والمدينة على الساحل بعشرين مرحلة[٥]، وهذا التقدير لا يمكن اعتباره أساساً لتقدير المسافة، لأن معدل

(١) الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٢٢.
(٢) الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٣٧ و ٤٣٨ وانظر ابن هشام، السيرة، ق١ ص ٦١٨.
(٣) المسعودي، التنبيه، ص٢١٠. وانظر العلي، طرق المواصلات، ص٩٦٩.
(٤) موسل، شمال الحجاز ص١٤٧.
(٥) ابن حوقل، صورة، ص٤٠.

ما تقطعه القافلة يختلف في القوافل التجارية عنه في قوافل المسافرين والحجاج[١].

ومهما يكن من أمر فقد ربطت الحجاز بمصر بطريقين، يمران بعدة منازل مشتركة لغاية المنزل الذي يطلق عليه (مدين) حيث يفترق الطريقان فيذهب أحدهما إلى المدينة، بينما يذهب الآخر إلى مكة دون المرور بالمدينة[٢].

ويصف اليعقوبي هذا الطريق الذي يبدأ بموضع يقال له عميرة، ثم إلى قرقورة في صحراء خالية من الماء، ثم إلى عجرود[٣]، ثم إلى جسر القلزم الذي يؤدي إلى مدينة القلزم، ثم إلى ايلة[٤]، ثم شرف البعل[٥] ، ثم مدين[٦]، وهي مفرق الطريق كما سبق أن ذكرت ويذهب الطريق الأول إلى المدينة، فيأخذ بعد الخروج من مدين إلى موضع يقال له

(١) موسل، شمال الحجاز، ص١٤٦.

(٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٠٠. وانظر ابن حوقل، صورة ٤٠. بينما يرى قدامة أن مفرق الطريق هو قبل مدين في موضع (شرف البعل) قدامة، نبذة، ص١٩١. في حين يذكر الحربي أن (أيلة) هي مفرق الطرق،الحربي، المناسك، ص٦٤٩. لكن (موسل) يرى أن تضاريس الأرض في هذه المنطقة لا تمكن الحجاج من أن يخرجوا من شرف البعل إلى الأعز (وهو المنزل الذي يلي مدين) مباشرة دون المرور بمدين» موسل، شمال الحجاز، ص١٤٩.

(٣) يذكر ابن خرداذبة وابن رسته المنازل قبل عجرود كالآتي: (الفسطاط، الجب، البويب، منزل ابن بندقة) انظرابن خرداذبة، المسالك ص١٤٩. ابن رسته، الأعلاق، ص١٨٣. بينما يسمي قدامة منزل ابن بندقة (بيرمة) قدامة، نبذة، ١٩٠، ويسميه الحربي منزل أم سعد، ويضع منزل آخر بين الجب والبويب يسميه (الحفر)، الحربي، المناسك، ص٦٤٩.

(٤) أيلة: هي مجتمع حاج الشام ومصر والمغرب انظر اليعقوبي، البلدان، ص٩٩. ابن حوقل صورة، ص٤٠. وتبعد ايلة عن شرف البعل ٨٠ كم انظر موسل، شمال الحجاز، ص١٤٨ يضع ابن خرداذبة قبل ايلة المنازل التالية: (الذنبة، الكرسي، الحفر، ثم إلى منزل (لم يسميه). ابن خرداذبة، المسالك، ص١٤٩، بينما يسمي ابن رسته منزل الذنبة باسم (الرميثة) ابن رستة، الاعلاق، ص١٨٣، ويضع قدامة بدله موضع يسميه (الربيبة) كما يسمي المنزل الذي يلي الكرسي (الحصن) بدلاً عن (الحفر) قدامة، نبذة، ص١٩٠. ويرتب الحربي، المنازل كالآتي: (عجرود، قلزم، الكرسي، الحفر، نخل، ايلة) انظر الحربي، المناسك، ص٦٤٩.

(٥) ويسمى (شرف النمل) انظر ابن رسته، الاعلاق، ص ١٨٣. ويسمى أيضاً (شرف ذي النمل) انظر المقدسي، أحسن، ص ١١٠. ولم يذكره ابن خرداذبة، ووضع بدله منزل أسماه (حقل) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٩.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٩٩، ١٠٠.

إغراء[١]، ثم إلى قالس[٢]، ثم إلى شغب[٣]، ثم إلى جدا، ثم إلى السقيا[٤]، ثم ذي المروة، ثم إلى ذي خشب، ثم إلى المدينة[٥].

أما الطريق الآخر الذي يذهب إلى مكة فهو الطريق الساحلي، حيث يسلكه من أراد مكة دون المرور بالمدينة، ويبدأ أيضاً من مدين، ثم عينونا[٦]، ثم العونيد[٧]، ثم الصلا، ثم البنك ثم القصيبة، ثم البحرة، ثم المغيثة، ثم ضبة، ثم الوجه، ثم منخوس، ثم الحوراء، ثم الجار، ثم الجحفة[٨]، ثم قدير ، ثم عسفان، ثم إلى بطن، ثم إلى مكة[٩].

ويبدو أن هذا الطريق ظل مستعملاً لحقبة طويلة حتى زمن المقدسي[١٠].

٣- الطريق بين العراق ومكة:

من الطرق المهمة التي تربط شبه الجزيرة العربية بالبلاد المجاورة، هو الطريق التجاري القديم الذي يربطها بالعراق، حيث كانت مكة ترتبط بعلاقات تجارية كبيرة مع الحيرة ولست

(١) يَضع الحربي هذا المنزل بعد قالس ويسميه (الاغر) الحربي، المناسك، ص ٦٥٠.

(٢) لم يذكره كل من ابن خرداذبة وابن رسته وقدامة، ووضعوا بعد الاغر منزل لم يسموه ثم منزل الكلابة، انظر بان خرداذبة، المسالك، ص ١٤٩. ابن رسته،الاعلاق، ص ١٨٣. قدامة، نبذة، ص ١٩١. فيما يسمى الحربي منزل الكلابة (بالكلابية) الحربي، المناسك، ص ٦٥٠، ويرى موسل أنه نفس العين المعروفة باسم الكليب، موسل، شمال الحجاز، ص ١٤٧.

(٣) يضع الحربي هذا المنزل بعد (بدا) وليس قبله. الحربي، المناسك، ص ٦٥٠.

(٤) لا يذكرها ابن خرداذبة وابن رسته وقدامة ويضعون المنازل بين بدا والمدينة كالآتي: (بدا، السرحتين، البيضاء، وادي القرى، الرحبية، ذي المروة، المر (لم يذكرها قدامة) ثم السويداء، ذي خشب، ثم المدينة) انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٥٠. ابن رسته، الاعلاق ص ٨٧. قدامة، نبذة، ص ١٩١.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٠٠.

(٦) لم يذكر قدامة والمقدسي هذا الموضع، انظر قدامة، نبذة، ص ١٩١. المقدسي، أحسن، ص١١٠.

(٧) يضعه قدامة المقدسي بعد ضبة، قدامة، نبذة، ص ١٩١. المقدسي، أحسن، ص ١١٠، كما يضعه الحربي بعد ضبة إلا انه يضع بينه وبين ضبة منزل آخر هو (مرة) . الحربي، المناسك، ص ٦٥١.

(٨) الجحفة، هي مجتمع حجاج العراق بحجاج الشام وفلسطين ومصر . انظر ابن حوقل، صورة، ص ٤١. ياقوت، البلدان، ٤/٤٦٨.

(٩) اليعقوبي، البلدان، ص ١٠٠.

(١٠) المقدسي، أحسن، ص ١١٠.

هنا في مجال تفصيل هذه العلاقات[١]، لكن بقدر تعلق الأمر بالطريق الذي كان يربط الحيرة بمكة، فإنه من الضروري أن أشير إلى الروايات التاريخية التي أشارت إلى أن ملك الحيرة، النعمان بن المنذر كان يبعث في كل عام بلطيمة[٢] تباع له في سوق عكاظ ويشتري له بثمنها ما يحتاجه من البضائع[٣].

فلا بد إذن أن يكون هناك طريق يربط الحيرة بالحجاز، ومن الجدير بالذكر أن هذا الطريق لم يكن آمناً، لذلك كان يتوجب على النعمان أن يبحث عمن يحمي له هذه اللطيمة وهي تسير في الصحراء، وهذا ما أشار إليه الأصفهاني فذكر أن سيد مضر كان يجيزها للنعمان[٤]، كما أن محاولة السيطرة على هذا الطريق وتأمين سير القوافل التجارية عليه كان سبباً في قيام الفجار[٥]، وهذا ما يؤكد لنا أهمية هذا الطريق الذي يربط الحيرة وبلاد فارس بمكة واليمن[٦]، لكن هذه الروايات التاريخي لم تهتم بمراحل الطريق الذي كانت تسلكه هذه القوافل، لكن رواية الأصفهاني تشير إلى أن الطريق كان يخترق نجد[٧]، ويستنتج (الدكتور يوسف خليف) من هذه الرواية أن هذا الطريق يبدأ من «الحيرة ثم يمضي مع وادي الرمة حتى يصل إلى خيبر ، ومنها عن طريق وادي القرى، إلى يثرب ثم إلى مكة في الطريق الذي يصل بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبها، ومن مكة إلى عكاظ»[٨].

وفضلاً عن هذا الطريق ارتبط الحجاز بالعراق بطريقين آخرين هما: طريق الكوفة مكة، وطريق البصرة مكة.

---

(١) انظر في هذه العلاقات. كستر ، الحيرة، ص ٨ فما بعد.

(٢) اللطيمة: المسك،و قال ابن دريد هي كل ضرب من الطيب يحمل على الصدغ، واللطيمة وعاء المسك وقيل: هي العير، تحمله وقيل: سوقه وقيل: كل سوق يجلب إليها غير ما يؤكل من حر الطيب والمتاع غير الميرة. وقال الجوهري: اللطيمة العير تحمل الطيب وبز التجار وربما قيل لسوق العطارين لطيمة. انظر ابن منظور، لسان، ١٢/ ٥٤٣- ٥٤٤.

(٣) الأصفهاني، الأغاني ١٩/ ٧٥.

(٤) م. ن، وانظر عن هذا الموضوع ص ١٦٣. من هذه الرسالة.

(٥) وات، محمد في مكة، ص ٣٥، ٣٦. كستر، الحيرة، ص ٢١.

(٦) وات، محمد في مكة، ص ٣٥.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٥.

(٨) خليف، الشعراء، ص ١٢٥، ١٢٦.

أ - الطريق بين الكوفة ومكة:

يسير الطريق الذي يربط الكوفة بالحجاز في مناطق عامرة بالمنازل والمناهل[١]، وأول هذه المنازل بعد الخروج من الكوفة هو القادسية[٢]، ويفصل بينهما ١٤ ميلاً، ثم إلى المغيثة[٣] ٣٦ ميلاً، ثم إلى القرعاء ٢٥ميلاً، ثم إلى واقصة ٢٢ميلاً، ثم إلى العقبة ٢٥ميلاً، ثم إلى القاع ٢٠ ميلاً، ثم إلى زبالة ١٨ ميلاً، ثم إلى الشقوق ١٩ميلاً، ثم إلى بطان ٢٢ ميلاً، ثم إلى الخزيمية[٤] ٢٨ ميلاً، ثم الأجفر ٢٠ميلاً، ثم إلى فيد[٥] ٢٨ ميلاً، ثم إلى توز ٢٤ميلاً، ثم إلى سميراء ٢٥ميلاً، ثم إلى الحاجر ٢٣ ميلاً، ومنها إلى معدن النقرة ٢٨ ميلاً[٦]، ومن معدن النقر يتفرع الطريق إلى فرعين، فمن أراد الذهاب إلى المدينة يعطف إلى بطن نخل، ومن أراد مكة يذهب إلى مغيثة الماوان[٧].

الطريق إلى المدينة:

يبدأ الطريق من معدن النقرة إلى العسيلة ٢٦ ميلاً، ثم إلى بطن نخل٢٨ ميلاً، ثم إلى الطرف ٢٠ ميلاً، ومنه إلى المدينة ٢٤ ميلاً[٨]، ثم يسلك الطريق الاعتيادي إلى مكة الذي ذكرته سابقاً، ويبلغ طول الطريق من الكوفة إلى المدينة نحو عشرين مرحلة[٩]، كما تبلغ

(١) اليعقوبي، البلدان، ص ٧٦.

(٢) بينما يبدأ وصف المقدسي بمنزل (زبالة) المقدسي، أحسن، ص ١٠٧.

(٣) وربما وضع قبلها منزل (العذيب) بستة أميال بعد القادسية، انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٦. قدامة، نبذة، ص ١٨٥. ابن رستة، الاعلاق، ص ١٧٥.

(٤) وتسمى أيضاً الزروب، انظر اليعقوبي، البلدان ص ٧٦. ابن رستة، الاعلاق، ص ١٧٥، ١٧٦، وهناك من وضع منزل آخر بعدها وهو (الثعلبية) الذي يمثل ثلث الطريق إلى مكة، الحربي، المناسك، ص ٥٥٠. ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٧. قدامة، نبذة،ص ١٨٦. ابن رستة، الاعلاق، ص١٧٦. المقدسي، أحسن، ص ١٠٧.

(٥) فيد: هي منتصف الطريق، انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٧. في حين يرى المقدسي، أحسن، ص ١٠٨. أن (توز هي منتصف الطريق).

(٦) الهمداني، صفة، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٧٦.

(٨) الهمداني، صفة، ص ٣٠٠.

(٩) ابن حوقل، صورة، ص ٤٠.

المسافة بين الكوفة وصعدن النقرة ٣٧٧ ميلاً[١]، ومن معدن النقرة إلى المدينة ٩٨[٢] ميلاً فتكون مجموع المسافة ٤٧٥ ميلاً.

الطريق إلى مكة:

ويبدأ أيضاً من معدن النقرة إلى مغيثة الماوان ٣٣ ميلاً، ثم إلى الربذة ٢٤ ميلاً، ثم إلى معدن بني سليم[٣] ٢٤ ميلاً، ثم إلى السليلة ٢٦ ميلاً، ثم إلى العمق ٢١ ميلاً، ثم إلى الأفيعية ٣٢ميلاً، ثم إلى المسلح ٣٤ميلاً، ثم إلى الغمرة ١٨ ميلاً، ثم ذات عرق[٤] ٢٦ ميلاً، ثم بستان بني عامر ٢٢ ميلاً، ثم إلى مكة ٢٤ ميلاً[٥]، فتكون مجموع المسافة ٢٨٤ ميلاً[٦]، وهذا الطريق أقصر من الذي سبقه بمقدار ثلاث مراحل، حيث يبلغ الأول من الكوفة إلى المدينة إلى مكة٣٠ مرحلة[٧]، أي أن طول هذا الطريق ٢٧ مرحلة[٨].

ب - الطريق بين البصرة ومكة:

تبلغ مراحل الطريق من البصرة إلى مكة حوالي ٢٧ مرحلة[٩]، بينما تبلغ مراحله إلى المدينة ١٨ مرحلة[١٠].

---

(١) بينما يذكر ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٥، أن المسافة ٤٦٧ ميلاً، في حين يذكر قدامة، نبذة، ص ١٨٦، أنها تساوي ٤٣٦ ميلاً.

(٢) وتساوي ١٣٩ ميلاً، لدى ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٢٨. قدامة، نبذة، ص ١٨٧. وعند ابن رستة، الاعلاق، ص ١٧٦، ١٧٧. تساوي ١٢٨ ميلاً.

(٣) يضعه البعض بين منزلي العمق والأفيعية انظر اليعقوبي، البلدان، ص ٧٦. الحربي، المناسك، ص ٥٥٣. ابن رستة، الاعلاق، ص ١٧٩.

(٤) ذات عرق ميقات أهل العراق، انظر ابن رستة، الاعلاق، ص ١٧٩. بينما يذكر ابن خرداذبة، منزل (المسلح) على أنه ميقات أهل العراق، ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣٢.

(٥) الهمداني، صفة، ص ٣٠١. ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣١، ٣٢١.

(٦) يتفق الهمداني وابن خرداذبة على هذا الرقم بينما يكون ٢٧٤ عند ابن رستة، الاعلاق، ص١٧٨، ١٧٩.

(٧) ابن حوقل، صورة، ص ٤٠.

(٨) م. ن. وانظر ياقوت، البلدان، ٥/ ١٨٧.

(٩) ياقوت، البلدان، ٥/ ١٨٧.

(١٠) ابن حوقل، صورة، ص٤٠.

ويبدأ الطريق من البصرة إلى المنجشانية[١] ٨ أميال، ثم إلى الحفير ٢٠ ميلاً، ثم إلى الرحيل ٢٨ ميلاً ،، ثم إلى الشجي ٢٩ ميلاً، ثم إلى الخرجاء ٣٣ ميلاً، ثم إلى حفر أبي موسى ٢٧ ميلاً، ثم إلى ماوية ٣٢ ميلاً، ثم إلى ذات العشر ٢٩ ميلاً، ثم إلى الينسوعة ٢٣ ميلاً، ثم إلى السمينة ٢٩ ميلاً، ثم إلى النباج ٢٣ ميلاً، ثم إلى العوسجة ١٩ ميلاً، ثم إلى القريتين ٢٢ ميلاً، ثم إلى رامة ٢٤ ميلاً، ثم إلى امرة ٢٧ ميلاً، ثم إلى طفخة[٢] ٢٧ ميلاً، ثم إلى ضربة ١٨ ميلاً، ثم إلى جديلة ٣٢ ميلاً، ثم إلى فلجة ٣٥ ميلاً، ثم إلى الدثينة[٣] ٢٦ ميلاً، ثم إلى قبا ٢٧ ميلاً، ثم إلى الشبكية[٤] ٢٧ ميلاً، ثم إلى وجرة ٤٠ ميلاً، ثم إلى ذات عرق ٢٧ ميلاً، ثم إلى بستان بني عامر ٢٤ ميلاً، ثم إلى مكة ٢٠ ميلاً فيكون مجموع المسافة ٦٧٥ ميلاً[٥]، بينما يشير ابن رستة إلى أن المسافة بين البصرة ومكة تبلغ ٧٠٠ ميل، إلا أن التفاصيل تختلف كما يقول ابن رستة «فجميع ما بين البصرة ومكة ٢٥ مرحلة وبالأميال ٧٠٠ والتفصيل مخالف لذلك، ويجب تعرفة استقصاؤه إن شاء الله»[٦].

وهناك طريق آخر يعدل من النباج إلى معدن النقرة حيث يلتقي مع الطريق القادم من الكوفة[٧]. وتسري عليه أيضاً بعد معدن النقرة نفس الاختيارات السابقة، أي يمكن أن يذهب إلى المدينة ثم إلى مكة أو إلى مكة عن طريق الجادة.

ومما يلاحظ على طرق المواصلات في شبه جزيرة العرب، أن الجغرافيين العرب

(١) تجاوز قدامة المواضع التالية: (المنجشانية، الرحيل، الشجي، الخرجاء، حفر، أبي موسى، طفخة، الشبكية) قدامة، نبذة، ص ١٩٠. ولم يذكر المقدسي (المنجشانية، والخرجاء) ووضع منزل القريتين بين السمينة والنباج، المقدسي، أحسن، ص ١٠٩.

(٢) وتسمى أيضاً (طخثة) ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨١.

(٣) وتسمى أيضاً (الدفينة) ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٦. قدامة، نبذة ص١٩٠. ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨١.

(٤) لم يذكر ابن خرداذبة هذا الموضع، ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤٧.

(٥) الحربي، المناسك، ص ٥٧٥ فما بعدها. بينما يكون مجموع المسافة (٦٤٢) ميلاً عند ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨١. لأنه لم يذكر المسافة بين القريتين ورامة. في حين تكون المسافة ٥٦٩ ميلاً لدى المقدسي، أحسن، ص ١٠٩. لنفس السبب.

(٦) ابن رستة، الاعلاق، ص ١٨١.

(٧) م. ن، ص ١٨٢ انظر ابن حوقل، صورة، ص ٤٠.

اختلفوا في تحديد المنازل التي تتوقف فيها القوافل، كما اختلفوا في بعض منازلها، فبينما يذكر قسم منهم الكثير من المنازل، يغفل القسم الآخر بعض هذه المنازل، وربما كان هذا الإغفال بسبب عدم أهمية هذه المنازل بنظر بعض الجغرافيين، لأن المسافة التي تفصل بعض المنازل عن التي تسبقها والتي تليها لا تزيد على الميلين أو الثلاثة أميال، فليس من المعقول إذن أن تتوقف القوافل - سواء كانت تجارية أو قوافل مسافرين - في كل هذه المحطات، لأنه يكلفها الكثير من الوقت، فضلاً عن ذلك فإن هذه المنازل ارتبط وجودها واستمرارها بتوفر المياه فيها[١]، وحالما يجف الماء منها تصبح غير مشجعة لسكن القبائل.

ونتيجة لذلك تحول القوافل التجارية توقفاتها إلى منازل أخرى تحصل فيها على ما تحتاجه من الماء والخدمات الأخرى، والأهم من هذا كله ما ذكره اوليري في حديثه عن دور الأنباط في التجارة العربية فذكر « أن التوقفات في الطريق البرية وتحويل بعضها ليست سوى إجراءات تسمح للأنباط الحصول على حصة مناسبة من التجارة المحمولة عبر الطريق المار بهم». وهذا ينطبق إلى حد كبير على بقية القبائل المتنفذة التي استقرت على طرق المواصلات التي تربط بين أجزاء شبه الجزيرة العربية[٢].

الطرق البحرية:

١- صلات الجزيرة العربية مع شواطىء البحر الأحمر القريبة:

أصبح واضحاً أن الموقع المتميز لشبه الجزيرة العربية، الذي تحف به المياه من ثلاث جهات، قد أمن لها شواطىء طويلة تبدأ من خليج السويس مستديرة إلى الخليج العربي، فليس لنا إذن أن نتصور أن بلاداً تمتلك مثل هذه السواحل، ولا يحاول سكانها الاستفادة منها ومعرفة أحوالها، بل إن هذه السواحل كانت عاملاً مساعداً لتطور الملاحة على هذه السواحل[٣]، التي كانت تمتد بالقرب منها أراضٍ تعتبر « من أخصب بقاع الجزيرة، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحراً أشد هولاً من عبور الصحارى

(١) O'leary, Arabia P.103

(٢) Op, Cit, P.104

(٣) حوراني، العرب والملاحة، ص ٢٣، ٢٤.

والجبال التي تفصل بينهما براً»[١].

وقد سارت خطوط الملاحة البحرية جنباً إلى جنب مع خطوط المواصلات البرية وهذا ما أشار إليه (حتي) في حديثه عن تجار عرب الجنوب فقال: « وقد اتجه خط التجار الرئيس في البحر الأحمر إلى وادي الحمامات على ساحل مصر الوسطى، واضطرت سبأ - لما يلازم الملاحة في أنحاء هذا البحر الشمالية من آفات إلى افتتاح خطوط برية بين اليمن والشام تحاذي ساحل الجزيرة الغربي وتؤدي إلى مكة والبتراء ومنها تتشعب إلى مصر والشام وما بين النهرين»[٢].

وطبيعي أن تنشأ بين سكان سواحل الجزيرة العربية وبين سكان السواحل المقابلة لها صلات مختلفة، كانت التجارة في مقدمتها، وقد تحدث (حتي) عن صلات شبه الجزيرة والحبشة فقال: « ونشأ بين هؤلاء الأحباش وأقربائهم في الجزيرة وبين المكيين صلات تجارية ما لبثت أن توثقت عراها فاندمجوا في تلك الكتلة التجارية الواسعة النطاق التي تولت زعامتها سبأ وحمير، وتم لهم مجتمعين احتكار الطيوب القديمة التي كان يمر أهم فروعها بالحجاز»[٣].

وكانت قريش في مقدمة من أسهم في التجارة مع الحبشة حتى أصبحت كما يقول الطبري: «متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمنا ومتجراً حسناً»[٤]. ونتيجة لهذه العلاقات الوثيقة أمر الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم - حين شعر بأن وجودهم في مكة يشكل خطراً عليهم، لتعرضهم لاضطهاد قريش- بالهجرة إلى الحبشة[٥].

---

(١) م. ن. ص ٢٤.

(٢) حتي، مطول، ص ٦٤.

(٣) حتي، مطول، ص ١٤٨.

(٤) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٢٨.

(٥) انظر في دوافع الهجرة ابن هشام، السيرة، ق١، ص ٣٢١. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٣٠ فما بعدها. العلي، محاضرات، ص ٣٦٥ فما بعدها. وجاء من بين الدوافع التي ذكرها هو (افتراضه أنهم ذهبوا إلى الحبشة للقيام بالتجارة بعد أن سدت أبوابها أمامهم في مكة.

وكانت هذه الهجرة بطبيعة الحال عن طريق البحر، وكانت الشعيبة المرفأ الذي ركب منه المهاجرون، وقد أشار ابن سعد إلى هذا في رواية عن عبيد الله بن العباس الهذلي أن المهاجرين قد « خرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة حتى انتهوا إلى الشعيبة... ووفق الله المسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة»[١].

ويبدو أن السفن المبحرة بين الحبشة والشعيبة كانت مستمرة، بحيث نقلت عدداً كبيراً نسبياً من المهاجرين بلغ في رواية لابن سعد «٨٣ رجلاً وإحدى عشرة امرأة وسبع غرائب»[٢].

وفي رواية أخرى للكلاعي، عن ابن إسحاق أن النجاشي هيأ سفناً « حين خرجت الحبشة عليه» لنقل المهاجرين المسلمين حيث يريدون[٣]، خوفاً عليهم فيما لو زال ملكه. كما أن عودة المهاجرين إلى المدينة بعد أن هاجر إليها الرسول ﷺ كانت إلى ميناء الجار، حيث كتب الرسول ﷺ إلى النجاشي أن «يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري فأرسوا بهم إلى ساحل بولا وهو الجار[٤] ثم تكاروا الظهر حتى قدموا المدينة»[٥].

وتشير هذه الروايات بوضوح إلى نشاط حركة السفن بين الموانيء العربية كالشعيبة والجار بين موانيء الحبشة، كميناء (قراف)[٦]. ونستدل من هذه الحركة المستمرة للسفن،

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ١٣٦. الطبري تاريخ، ٢/ ٣٢٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ص ١٣٨. وانظر ابن هشام، السيرة، ق١/ ص٢٣٠. وفي رواية أخرى كان عددهم (٨٢) حيث كان معهم عمار بن ياسر، انظر الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٣٠.

(٣) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٣٩٦-٣٩٧

(٤) يقع الجار على ساحل البحر، وترفأ إليه السفن من أرض الحبشة ومصر ومن البحرين والصين، انظر السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣٩٨. وهو قريب من جدة وموجه هائج. ابن المجاور، المستبصر، ص٥٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١/ ١٣٩.

(٦) قراف: جزيرة في البحر بحذاء الجار ومرفأ الحبش خاصة، انظر السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٣٩٩. البكري، معجم، ص ٣٥٥.

على أن التبادل التجاري بين الحجاز والحبشة، كان كبيراً، وربما كان هذا بسبب القرب الذي لا يتطلب بدوره إلى سفن كبيرة لنقل البضائع مما يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذه السفن لم تكن ملكيتها تعود للأحباش فقط، وربما امتلك العرب قسماً منها، خاصة وأن القرآن الكريم قد أشار إلى البحر والفلك والسفن في الكثير من آياته الكريمة: قال تعالى ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [الإسراء: ٦٦].

كما أشار القرآن الكريم إلى البحر وظلماته، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]، فكانت هذه الآيات وغيرها كما يقول (حتي) «صدى لهذا النشاط والاتصال البحري بين الحجاز وبلاد الحبشة»[١].

كما أن العرب لا بد أن يكونوا قد عرفوا علم الملاحة، نتيجة حاجتهم لهذا العلم، يقول الألوسي في هذا المجال: « وهناك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين... لهم متاجر في الهند والحبشة والروم وغيرهم، فكانوا ممن تمس حوائجهم إلى ركوب البحر، ومعاناة سبره والقيام بما يعين على ذلك هو (علم الملاحة)[٢].

لقد كان ميناء الشعيبة[٣] مرفأ لمكة وسفنها قبل جدة[٤]، كذلك كانت الجار فرضة المدينة التي وصفها المقدسي بأنها «خزانة المدينة ومدنها[٥] يحمل إليهم الماء من بدر، والطعام من مصر»[٦]. وقال عنها ياقوت هي « فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند[٧] »، ويجب أن نذكر أيضاً مدينة جدة وهي فرضة

---

(١) حتي، مطول، ص ١٤٩.
(٢) الألوسي، بلغ، ١/ ٣٦٤.
(٣) قال ابن السكيت: الشعيبة قرية على شاطىء البحر على طريق اليمن. وقال في موضع آخر: الشعيبة من بطن الرمة. انظر ياقوت، البلدان، ٣/ ٣٥١.
(٤) ياقوت، البلدان، ٣/ ٣٥١.
(٥) الإدريسي، جزيرة، ص ٢٥.
(٦) المقدسي، أحسن، ص ٨٣.
(٧) ياقوت، البلدان، ٢/ ٩٢، ٩٣.

مكة[١]، التي اشتق اسمها من البحر[٢]،يقول البكري: « الجدة من البحر والنهر: ما ولي البر، وأصل الجدة الطريق الممتد»[٣].

وكانت جدة مدينة كثيرة التجارة، ويجلب إليها مختلف أنواع الأمتعة والذخائر النفيسة بواسطة مراكب كثيرة، فيحصل أهلها على أموال واسعة جراء الأرباح المتحققة عن بيع جميع هذه البضائع في موسم خاص بها يقام قبل وقت الحج[٤]، وكان يفرض على هذه البضائع ضرائب تختلف مقاديرها باختلاف نوع البضاعة[٥]، ويتولى الجباية والٍ يعينه صاحب مكة[٦].

٢- صلات سكان الجزيرة العربية مع الشرق:

مثلما كانت للعرب صلات تجارية مع الحبشة، كانت لهم أيضاً مع الهند والصين، وقد بدأت هذه العلاقات قبل الإسلام بوقت مبكر، لكن عراها لم تكن وثيقة كما هو الحال بعد ظهور الإسلام[٧]، وهذا أمر طبيعي لأن الأمن والاستقرار الذي تتطلبه التجارة لكي تزدهر، لم يكونا قائمين قبل الإسلام في جزيرة العرب بشكل كامل، وبعد مجيء الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية بدأت كل مرافق الحياة - بما في ذلك التجارة - تنمو تدريجياً، لكن هذه العلاقة لم تكن مباشرة في بداية الأمر، لما لبث أن «تطورت إلى علاقة مباشرة عندما قرب ظهور الإسلام»[٨].

وإذا كنا لانجد في المصادر العربية ما يشير إلى هذه العلاقة، فليس معنى هذا عدم وجودها، بسبب الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها بلاد العرب التي لم تكن موحدة تحت

---

(١) الإدريسي جزيرة، ص ٢٠. أبو الفدا، تقويم، ص ٩٣. ياقوت، البلدان، ٢/ ١١٤.
(٢) المقدسي، أحسن، ص ٧٩.
(٣) البكري، معجم، ص ٣٧١.
(٤) الإدريسي، جزيرة، ص٢٠
(٥) . المقدسي، أحسن، ص ١٠٤.
(٦) الإدريسي، جزيرة، ص٢٠.
(٧) الصيني، العلاقات، ص ٨.
(٨) م. ن.

دولة قوية، كما أن مؤرخي الغرب، وبسبب كون شمال بلاد العرب كانت تحت السيطرة الأجنبية - في ذلك الوقت - قد أخفوا علاقات العرب التجارية « تحت ظلال الرومان أو الإيرانيين، فاعتبروا معامل التجارة التي وقعت في أسواق الشام ونصيبين وأرمينيا معاملة بين الصينيين والرومانيين، كما نسبوا المعاملة التي وقعت في موانيء اليمن وجزائر عمان ومسقط والبحرين إلى الإيرانيين[١].

وقد استخدم العرب في رحلاتهم البحرية الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب في فصل الصيف، رغم الصعوبات والمخاطر التي ترافقها، فقد لا تستطيع أية سفينة شراعية مواجهتها أحياناً، لكن العرب فضلوا الاستفادة من سرعتها[٢]، مما يدل على أنهم كانوا على دراية كافية بأحوال البحر ومسالكه. وقد عد (الدكتور الكبيسي) هذا الأمر «كشفاً عظيماً أدى إلى تطور خطير في طرق الملاحة والتجارة»[٣]. وأصبح بإمكان العرب نتيجة هذا الكشف الوصول إلى أسواق الشرق بعد أن كانت سلعها تأتيهم بصورة غير مباشرة[٤].

وبعد مجيء الإسلام شهدت المنطقة أحداثاً كان من بين أهمها حروب التحرير والفتوحات التي أوصلت العرب والمسلمين - وفرضت سيطرتهم- على مناطق جديدة من العالم، بعيدة عن مراكز انطلاقهم، مما أدى إلى تأمين حرية التنقل في هذه المناطق وبالتالي تشجيع التجار للوصول إلى مناطق لم يكونوا قد عرفوها سابقاً، وفي هذا المجال الذي نحن بصدده - أي الملاحة البحرية - فإن (حوراني) يشير إلى ثلاث نتائج لهذه الحروب هي وصول عرب الحجاز والجنوب إلى شواطيء البحر المتوسط أولاً، وسواحل الخليج العربي ثانياً، حيث لم يعد طريق البحر الأحمر والخليج العربي طريقين متنافسين، وإنما أصبحا طريقين متساويين يسلكان لبلوغ أراضي الدولة العربية الإسلامية، كما كان من نتائجه إتاحة فرص جديدة أمام العرب المسلمين للقيام بأعمال متعددة تظهر مقدرتهم كالحروب والتجارة والرحلات[٥].

---

(١) م. ن. ص ١٩.
(٢) حوراني، العرب والملاحة، ص ٦٩- ٧١. وانظر الكبيسي، أسواق العرب، ص ٩.
(٣) الكبيسي، أسواق العرب ص ٩.
(٤) م. ن.
(٥) حوراني، العرب والملاحة، ص١٧٢ فما بعدها.

وقدم لنا العلماء العرب والمسلمون وصفاً دقيقاً للبلاد التي وصلوها. ونستطيع الآن أن نستدل على العلاقة التجارية بين العرب والصين والهند من خلال ما قدمه لنا الجغرافيون والمؤرخون من وصف للموانىء المنتشرة على سواحل البحر الأحمر والخليج العربي والتي كانت ترسوا فيها السفن من مختلف بلاد العالم محملة بأنواع كثيرة من البضائع[١] ومن بين هذه الموانيء التي أشارت إليها المصادر هي ميناء الأبلة[٢] التي شهدت نشاطاً تجارياً كبيراً، فقد كان التجار يقصدونها من مختلف البلدان كالهند وفارس[٣]. حتى أطلق عليها (فرج البحر)[٤]، كما سميت في رواية للطبري (بفرج الهند)، وفي رواية أخرى للطبري أيضاً سميت (فرج أهل السند والهند)[٥]، وقد أشار إليها البلاذري على أنها «فرضة البحرين وعمان والهند والصين»[٦] وقال عنها الطبري أنها «مرفا السفن من الصين وما دونها»[٧].

وبالرغم من كونها مدينة صغيرة إلا أنها خصبة وعامرة كما يقول الأصطخري[٨]. كما ذكر ابن خرداذبة أن التجار كانوا يركبون من دجلة إلى الإبلة ومنها إلى عمان والسند والهند والصين[٩] ولم يغفل الدينوري ذكر الإبلة فقد أشار إليها في أكثر من موضع فقال: إنها

(١) كانت تجارة العرب قبل الإسلام تكاد تكون مقصورة على الحرير والتوابل والبخور، دائرة المعارف الإسلامية، (مادة صين).

وانظر في أنواع البضائع الفصل ٣، ص٩٠-١١٩ من هذه الرسالة.

(٢) تقع الأيلة على شاطيء دجلة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة انظر ياقوت، البلدان، ١/ ٧٧. وتبعد عن البصرة أربع فراسخ، قدامة، نبذة، ص١٩٤.

(٣) ابن بطوطة، رحلة، ص١٨٩.

(٤) المسعودي مروج، ٢/ ٥٥.

(٥) الطبري، تاريخ, ٣/ ٣٤٣-٣٤٧.

(٦) البلاذري، فتوح، ق٢، ص٤١٩.

(٧) الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٩٤. وللحوراني ملاحظة على ما ورد عند الطبري في عبارة (سفن الصين) فيرى «أنها لا تشير بالضرورة إلى السفن الصينية بل أن عبارة (سفن صينية) عندما يستعملها الجغرافيون والمؤرخون العرب تعني قطعا في بعض الأحيان السفن الإسلامية التي تزور الصين» حوراني، العرب والملاحة، ص١١٠.

(٨) الاصطخري، مسالك، ص٥٧.

(٩) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٥٤.

«مرقى سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين»[١]. ومما هو جدير بالذكر أن مدينة الأبلة أنشأت قبل البصرة التي مصرت في أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]إلا أنها ظلت تحتل المكانة نفسها حتى بعد إنشاء البصرة بروزها كمركز تجاري كبير، ذلك أن السفن الكبيرة لم يكن بمقدورها الدخول إلى البصرة لوجود دوامة كبيرة عند مدخل القناة، فترسوا السفن نتيجة لذلك في الأبلة عند مصب القناة .[٣] وفضلاً عن دورها التجاري فقد اضطلعت هذه المدينة بمهام عسكرية[٤]

يتضح لنا مما تقدم أهمية ميناء الأبلة الكبير في التجارة البحرية بين العرب وبلدان الشرق. كما أشارت المصادر أيضاً إلى مدينة البحرين.[٥]، التي كانت عند ظهور الإسلام مركزاً رئيساً للتجارة والملاحة في الخليج العربي[٦]، فقد كانت سفن التجارة الهندية والتي تسلك طريق الخليج العربي تفرغ حمولتها أحياناً عند البحرين في ميناء (كرة) ثم تنتقل منها عبر الطرق البرية إلى العراق أو بلاد الشام، ولا شك أن هذا الطريق يفضل على الطريق الآخر الذي يمر عبر البحر العربي، فالبحر الأحمر لينتهي بالموانىء المصرية، أو ميناء العقبة ثم إلى موانىء البحر المتوسط، كونه أقصر وأقل كلفة، كما أنه خالٍ من الجزر المرجانية[٧]، التي تشكل خطورة كبيرة على السفن، خلافاً لسواحل البحر الأحمر التي تكثر فيها هذه الجزر. كما أن دارين[٨] اشتهرت بتجارتها مع الهند وخاصة المسك[٩].

---

(١) الدينوري، الأخبار، ص١١٧.

(٢) ياقوت، البلدان، ١/ ٧٧.

(٣) حوراني، العرب والملاحة، ص ٢٠٥، ٢٠٦. وانظر العلي، خطط البصرة، ص ٢٥١.

(٤) يشير ياقوت إلى أن الأبلة كانت قبل الإسلام «مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد» ياقوت، البلدان ١/ ٧٧. كما أن الجيش الذي أرسله كسرى بقيادة وهرز مع سيف بن ذى يزن لقتال الحبشة ركب البحر من الأبلة إلى ساحل عدن. انظر الدينوري، الأخبار، ص ٦٤. المسعودي، مروج، ٢/ ٥٥.

(٥) البحرين «اسم جامع على ساحل البحرين بالبصرة وعمان من جزيرة العرب، وعمان آخرها ومدينتها هجر وبيتها وبين البصرة ١٥ يوماً، ابن عبد الحق، مراصد، ١/ ١٦٧».

(٦) العاني، عمان، ص ١٣٠.

(٧) العلي، محاضرات، ص ٣٦- ٣٧.

(٨) دارين: فرضة البحرين. انظر ياقوت، البلدان، ٢/ ٤٣٢.

(٩) م.ن.

ويبدو أن أهل البحرين لم يعتمدوا في تجارتهم على ما تصلهم من سفن الهند فقط بل انهم امتلكوا بعض السفن الكبيرة ورد ذكرها في معلقة طرفة بن العبد قال:

عدولية أو من سفين بن يامن   يجور بها الملاح طوراً ويهتدي[١]

كذلك كانت عمان[٢]التي ذكرتها المصادر كاحدى الموانيء المهمة التي كانت ترسو فيها سفن كثيرة من مختلف الجنسيات، وتسافر منها المراكب إلى مختلف البلدان. وقد قال عنها أبو الفدا أنها «مدينة جليلة بها مرسى السفن من السند والهند والصين والزنج»[٣]. وقد أسهم أهل عمان في الملاحة البحرية منذ فترة سبقت ظهور الإسلام، وحتى في الوقت الذي أصبحت فيه البحرين مركزاً رئيسياً للملاحة[٤]واتسع نشاط العمانيين في الملاحة بعد ظهور الإسلام فتحدث الرام هرمزي في أكثر من موضع عن سفر المراكب من عمان إلى إفريقيا، وفيما يرويه عن اسمعيلويه وجماع من البحرين «أنه خرج من عمان في مركب يريد قنبلة في سنة عشر وثلثمائة فعصفت الريح وطرحت المركب إلى سفالة الزنج»[٥]. كما يروي عم اسمعيلويه أيضاً عن بعض النواخذة أنه قال: «دخلت بلاد الزنج سنة٣٣٢هـ فقال لي بعض القافة كم أنتم مركباً فقلت: ستة عشر مركباً، فقال: يسلم منها إلى عمان خمسة عشر مركباً[٦] وهذا يوضح لنا المستوى والحجم الذي وصلت إليه التجارة بين عمان وإفريقيا، كما كانت لعمان تجارة بحرية مع الصين والهند فوصلت مراكبهم إلى خانقوا على بحر الصين قال المسعودي: «تدخل هذا النهر [أي نهر خانقوا] سفن التجارة الواردة من البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك، بالأمتعة والجهاز

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات، ص ١٣٩. وعدولي، قرية بالبحرين، والعدولي من السفن ينسب إليها. انظر البكري، معجم، ص ٩٢٦.

(٢) عمان: كورة عربية على ساحل البحر شرقي هجر. انظر القزويني، آثار، ص ٥٦. ياقوت، البلدان، ٤/ ١٥٠. ولمزيد من التفاصيل عن عمان انظر دراسة الدكتور العاني، عمان.

(٣) أبو الفدا، تقويم، ص٩٩. القلقشندي، صبح، ٥/ ٥٥.

(٤) العاني، عمان، ص١٣٢.

(٥) الرام هرمزي، و عجائب الهند، ص٣٨.

(٦) م.ن، ص٤٥.

وتقرب إلى مدينة خانقوا[١]. كما يذكر الرام هرمزي عن «أن مركباً كان يمضي إلى صنف من عمان فأصيب وسلم من أهله نحو عشرة»[٢]. ويبدو أن المراكب لم تعد تسافر من عمان إلى الصين في زمن الإدريسي فهو يقول عن عمان: «وكانت في قديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين فانقطع ذلك»[٣] بسبب نهب – عامل اليمن على جزيرة كيس المقابلة لمسقط– أموال التجار والمسافرين[٤]مما جعل المرور منها أمراً غير مأمون العواقب. أما في زمن المسعودي فقد كانت مراكب العمانيين تصل إلىمنتصف الطريق إلى الصين، ففي حكاية يرويها عن تاجر خرساني خرج من بلاده حتى وصل بلاد عمان « وركب إلى بلاد كلة وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يريد من أهل الصين في مراكبهم وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل البحرين والأبلة والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف مع المواضع التي ذكرنا إلى هناك»[٥].

ويبدو أن تجارة عمان مع الهند والصين كانت تدر على أهلها أرباحاً كثيرة، على الرغم من ارتفاع مقدار الضرائب المفروضة على التجار، يروي الرام هرمزي أن رجلاً هرب من عمان إلى الهند «ومعه نحو مائتي دينار لم يكن يملك سواها، وغاب عن البلد نحو ثلاثين سنة . . . ثم أنه ورد عمان من الصين في مركب لنفسه وجميع ما فيه له وأنه قطع أحمد بن هلال صاحب عمان عن المركب لئلا يحصى ما فيه ويعثر عليه، على ألف ألف درهم ونيف وأنه باع على أحمد بن مروان دفعة واحدة مائة ألف مثقال من المسك الفائق، وبردا بأربعين ألف دينار دفعة أخرى، وباع على رجل آخر بعشرين ألف دينار دفعة أخرى فاستقاله أحمد

(١) المسعودي، مروج، ١/١٥٦.
(٢) الرام هرمزي، عجائب الهند، ص٥٣.
(٣) الإدريسي، جزيرة، ص ٤١.
(٤) م.ن.
(٥) المسعودي، مروج، ١/ ١٥٨.

ابن مروان فنقصه في كل مثقال درهماً نقرة فكانت الحطيطة مائة ألف درهم»[١] ورجلاً آخر «خرج من عمان ولا شيء معه وعاد ومعه مركباً به مسك بألف ألف دينار، وثياب حرير وصيني بمثلها وجواهر وأحجار ظريفة بمثلها»[٢]. مع إقرارنا بوجود مبالغة في بعض هذه الروايات إلا أنها تشير إلى وجود نشاط تجاري مع الشرق.

ومن مدن عمان الساحلية والتي كان لها شأن بالتجارة البحرية هي مدينة (صحار)[٣] التي وصفها المقدسي على أنها «دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن[٤]، كما ذكر الإصطخري أن «بها متاجر البحر وقصد المراكب»[٥]. وكانت صحار سوقاً من أسواق العرب قبل الإسلام، ودبا أيضا القريبة من البحر[٦]، المدينة المشهورة التي ذكرت في أيام العرب وأخبارها وأشعارها، وكانت قديماً قصبة عمان، وسوقاً[٧] من أسواق العرب قبل الإسلام، وكذلك ميناء مسقط الذي كان يستقبل المراكب التجارية[٨].

ولم تغفل المصادر ذكر مدينة عدن التي تقع على خليج عدن[٩]، والتي برز دورها من جديد في التجارة البحرية بعد اضمحلال دور عمان وانقطاع سفر المراكب منها إلى الصين[١٠]، كما ذكرت قبل قليل، فأخذت السفن الآتية إلى البحر العربي تنهي رحلتها في

---

(١) الرام هرمزي ،عجائب الهند، ص٨٠، ٨١. والحطيطة، ما يحط من جملة الحساب فينقص منه، انظر ابن منظور، لسان، ٧/ ٢٧٥.

(٢) م. ن. ص ٨١.

(٣) صحار: قصبة عمان مما يلي الجبل. ياقوت، البلدان، ٣/ ٣٩٣.

(٤) المقدسي، أحسن، ص ٩٢.

(٥) الاصطخري، مسالك، ص ٢٧.

(٦) المقدسي، أحسن، ص ٩٣، وانظر ص ٥٦، ٥٨ من هذه الرسالة.

(٧) ياقوت، البلدان، ٣/ ٤٣٥.

(٨) المقدسي، أحسن، ص ٩٣.

(٩) ياقوت، البلدان، ٤/ ٨٩. وهي تبعد عن صنعاء (٦٨) فرسخا... في ذيل كالسور عليها، وتمامة سور إلى البحر ولها باب إلى البحر، وباب إلى البر، ويعرف بباب الساقين. انظر أبو الفدا، تقويم، ص٩٣.

(١٠) الإدريسي، جزيرة، ص ٤١.

ميناء عدن ثم تنقل منا البضائع عبر اليمن والحجاز إلى مصر وفلسطين أو بلاد الشام[١]، لذلك أصبح ميناؤها يزدحم بالسفن فلا يكاد «يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى، ومتاجر متنوعة، والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة»[٢]. وتجمع المصادر على أن السفن التي تصل إلى عدن كانت تأتي إليها من الهند[٣] والسند، والصين[٤] والحجاز[٥] والحبشة[٦] وفارس والعراق[٧]، كما كانت عدن تجهز المراكب إلى بلاد الهند والصين. يوضح لنا ذلك الرام هرمزي في قصة سعيد الفقير، فيذكر أن المراكب العدنية كانت تصل إلى ميناء كله الصيني[٨]، ونتيجة لهذا فقد اشتهر ذكر مدينة عدن[٩]، على الرغم من عدم وجود أراضٍ زراعيةٍ أو مراعٍ، لقلة المياه فيها إلا من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم[١٠]، وعلى الرغم أيضا من كونها مدينة صغيرة[١١].

وهذا يعني أن عملها التجاري قد أكسبها هذه الشهرة، فقد كانت تصلها أنواع كثيرة من البضائع ومن شتى بقاع العالم، وحفظت لنا المصادر ما يؤكد هذا فيشير ابن خرداذبة إلى ذلك في قوله: «وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة والقلزم»[١٢]. ونتيجة لهذا نشأت في عدن سوق عدت من أقدم أسواق العرب[١٣].

---

(١) العلي، محاضرات، ص ٣٧.

(٢) القلقشندي، صبح، ٥/ ١١.

(٣) القزويني آثار، ص ١٠١. والإدريسي، جزيرة، ص ٥٧. أبو الفدا، تقويم، ص ٩٣، ياقوت، البلدان، ٤/ ٨٩.

(٤) القزويني، أثار، ص ١٠١، الإدريسي، جزيرة، ص ٥٧.

(٥) ابن عبد الحق، مراصد، ٢/ ٩٢٣.

(٦) القزويني، آثار، ص ١٠١. ابن عبد الحق، مراصد. ٢/ ٩٢٣.

(٧) القزويني، آثار، ص ١٠١.

(٨) الرام هرمزي، عجائب، ص ٧٢.

(٩) الإدريسي، جزيرة، ص ٥٧. وانظر القزويني، آثار، ص ١٠١.

(١٠) ياقوت، البلدان، ٤/ ٨٩. وانظر القزويني، آثار، ص١٠١.

(١١) الإدريسي، الجزيرة،، ص ٥٧.

(١٢) ابن خرداذبة، المسالك، ص ٦١.

(١٣) ياقوت، البلدان، ٤/ ٨٩. وانظر ص ٦١ من هذه الرسالة.

وقبل أن أقدم وصفاً للطريق البحري الذي يربط بين بلاد العرب والهند والصين أشير إلى ما ذكره (الدكتور العلي) إلى الأخطار التي كانت قديماً تتعرض لها الملاحة البحرية سواء كان منها الطبيعية أو البشرية كالعواصف والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية[١] المنتشرة على سواحل البحر الأحمر وخاصة في القسم الشمالي منه مما لا يوفر الأمان الكافي للسفن التي ترسو على شواطئه[٢]. لذلك كان التجار يفضلون الطرق البرية قدر ما استطاعوا[٣]، وهذا ما يفسر لنا عدم قبول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استئذان معاوية بن أبي سفيان والي الشام في غزو البحر[٤] لكن حينما أصبح أمر الغزو ضرورياً، خاصة أن معاوية بن أبي سفيان قد أدرك أن الموقف في البحر المتوسط يختلف عن سائر البحار، حيث كان من الضروري إنشاء قوة بحرية للدفاع عن الدولة العربية الإسلامية وعدم الوقوع بالخطأ الذي أفقد الساسانيين مواقعهم في الشرق الأدنى نتيجة فشلهم في إنشاء قوة بحرية تنافس قوة هرقل البحرية[٥]، ونتيجة لذلك ظل معاوية يلح على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى ظفر بموافقته سنة ٢٧ هـ بعد أن «كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص»[٦]، وعلى عكس ما كان يعترض الملاحة في البحر الأحمر فإن طريق المحيط الهندي الذي يمر عبر الخليج العربي كان طريقاً آمناً وذلك لخلو سواحله وخاصة الغربية من

---

(١) العلي، محاضرات، ص ٣٧.

(٢) يحيى، العرب، ص ٣٠٣.

(٣) العلي، محاضرات، ص ٣٧.

(٤) البلاذري، فتوح، ص١٥٢ و١٨١.

(٥) حوراني، العرب والملاحة، ص ١٨٠.

(٦) البلاذري، فتوح، ص ١٨١. وانظر في المكاتبات الخاصة بهذا الشأن بين معاوية بن أبي سفيان والخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما. الطبري، تاريخ، ٢٥٨/٥ فما بعدها. والتي اعتبرت أساساً للاعتقاد السائد بأن العرب لم يكونوا شعباً بحرياً، حوراني، العرب والملاحة، ص١٧٨. لكن هذا الاعتقاد خاطىء من حيث المبدأ (وترى ن ح . أبوت في عرضها لكتاب حوراني ص١٤١ أنه لا يصح أن نفسر هذه القصة بأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرهب البحر فقد عارض من قبل ما عرضه عمرو بن العاص عليه من تحرير مصر رغم أن طريق الغزو كان يسلك البر لا البحر، فالخليفة إذن كان يخشى قبل كل شيء أن تتطرف حدود دولته إلى حد يخشى منه عليها، انظر حوراني، العرب والملاحة، ص ١٧٨، ١٧٩).

الشعاب المرجانية التي تهدد الملاحة البحرية، ولقلة العواصف العاتية التي تشكل خطراً على السفن الشراعية، كذلك فإن سواحله المستوية تسمح بإقامة الموانيء، فضلاً من أنه أقصر الطرق البحرية إلى المحيط الهندي، وتأتي أهمية هذا الطريق كونه ينقل سلع البلاد الواقعة على المحيط الهندي كالأخشاب والتوابل وبعض المنتوجات الزراعية والجواهر والأحجار الكريمة إلى البلاد الواقعة على أطراف البحر المتوسط[١]. كما أن أهمية هذا الطريق قد زادت بعد مجيء الإسلام وأصبح أكثر آمناً وخاصة بعد سيطرة الدولة العربية الإسلامية على السواحل الغربية للمحيط الهندي[٢]، وازدهار الحياة الاقتصادية في الحجاز وارتفاع مستوى المعيشة مما أدى إلى ازدياد الطلب على منتجات الأقاليم والمدن الواقعة في الأحواز وبلاد فارس وخراسان[٣].

وصف الطريق بين بلاد العرب وبلاد الهند:

يمكن الآن بعد هذا العرض الموجز للموانيء العربية ودورها في التجارة البحرية أن تقدم وصفاً للطريق البحري الذي كان يربط بلاد العرب ببلاد الهند والصين في زمن الإسلام، والذي يعتبر امتداداً لما هو عليه قبل الإسلام، مع فارق ذي أهمية كبيرة، هو أن الطريق البحري أصبح أكثر سلوكاً من ذي قبل[٤]، بسبب استتباب الأمن كنتيجة عامة للفتوحات الإسلامية.

لقد كان الطريق الذي سلكه التجار من الخليج العربي إلى كانتون «أطول طريق استعمله الإنسان على نحو منظم قبل التوسع الأوروبي في القرن السادس عشر الميلادي، فسلوكه عمل جدير بالعناية والاهتمام»[٥].

ويشير أبو زيد السيرافي إلى أن البضائع كانت تحمل في السفن من البصرة وعمان وغيرها

(١) العلي، خطط البصرة، ص٢٤٧-٢٤٨.
(٢) حوراني، العرب والملاحة، ص١٩٠.
(٣) العلي، خطط البصرة، ص٢٤٩.
(٤) الصيني، العلاقات، ص١٠٨، ١٠٩.
(٥) حوراني، العرب والملاحة، ص١٩٠، ١٩١.

إلى سيراف[١]، بمسافة ١٢٠ فرسخاً، ثم تنتقل البضائع في سيراف إلى السفن الصينية الكبيرة[٢]، ثم إلى مسقط بمسافة ٢٠٠ فرسخاً، بعد مرورها بعدة مواضع هي: بني الصفاق[٣]، وجزيرة ابن كاوان، وجبال عمان، والدردور[٤]، وجبلي كسير وعوير، وصحار، وعمان، ومن مسقط تسير السفن إلى كولم ملي[٥]، والمسافة بينهما شهر على اعتدال الريح، ثم إلى بحر هركند، ثم إلى لنج بالوس، ثم إلى كلاه بار، ثم كورنج، ثم صنف، ثم صندرفولات، ثم إلى بحر صنجي، ثم إلى أبواب الصين، ثم إلى خانقوا في بلاد الصين[٦].

يوضح لنا هذا الوصف أن السفن الصينية كانت تصل إلى الخليج العربي(سيراف) وهذا يخالف ما ذكره المسعودي الذي ذكر أن السفن الصينية والإسلامية تلتقي في بلاد كلة لكنها كانت فيما سبق تصل إلى سيراف والأبلة والبصرة. وهذا يعني أن عدم وصول المراكب الصينيية إلى الخليج العربي لم يكن مرده أسباب ملاحية كما ذكر السيرافي بدليل خروج المراكب الإسلامية منه، وعلى ما يبدو أن المراكب الإسلامية إذا ما صادف وصولها سيراف مع وصول المراكب الصينية وتمت عملية البيع والشراء فيها، فلامبرراذ ذاك لذهابها إلى كلة، وخلاف ذلك تستمر المراكب الإسلامية في رحلتها إلى بلاد كلة ومنها في المراكب الصينية إلى خانقوا. كما أن المسعودي يعزو سبب عدم وصول المراكب الصينية إلى الخليج العربي إلى ظروف سياسية واجتماعية (وليس ملاحية) ألمت بالصين في ذلك الوقت[٧]، مما

(١) سيراف: فرضة عظيمة على الساحل الشرقي للخليج العربي، الاصطخري، مسالك، ص٣١.

(٢) يذكر السيرافي أن سبب عدم وصول السفن الكبيرة إلى البصرة وعمان، هي كثرة الأمواج في البحر وضحالة الماء في مواضع فيه، انظر السيرافي، رحلة ص٣٥.

(٣) ويسمى أيضاً (سيف بني الصعاق) وهوانف قائم في البحر، وبإزائه جزيرة صغيرة انظر الادريسي، جزيرة، ص٤٨.

(٤) الدودور: مضيق على مقربة من جبال كسير وعوير تسلكه السفن الصغار. انظر الادريسي، جزيرة، ص ٤٨، السيرافي، رحلة، ص٣٥، ويبعد عن البحرين ١٥ فرسخاً وعن عمان ٥٠ فرسخاً. انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٠.

(٥) كولم ملي: تقع جنوب مالا بار وتسمى أيضاً «كويلون» حوراني، العرب والملاحة، ص٢٠٨.

(٦) السيرافي، رحلة، ص٣٥، فما بعدها.

(٧) المسعودي، مروج، ١/١٥٨-١٥٩.

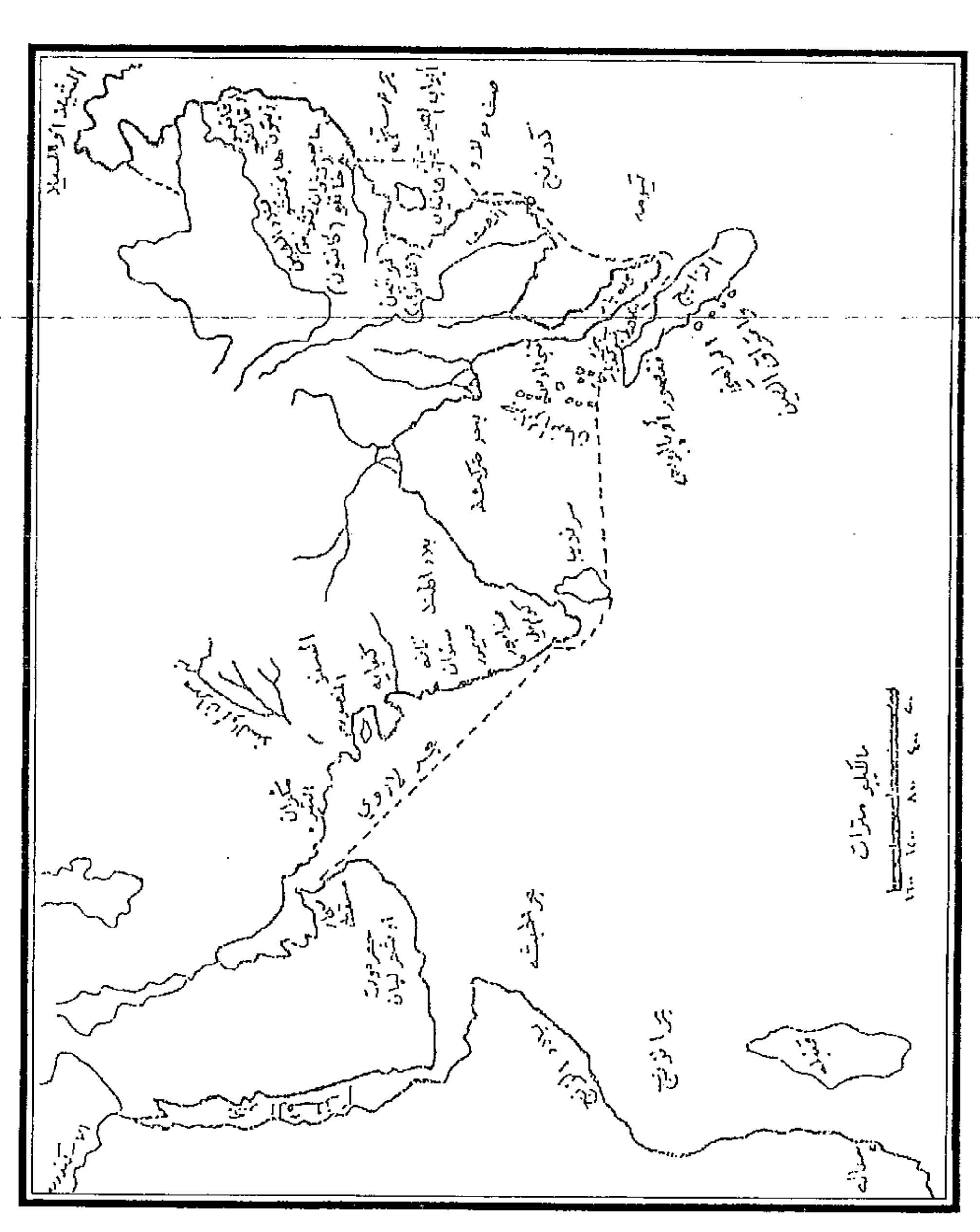
كان لها مردود سيء على مجمل الحياة الاقتصادية.

أما ابن خرداذبة فيصف هذا الطريق بشيء من التفصيل فيشير إلى الطريق البحري من البصرة إلى المشرق الذي يبدأ من البصرة إلى عبادان ١٢ فرسخاً، ثم إلى الخشبات بمسافة فرسخين، ثم إلى البحرين ٧٠ فرسخاً، ثم إلى الدردور١٥٠ فرسخاً، كما يشير إلى طريق آخر يبدأ أيضاً من البصرة إلى جزيرة خارك ٥٠ فرسخاً ثم جزيرة لاوان ٨٠ فرسخاً، ثم جزيرة أبرون ٧ فرسخ، ثم إلى جزيرة خين ٧ فراسخ، ثم جزيرة كيس٧ فراسخ، ثم جزيرة ابن كاوان ١٨ فرسخاً، ثم أرموز ٧ فراسخ،ثم ثارا مسيرة ٧ أيام وهي الحد ما بين فارس والسند،ثم إلى الديبل مسيرة ٨ أيام، ثم مصب نهر مهران بمسافة فرسخين، ثم إلى أوتكين ٤ أيام، ثم إلى كولي بمسافة فرسخين، ، ثم سندان ١٨ فرسخاً، ثم ميلي٥ أيام ثم إلى بلين بيومين، ومنها يتفرع الطريق حيث يمكن الذهاب منها إلى بايتن بيومين، ثم السنجلي وكثبان بيوم واحد،ثم مصب كودا فريد ٣ فراسخ، ثم مليكان بيومين، ثم سمندر١٠ فراسخ، ثم اونشين١٢ فرسخاً، ثم إلى أبينة.

كما تستطيع السفن أن تسير منها إلى سرنديب مسيرة يوم واحد ثم إلى جزيرة الرامي، ومن أراد الصين يجعل من سرنديب يساره فيصل إلى النكبالوس ١٠ أيام إلى ١٥ يوماً ثم إلى كلة ٦ أيام، وعن يسارها جزيرة بالوس بيومين، ثم جابة وشلاهط، ثم إلى تيومة، ثم قمار، ثم صنف، ثم لوقين، ثم خانقوا، ثم خانجو ٨ أيام، ثم إلى مانطوا آخر بلاد الصين(١). هذه هي الطرق التي كانت تربط شبه جزيرة العرب بالبلاد الأخرى والتي كان يسلكها التجار حاملين بضائعهم.

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك، ص ٦٠ فما بعدها.



الهند والشرق الاقصى وخط الملاحة الى الصين نقلا عن كتاب
الدكتور عبدالرحمن العاني- عمان في العصور الاسلامية

الفصل الثاني

أسواق شبه جزيرة العرب

السوق:

السوق والجمع أسواق[١]، وتسوّق القوم اتخذوا سوقاً[٢] أو باعوا واشتروا[٣] ولم تكن كلمة السوق تستعمل بمعنى المكان الذي يعقد فيه السوق حسب، بل كانت تستعمل أيضاً بمعنى السوق نفسه[٤]، قال أبو بكر: السوق التي تساق إليها الأشياء ويقع فيها البيع[٥]، فهي موضع البياعات[٦] وهي كلمة مؤنثة وقد تذكّر، وأهل الحجاز يؤنثون السوق[٧] وهو الأصح، قال أبو إسحاق: « قيل سوق نافقة ولم يسمع نافق»[٨] وتصغير السوق سويقة[٩]. وتسمى السوق أيضاً بالقسيمة[١٠]

ويستخدم العرب مصطلحات يطلقونها على حركة السوق من حيث الرواج والكساد فيقولون: «نفقت السوق أي راجت، وانحمقت: كسدت»، وكان[١١] يقال: «السلطان سوق وإنما يجلب إلى كل سوق ما ينفق فيها»[١٢] وقيل في مدح السوق: « الأسواق موائد

(١) ابن منظور، لسان، ١٠/ ١٦٧. الزبيدي، تاج، ٦/ ٣٨٧.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ١/ ٤٦٨.

(٣) الجوهري، الصحاح، ١/ ٦٣٠. ابن منظور، لسان، ١٠/ ص ١٦٧ . البستاني، محيط المحيط، ١٠٢٩/١.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة سوق).

(٥) الأنباري، الزاهر، ١/ ٦٢٤. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١/ ١٠٣٠. ابن منظور، لسان، ١٠/ ١٦٨. الزبيدي، تاج، ١٦٧/٦.

(٦) ابن منظور ، لسان، ١٠/ ١٦٧.

(٧) الزبيدي، تاج، ٦/ ٣٨٧.

(٨) الفيومي، المصباح، ٤٥٢.

(٩) ابن منظور، لسان، ١٠/ ١٦٧، ١٦٨. الفيومي، المصباح، ص ٤٢٥.

(١٠) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٤/ ١٦٦. الألوسي، بلوغ، ٣/ ٣٨٧. جواد علي، تاريخ، ٨/ ١٥٩.

(١١) الألوسي، بلوغ ٣/ ٣٨٧. جواد علي، تاريخ ٨/ ١٥٩.

(١٢) الجاحظ، رسائل، (كتاب الفتيا) ١/ ٣٠٣. الماوردي، نصيحة الملوك، ص ١٢٣.

الله فمن أتاها أصاب منها»[١].

وقد أقام العرب قبل الإسلام أسواقاً متعددة، انتشرت في أجزاء شبه الجزيرة العربية كلها[٢]، فامتدت على طول الطرق التجارية التي تربط بين أجزائها ابتداء من أقصى الشمال حيث سوق دومة الجندل، ثم على طول ساحل الخليج العربي حيث أسواق المشقر وصحار ودبا، ثم الساحل الجنوبي لجزيرة العرب حيث سوق الشحر وعدن والرابية وصنعاء ثم ساحل البحر الأحمر الشرقي حيث أعظم الاسواق قبل الإسلام شهرة عكاظ ومجنة وذي المجاز[٣].

لقد مارس العرب التجارة في هذه الأسواق قبل الإسلام بحقبة طويلة، وقد أشرت سابقاً إلى سورة قريش فضلاً عن ذلك فقد وردت لفظة التجارة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كدليل على قدم ممارسة العرب للتجارة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف: ١٠]. كما وردت في آيات أخر[٤].

ويبدو أن مهنة التجارة مهنة قديمة حيث يشير الشيباني على ما روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «**عليكم بالبز فإن أباكم كان بزازاً**»[٥]، يعني إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان بزازاً[٦].

ولدينا الكثير من الروايات التي تشير إلى اشتغال الرسول ﷺ في التجارة[٧]، كما أن

(١) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٢٥٠. أبو حيان التوحيدي، البصائر، ٢/ ٤٤٣. الراغب الأصبهاني، محاضرات، ٢/ ٤٦٥. الغزالي، إحياء، ٢/ ٦٢.

(٢) جواد علي، تاريخ، ٨/ ١٥٩.

(٣) خليف، الشعراء، ص ١٢٦.

(٤) انظر سورة البقرة ١٦و ٢٨٢. سورة فاطر، الأية ٢٩. سورة النساء، الأية ٢٩. سورة النور، الأية ٣٧.

(٥) الشيباني، الاكتساب، ص١٧.

(٦) م.ن.

(٧) م.ن. ص٢٢ ، ٢٣. ابن قتيبة، المعارف، ص١٥٠. الجاحظ، رسائل (رسالة في مدح التجار) ص١٥٧. الطبري، تاريخ ٢/ ٢٨٠. المسعودي، التنبيه، ص١٩٧. الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٥٧، ٢٦٠ فما بعدها.

أصحابه كانوا يتجرون في البر والبحر[١]، فكان الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه تاجراً[٢]، وكثيراً ما كان يخرج إلى اليمن قبل الإسلام[٣] يتاجر في البز[٤].

كذلك كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تاجراً[٥] يعمل في الأدم[٦]، روى الزبير بن بكار عن المدائني عن هشام بن الكلبي عن أبيه أن عمر بن الخطاب خرج تاجراً قبل الإسلام: « مع نفر من قريش فلما وصلوا إلى فلسطين قيل لهم أن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي يعشر من يمر به. . . »[٧]. وروى البخاري عن محمد بن سلام بسند عن عبيدالله بن عمير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « أخفي علي من أمر رسول الله ﷺ الهاني الصفق بالأسواق يعني الخروج إلى تجارة»[٨].

وروى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: « كان عثمان رضي الله عنه رجلاً تاجزاً في الجاهلية والإسلام وكان يدفع ماله قراضاً»[٩] ، وكان شريكاً للحارث بن عبد المطلب[١٠]، وذكر الشيباني أن الخليفة عثمان رضي الله عنه «كان تاجراً يجلب إليه الطعام فيبيعه »[١١] كما تشير الرويات إلى أنه اشتغل بزازاً[١٢].

---

(١) الغزالي، إحياء، ٢/ ٦٣. وانظر البخاري، صحيح، ٣/ ٦٨. ابن سعد ،الطبقات، ٣/ ق١، ص١٥٣ .الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٦٠. ابن الجوزي، تلبيس إبليس ص٢٨٣. ابن الأثير، أسد ، ٣/ ٨٦، ٤٨٢ فما بعدها.

(٢) البخاري، صحيح، ٣/ ٧٤. ابن هشام، السيرة، ق١، ص٢٥٠. ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ١٣٠. الجاحظ، البخلاء، ص١٧٦. الطبري، تاريخ ٢/ ٣١٧. السيوطي، تاريخ، ص٣١، ٧٨.

(٣) ابن الأثير، أسد ٣/ ٣١٢.

(٤) - الشيباني، الاكتساب، ص٢١. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٥.

(٥) ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص١٠٤. وانظر الجاحظ ، البخلاء ص١٧٦ .السيوطي، تاريخ ص١٣٠. ويقال: أن عمر رضي الله عنه كان مبرطساً، انظر ابن حوقل، صورة، ص١٧٢.

(٦) الشيباني، الاكتساب، ص٢٢.

(٧) ابن بكار، الموفقيات، ص٦٢٥.

(٨) البخاري، صحيح، ٣/ ٧٢.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١، ص٤١.

(١٠) ابن قتيبة، المعارف، ص١٢٨.

(١١) الشيباني، الاكتساب، ص٢٢.

(١٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٥.

وفضلاً عن الرجال فقد أشارت المصادر إلى أن النساء قد اشتغلن في التجارة[١]، حيث كانت السيدة خديجة بنت خويلد «امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه»[٢].

كما كانت قيلة الأنمارية تشتغل بالتجارة في زمن الرسول ﷺ[٣].

وكانت أسماء بنت مخربة تبيع العطر حيث «كان ابنها . . يبعث إليها من اليمن بعطر فكانت تبيعه إلى الأعطية»[٤]، وكذلك كانت الحولاء بنت تويت عطارة[٥].

ولدينا أيضاً نصوص كثيرة تشير إلى أن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم كانوا يفضلون التجارة على غيرها من طرق الكسب، روى الغزالي أن الرسول ﷺ قال: «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق»[٦].

وقال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء»[٧]، وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إلي من موضع أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري»[٨].

كما كان الناس يحثون أولادهم على امتهان التجارة، ذكر ابن الجوزي أن أحمد بن حنبل قال: «قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة»[٩]. وعن الجصاص قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «أحب الدراهم إلي درهم من تجارة وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان»[١٠]. وقال الخلال عن أبي بكر المروزي: قال: «سمعت

---

(١) انظر الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٨٢.
(٢) الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٠.
(٣) ابن الأثير، أسد، ٧/ ٢٤٥. الكتاني، التراتيب، ٢/ ١١٦.
(٤) ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٣٢.
(٥) م.ن، ٤/ ٢٧٨.
(٦) الغزالي، إحياء، ٢/ ٦٢.
(٧) م.ن، ٢/ ٦١.
(٨) م.ن، ٢/ ص٦٢.
(٩) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص٢٨٥.
(١٠) م.ن.

رجلاً يقول لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: إني في كفاية قال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك»[١].

وأورد الشيباني نصوصاً كثيرة تشجع الكسب والسؤدد بالمال ، روي عن ابن مسعود عن الرسول ﷺ أنه قال: «طلب الكسب فريضة على كل مسلم»[٢]، كان الخليفة عمر رضي الله عنه يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد[٣]، ويعقد الشيباني مقارنة بين الفقر والغنى فيقول: « الغنى نعمة والفقر بؤس ونقمة ومحنة»[٤]، وقد صح عن الرسول ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال ، وقال لسعد: «لأن تترك ذريتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس»[٥].

كما أفرد ابن قتيبة وابن عبد ربه فصلاً عن شرف المال وسؤدده، ذكر ابن قتيبة أنه «رؤي عبد الله بن جعفر يماكس في درهم فقيل له: أتماكس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود؟ قال: ذلك مالي جدت به وهذا عقلي بخلته»[٦].

وقال أعرابي:

وفي السوق حاجات وفي النقد قلة ... وليس بمقضي الحاج غير الدراهم[٧]

وأنشد الرياش:

غضبان يعلم أن المال ساق له ... مالم يسقه لي ربي ولا خلق

لولا ثلاثون ألفاً سقتها بطراً ... إلى ثلاثين ألف ضاقت الطرق

فم يكن عن كرام الناس يسألني ... فأكرم الناس من كانت له ورق[٨]

---

(١) م.ن.

(٢) الشيباني، الاكتساب، ص١٤.

(٣) م.ن، ص١٥.

(٤) م.ن،، ص٢٨.

(٥) ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص١٧٨.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٢٥١.

(٧) م.ن.

(٨) م.ن، ابن عبد ربه، العقد، ٣/ ٢٩، ٣٠.

وذكر ابن عبد ربه أن خالد بن صفوان أوصى ابنه فقال: «يا بني أوصيك باثنتين درهمك لمعاشك ودينك لمعادك»[١]، وقيل لابن أبي الزناد: «لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا، قال: هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها»[٢].

يتبين مما تقدم أن الناس كانوا يسعون بحبهم للمال إلى تحقيق مستوى رفيع من العيش، فكانت التجارة خير مهنة لهم[٣].

لذا أقام العرب لهم أسواقاً انتشرت في ربوع الجزيرة العربية، اعتبرت من مظاهر تحضرهم[٤]، وهذا عرض لمواقع هذه الأسواق.

سوق دومة الجندل

دومة الجندل وتسمى أيضاً «دوماء الجندل»[٥] وتقع على النصف من الطريق الذي يربط العراق ببلاد الشام، قال الواقدي: «لما شخص خالد بن الوليد من العراق يريد الشام مر بدومة الجندل»[٦]، وقال ابن حبيب: «هي فيما بين الشام والحجاز»[٧].

وتبعد عن المدينة ثلاث عشرة مرحلة، وعن الكوفة عشر مراحل، وعن دمشق مثلها، وقيل أنها تبعد سبع مراحل عن دمشق وقيل ثماني مراحل، والواقع أنها أقرب إلى الشام منها إلى الحجاز لأنها تقع في أطراف الشام وهي من حدود الروم.

ويصف ياقوت المنطقة التي تقع فيها دومة الجندل بأنها غائط[٨]من الأرض بطول خمسة

---

(١) ابن عبد ربه، العقد، ٣/ ٢٩. وانظر الجاحظ البخلاء، ص١٢.

(٢) ابن بكار، الموفقيات ص١٦٧.

(٣) انظر الكبيسي، أسواق العرب، ص١٢.

(٤) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٣.

(٥) ياقوت، البلدان ٢/ ٤٨٧. البكري، معجم، ص٥٦٥. النجدي، صحيح الأخبار، ٣/ ٢٠٣.

(٦) البلاذري، فتوح، ١/ ٧٤. الطبري، تاريخ ٣/ ٤٠٨. أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٤. ابن خرداذبة، المسالك ص١٢٩.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٣. ياقوت، البلدان، ٢/ ٤٨٧. البكري، معجم، ص٥٦٥. وقيل هي ما بين برك الغمام ومكة والمعنى واحد انظر النجدي، صحيح الأخبار، ٣/ ٢٠٣.

(٨) الغائط: عمق الأرض الأبعد ومنه قيل للمطمئن من الأرض غائط، وكل ما انحد من الأرض فهو =

فراسخ وإلى القرب منها عين «تثج» تسقى منها النخل والزرع، ويحيط بها سور وفي داخله حصن منيع يقال له «مارد» مبني من الجندل ولهذا سميت دومة الجندل، وهو حصن أكيدر ابن عبد الملك الكندي ثم السكوني، ودومة من القريات من وادي القرى كان يسكنها بني كلب، وهي بالقرب من جبل طيء[1].

ويروي البلاذري سمعاً عن بعض أهل الحيرة في سببب بنائها «أن أكيدر وأخوته كانوا ينزلون دومة الحيرة، كانوا يزورون أخوالهم من كلب فيتغربون عندهم، فإنهم لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا بعض حيطانها، وكانت مبنية بالجندل، وأعادوا بنائها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها دومة الجندل»[2].

وفي دومة الجندل كان يقام أول أسواق العرب قبل الإسلام[3]، وذلك في اليوم الأول من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، ثم تبدأ بالزوال تدريجياً، فلا تزال قائمة إلى نهاية الشهر، ثم يفترقون عنها إلى مثلها من العام القادم[4]، وكان يحضرها سائر قبائل العرب، من قرب منهم ومن بعد[5]، يجتمعون فيها للبيع والشراء والأخذ والعطاء[6].

وكانت هذه السوق واحدة من أكبر أسواق العرب، ويبدو أن أهميتها جاءت من موقعها الآنف الذكر، كما جعلها قريبة من بضائع الشام والعراق والجزيرة[7]. وكان ملك هذه السوق بين أكيدر وبين قنافة الكلبي، وأيهما يغلب كان يتولى أمر السوق، فإذا غلب

= غائط. ابن منظور، لسان، ٧/ ٣٦٥.

(١) ياقوت، البلدان، ٢/ ٤٨٧. البكري، معجم، ص٥٦٥. ابن سعيد، نشوة، ٢/ ٨١٥.

(٢) البلاذري، فتوح، ق١/ ص ٧٥.

(٣) المرزوقي ،الأزمنة، ٢/ ١٦١.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٣. البيروني، الأثار، ص ٣٢٨. السويدي، سبائك، ص١١٩. الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٤. بينما لم يذكر اليعقوبي ،تاريخ ١/ ٢٧٠. في أي يوم من شهر ربيع الأول.

(٥) القلقشندي،صبح، ١/ ٤١٠. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٤٣٥. وانظر السويدي، سبائك، ص١١٩. الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٤.

(٦) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع، ١/ ٨٤. البيروني، الأثمار، ص٣٢٨. السويدي، سبائك، ص١١٩. القلقشندي، صبح، ١/ ٤١١.

(٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢٣٨.

العباديون ترأس السق أكيدر، وإذا غلب الغسانيون ملكها قنافة الكلبي، ويروي ابن حبيب طريقة تولية السوق فيقول: « وكانت غلبتهم أن الملكين كانا يتحاجيان فأيما ملك غلب صاحبه بإخراج ما يلقي عليه ، تركه والسوق، فصنع فيهما ما شاء»[١].

ولم يكن الملك الذي يتولى السوق ليسمح لأحد أن يبيع شيئاً أو يشتري إلا بعد أن يبيع هو كل ما أراد بيعه ويشتري ما شاء، مع ما يحصل له من عشورها، كما لم يكن يسمح لأهل الشام والعراق بالبيع فيها إلا بإذنه[٢]. وكان أكيدر هو الذي يتولى أمر السوق ويحصل على عشورها من اليوم الأول لغاية النصف من الشهر المذكور، وربما غلبت بنو كلب على السوق فيتولى أمرها وعشورها رؤساء كلب، فيمتد أمد السوق إلى نهاية الشهر[٣]. ويبدو أن هذا التنافس الشديد بين الحيين مرده ما كان يجنيه من يتولى أمر السوق من أرباح وفوائد وعشور[٤].

ولغرض تأمين سلامة وصول القوافل التجارية الوافدة إلى هذه السوق، وعدم تعرضها لعمليات النهب والسلب من قبل القبائل القاطنة على طريق مرورها، فإن التجار كانوا يلجأون إلى حماية إحدى القبائل، إلا تجار قريش فإنهم لا يتخفرون بأحد حتى يرجعوا ، نتيجة لحلف قريش مع مضر والقبائل المتحالفة معها. وبسبب مكانة قريش الدينية أيضاً، ينما كان تجار اليمن والحجاز يحتاجون إلى خفارة خاصة حينما تمر قوافلهم في مضر، فكانت مضر تقول: « قضت عنا قريش مذمة ما أورثنا إسماعيل من الدين»[٥].

أما إذا أخذوا طريق العراق فإنهم يتخفرون ببني عمر بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز ذلك لهم ربيعة كلها.

وكان يجاور هذا السوق من قبائل العرب قبيلتا كلب وجديلة طيء، وكانوا يعرضون

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٤. المرزوقي، الأزمنة ٢/ ١٦١. وانظر اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦٤. المرزوقي، الأزمنة ٢/ ١٦٢.
(٣) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٤. السويدي، سبائك، ص ١١٩. القلقشندي، صبح، ١/ ٤١١. الألوسي، بلوغ ١/ ٢٦٥. جواد علي، تاريخ، ٨/ ١٦٠.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢٣٩.
(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٤. المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٢.

بضاعتهم في بيوت شعر يقيمونها لهذا الغرض[١].

وقد جاء الإسلام والملك لاكيدر بن عبد الملك[٢] الذي كان يرسل من يعترض سير القوافل التجارية بين بلاد الشام والمدينة[٣]، وقد عد الأفغاني هذا سبباً اضطر الرسول ﷺ لأجله إرسال سراياه إلى دومة الجندل، فيقول: «لولا تعرض أهل دومة لمن يجتاز بقربهم من التجار ما اضطر الرسول إلى إرسال سراياه لتأمين الطريق وتأديب أهل الغيث والفساد »[٤].

سوق المشقر

ومن سوق دومة الجندل يرتحل التجار إلى سوق المشقر، حيث هاجر قاعدة البحرين[٥]، ومدينتها العظمى[٦]، قيل سميت بهجر بنت المكفف زوجة محلم بن عبدالله صاحب النهر الذي بالبحرين ويطلق أحياناً اسم هجر على البحرين كلها[٧]، وهناك مواضع أخر في شبه جزيرة العرب سميت هجر[٨].

وكان يسكن هجر من القبائل العربية طوائف من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس[٩]، وقد اشتهر ذكر هذه المدينة في الكتب، واقترن اسمها مع أجود أنواع التمور في البحرين[١٠]، حيث كانت العرب تقدمه لضيوفها[١١]، واعتبرته من أطيب أصناف الطعام[١٢]، حيث ضرب

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٣. فما بعدها، المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦١ فما بعدها.
(٢) الطبري، تاريخ، ٣/ ١٠٨. القلقشندي، قلائد، ص ٤٧.
(٣) المسعودي، التنبيه، ص ٢١٥. المقدسي، البدء، ٤/ ٢١٤.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢٣٥.
(٥) ياقوت، البلدان، ٥/ ٣٩٣. ابن عبد الحق، مراصد، ٣/ ١٤٥٢. وقال ياقوت في نفس الصفحة قال قوم: هجر بلاد قصبتها الصفا بينها وبين اليمامة عشرة أيام وبينها بين البصرة خمسة عشر يوماً على الإبل... وقيل أن هجر قصبة بلاد البحرين بينه وبين سرين سبعة أيام».
(٦) الهمداني، صفة، ص ٢٤٩.
(٧) ياقوت، البلدان، ٥/ ٣٩٣. والبكري، معجم، ص ١٣٤٦. الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٥.
(٨) انظر الهمداني، صفة، ص ١٦٧.
(٩) البلاذري، فتوح، ق١/ ص ٩٥. الطبري، تاريخ، ٢/ ٥٧.
(١٠) ابن الفقيه، مختصر، ص ٣٠.
(١١) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٣٨.
(١٢) م.ن. ٧/ ٥٠، ٥١.

به المثل لكثرته فقيل: « كمستبضع التمر إلى هجر»[١].

وكان على عرب هجر في عهد الرسول ﷺ المنذر بن ساوى أحد أبناء عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة المعروف بالأسبذي نسبة إلى قرية بهجر يقال لها الأسبذ، وقد بعث الرسول ﷺ العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي سنة ٨ هـ إلى أهل البحرين وكتب معه كتاباً إلى المنذر وسيحنت مرزبمان هجر، يدعوهما إلى الإسلام، أو الجزية، فاستجابا وأسلم معهما جميع العرب وبعض العجم، وصالح العلاء الحضرمي بقية العجم والذميين على أنصاف الحب والتمر[٢].

وقد كانت هجر مركزاً تجارياً مهماً[٣]، وهي سوق بني محارب من عبد القيس والقرى المحيطة بها[٤].

أما المشقر فهو حصن بين نجران والبحرين[٥].

وقال الهمداني: المشقر بالبحرين نحو هجر[٦]، وقال الطبري: «المشقر حصن حياله حصن يقال له الصفا وبينهما نهر يقال له محلم»[٧]. وهذان الحصنان لعبد القيس التي قدمت البحرين وبها اياد فاخرجوهم قهراً ونزلوا فاستقوا بها[٨].

ويبدو أن هناك موضع آخر كان يطلق عليه المشقر، فالأصفهاني يقول: هو جبل لهذيل،

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٩٨. الزمخشري، المستقصي، ٢/ ٢٣٣. الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٥. ابن سعد، نشوة ٢/ ٧٤٧.

(٢) البلاذري، فتوح، ق١، ص ٩٥. وانظر نص الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ إلى المنذر، م.ن، ص ٩٨. الطبري، تاريخ، ٣/ ٩٢.

كما أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى أهل هجر، انظر نصه لدى ابن سلام، الأموال، ص١٩٩، ٢٠٠. البلاذري، فتوح، ق١ ص٩٦، ٩٧.

(٣) الكبيسي، أسواق العرب، ١٩.

(٤) الهمداني، صفة، ص٢٤٩.

(٥) ابن الفقيه، مختصر، ص٢٨. ياقوت، البلدان، ٥/ ١٣٤.

(٦) الهمداني، صفة، ص٢٤٩. السكري، شرح أشعار، ١/ ١٠.

(٧) الطبري، تاريخ ٢/ ١٧٠.

(٨) ياقوت، البلدان، ٥/ ١٣٤.

وهو الذي قال فيه أبو ذؤيب:

حتـى كـأنـي للحـوادث مـروة بصفـا المشقـر كـل يـوم تقـرع[١]

وقال ياقوت الحموي عن الأصمعي بعد ذكر هذا البيت: « وبعض المشقر لخزاعة» وهذا يؤكد على أن المشقر في موضعين[٢].

وقد اختلف الرواة فيمن بنى المشقر، ويبدو أن سبب هذا الاختلاف هو قدم هذا الحصن، حتى نسبوه إلى سليمان بن دواد عليهما السلام[٣].

وكان العرب قبل الإسلام يقيمون سوقاً في (المشقر) بهجر في اليوم الأول من جمادى الآخرة[٤] ويستمر حتى نهاية الشهر، ثم تزول لتقوم في الوقت نفسه من العام القادم، وكان ملوك هذه السوق من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوى، وكانت للملوك الامتيازات نفسها التي كان يحصل عليها ملوك دومة الجندل، من حيث البيع والشراء وأخذ ضريبة العشور.

وكان يوافي هذه السوق فضلاً عن التجار العرب، تجار من أهل فارس يقطعون البحر إليها بتجاراتهم.

ولا بد لمن يقصد هذه السوق من التجار أن يحتمي بمن يضمن له الوصول إليها بأمان، فكانوا « يتخفرون بقريش لأنها لا تؤتى إلا في بلاد مضر»[٥]، وإن حصل وسارت القافلة بدون خفارة، فإنها ربما ستتعرض لهجوم القبائل التي تمر بديارها، حتى وإن كانت هذه القوافل تعود إلى الملوك، وهذا ما حدث للقافلة التي اعتاد كسرى أن يرسلها إلى اليمن

---

(١) الأصفهاني، بلاد العرب، ص١٨.

(٢) ياقوت، البلدان، ٥/ ١٣٥.

(٣) انظر هذه الاختلافات، الطبري، تاريخ ٢/ ١٧٠. ياقوت، البلدان، ٥/ ١٣٤. البكري، معجم، ص١٢٣٢.

(٤) وقيل أنه يقام في جمادى الأولى، اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠. وقيل إنه يقوم في شهر ربيع الآخر، أبو حيان التوحيدي، ١/ ٨٤.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٥. البيروني، الآثار، ص٣٢٨.

محملة بالنبع، لتعود إليه محملة بالمسك والعنبر، وثياب من ثياب اليمن الثمينة[١].

وروى الطبري هذه الحادثة عن هشام بن محمد، إلا أن هذه الرواية يتتابها بعض الغموض، فهو لم يقدم لنا مبرراً لما فعلته القبائل ، ولا السبب الذي دفع صعصعة بن ناجية ابن عقال المجاشعي لدعوة بني تميم وبني يربوع للوثوب على القافلة، غير تذكيره لبني يربوع بما تحصل عليه بكر بن وائل من قوة- فيما لو استولت على العير- تستخدمها في الحرب ضدهم[٢]، وهذا غير كافٍ لتفسير ما حدث ما دامت هذه القبائل تحصل على أجورها نتيجة حمايتها لهذه العير.

ويبدو أن الرواية التي قدمها الأصفهاني عن ابن الكلبي أقرب إلينا في فهم ما حدث، فهو يقدم لنا سبباً يكفي إن حصل لتتعرض القبائل لأي قافلة تمر بها، فذكر أن هوذة ابن علي قال للأساورة: « انظروا الذي تجعلونه لبني تميم، فأعطونيه، فأنا أكفيكم أمرهم، وأسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم»[٣]، وهذا يعني فقدان بني تميم لما كانوا يحصلون عليه من أجور لقاء خفارتهم لهذه العير، مما دعاهم للفتك بمعظم الأساورة وأخذ ما كان مع العير.

لقد أثارت هذه الحادثة غضب كسرى فقرر الانتقام من بني تميم، وحين ذاك أشير عليه أن يمنع عنهم الميرة حتى إذا جاء العام القادم وأقيمت الاسواق، دعوا إليها وأغلقت عليهم أبواب المشقر وأحكم فيهم القتل ، ففعل المكعبر[٤] هذا فقتل منهم الكثير إلى أن فطن خييري بن عبادة بهذه الخديعة فحذر قومه[٥].

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ ٢/ ١٦٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ٧٥.

(٤) المكعبر: هو آزاد فروز بن جشنس عامل كسرى على البحرين، وقد سمته العرب المكعبر لأنه كان يقطع الايدي والأرجل ولا يدع من بني تميم عين تطرف ففعل، الطبري، تاريخ ٢/ ١٦٩. ويذكره البلاذري باسم فيروز بن حنيش البلاذري ، فتوح، ق١، ص١٠٣.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ٧٦. وفي رواية أخرى أن الذي قطع السلسلة هو رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب، الطبري، تاريخ، ٢/ ١٧٠.

وقد اكتسبت سوق المشقر نتيجة هذه الحادثة شهرة تاريخية فسمي هذا اليوم بيوم الصفقة أو يوم المشقر[١].

ولا بد أن نذكر هنا أن قسماً من المؤرخين ذكر هذا السوق باسم سوق المشقر[٢] وذكره القسم الآخر باسم سوق هجر[٣]، بينما يذكر البعض السوقين وكأنهما سوقان منفصلان[٤].

ويبدو من خلال النصوص المتوفرة أنه السوق نفسه، يقول أبو حيان التوحيدي: «ثم ينتقلون من دومة الجندل إلى سوق هجر، وهو المشقر» [٥]، ويذكر الحميري أن «المشقر: قصر بالبحرين ، وقيل هو مدينة هجر»[٦]، وهما يكن من أمر فإن سوق المشقر، شأنه شأن بقية أسواق العرب الأخرى أسهم في تنشيط الحركة التجارية وبخاصة في الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية في الحقبة التي نحن بصدد دراستها ، والملاحظ أن البيع في هذه السوق كان يتم أحياناً بالملامسة والهمهمة والإيماء حيث يومىء بعضهم إلى بعض فيتبايعون دون أن يتكلموا[٧].

سوق صحار بعمان

بعد أن ينتهي التجار من سوق المشقر، ينتقلون بتجارتهم ليقيموا سوقاً أخرى في صحار «أقدم مدن عمان، وأكثرها أموالاً. . ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم ، وإليها تجلب جميع البضائع من اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة ومتاجرها مربحة، وبها نخيل كثير ، ومن الفواكه الموز، والرمان والسفرجل، والكثير من الثمار الحسنة العجيبة الطيبة»[٨]، وقيل أنها سميت بصحار بن أرم بن سام بن

(١) ابن عبد ربه، العقد، ٦/ ٨٦.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٥ . اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠.
(٣) الهمداني، صفة ص٢٩٦ . يذكر السويدي، سبائك، ١١٩ : أن سوق هجر تقوم في شهر ربيع الآخر.
(٤) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٥ . الافغاني أسواق العرب، ص٢٤٠، ٢٤٥.
(٥) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٤.
(٦) الحميري، الروض، ص٥٦٠.
(٧) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٢، ١٦٣.
(٨) الإدريسي، جزيرة ، ص٤٠، ٤١. وانظر الحميري، الروض، ص٣٥٤. قارن الاصطخري، مسالك، ص٢٧.

نوح عليه السلام[١].

وقد تحدث عنها المقدسي فقال: « قصبة عمان ليس على بحر الصين أجل منه، عامر أهل حسن، طيب نزه، ذوبياء، وتجار وفواكه، أجمل من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة.. وهم في سعة في كل شيء»[٢].

يتضح من هذه النصوص أن التجارة كانت تدر على أهل صحار أرباحاً كبيرة، مما جعل أهلها يعيشون في رخاء وسعة حتى أصبحت تنافس كبريات المدن العربية كزبيد وصنعاء.

ويبدو أيضاً أن هذا الرخاء والسعة قد انعكس على جميع أهل عمان ، لذا قال المقدسي : « من أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر »[٣].

وكان لعمان دورٌ كبير في الملاحة البحرية، ويكفي هنا أن نشير إلى أن وقوعها على البحر[٤] وهو الذي اكسبها هذه الشهرة، وساعد إلى حد كبير في نمو وازدهار الأسواق فيها كنتيجة حتمية لكثرة التجار الوافدين إليها، ونشاط الحركة التجارية بينها وبين بقية أجزاء شبه جزيرة العرب من جهة وبينها وبين الهند والصين من جهة أخرى حتى قال ابن الفقيه: «الدنيا ثلاثة، عمان والأبلة وسيراف»[٥]، كما يظهر لنا هذا النص أن شهرة المدن كانت تقاس بقدر ما تلعبه هذه المدينة أو تلك من دور في التجارة العالمية، فالمدن الثلاث التي ذكرها ابن الفقيه، مدن ليس لها أهمية تذكر لولا وقوعها على طرق الملاحة البحرية، ولولا قيامها بدور فاعل في التجارة البحرية، وعمان من هذه المدن التي برزت في هذا المجال، حتى غدت من المراكز التجارية الرئيسية والمشهورة عند ظهور الإسلام[٦].

(١) ياقوت، البلدان ٣/ ٣٩٣.

(٢) المقدسي، أحسن، ص٩٢. ياقوت، البلدان، ٣/ ٣٩٣، ٣٩٤. قارن ابن حوقل، صورة ص٣٨،٣٩. أبو الفداء تقويم، ص٩٩.

(٣) المقدسي، أحسن، ص٣٥.

(٤) ياقوت، البلدان، ٤/ ١٥٠.

(٥) ابن الفقيه، مختصر، ص٢٠٥.

(٦) العاني، عمان، ص١٤٥.

وكان يسكن عمان قبل الإسلام عرب جلهم من الأزد، فضلاً عن أقوام أخرى من غير العرب[١].

وكان العرب قبل الإسلام يقيمون سوقهم في صحار في اليوم الأول من شهر رجب لخمس ليال[٢]، ويبدو من خلال ما ذكره المرزوقي أنها تمتد إلى العشرين من رجب، ويأتيها من التجار من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، ومن شغلته عنها حاجة، ومن لم يكن له ارب فيما يباع في الأسواق التي قبلها[٣]، وهؤلاء يأتون السوق منذ قيامها أي في اليوم الأول من رجب، بينما يأتيها من كان منشغلاً بالأسواق التي قبلها متأخراً فيبقى السوق قائماً حتى ينتهي أصحابها من بيوعهم[٤]، وكان الجلندي يحصل على عشور هذه السوق، أما طريقة البيع فكانت تتم بإلقاء الحجارة[٥].

وبسبب كونها تقوم في رجب وهو من رجب وهو من الأشهر الحرم فإن قاصدها لا يحتاج إلى حماية أحد، فيقدمها بدون خفارة[٦].

سوق دبا

وبعد الفراغ من سوق صحار يتجه التجار إلى سوق آخر قريب هو سوق دبا، ودبا مدينة مشهورة بعمان، إلى جانب صحار، قال ابن خرداذبة: عمان هي صحار، ودبا[٧]، وهي قريبة من البحر[٨]، وتقع فيما بين عمان والبحرين[٩]. وقد قال عنها الطبري: «هي المصر

(١) البلاذري، فتوح، ق١/ ٩٢. ابن سلام، الأموال ص٢١.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٥. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧٠.
(٣) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٣.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٦٣. وقيل: أنها تقوم لعشر يمضين من رجب فتقوم خمسة أيام انظر البيروني، الآثار، ص٣٢٨.
(٥) ابن حبيب ، المحبر، ص٢٦٥.
(٦) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧٠.
(٧) ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٠.
(٨) المقدسي، أحسن، ص٩٣.
(٩) الحميري، الروض، ص٢٣٢.

والسوق العظمى»[١]، وذكر ياقوت عن الأصمعي أنها «سوق من أسواق العرب بعمان . . . وهي مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأخبارها وأشعارها وكانت قديماً قصبة عمان، ولعل هذه السوق المذكورة حررها المسلمون أيام الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١١هـ[٢]، وقال عنها ابن حبيب: «أنها إحدى فرضتي العرب يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب»[٣].

ويبدو أنها كانت قبل الإسلام قصبة عمان ومركزاً تجارياً مهماً ثم اضمحل دورها بعد أن طغت عليها صحار[٤].

وتظل هذه السوق قائمة حتى اليوم الأخير من رجب. فيشترون بها بيوع العرب وما يأتيها عن طريق البحر من بضائع الهند والسند والصين، وكان الجلندي بن المستكبر يعشرهم فيها كما هو الحال في سوق صحار. ويفعل بها مثل ما يفعل الملوك بغيرها ، أما طريقة البيع فكانت تتم بالمساومة[٥].

سوق الشحر

الشحر قصبة أرض مهرة[٦]، تقع على بحر العرب وهو الساحل الجنوبي لشبه جزيرة العرب الذي يمتد بين عمان وعدن[٧].

ونظراً لموقعها البعيد في أقصى جنوب الجزيرة العربية، فقد ضرب بها المثل فقيل «لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر»[٨] وأصل الشحر مأخوذ من شحر الأرض وهو سبخ الأرض ومنابت الحموض[٩].

---

(١) الطبري، تاريخ ٣/ ٣١٥.
(٢) ياقوت، البلدان، ٢/ ٤٣٥.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٥.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٦٤.
(٥) ابن جبيب، المحبر، ص٢٦٥، ٢٦٦.
(٦) الأصطخري، مسالك، ص٢٧.
(٧) المقدسي، أحسن، ص٨٧.
(٨) الهمداني، صفة، ص٣٢٢.
(٩) م.ن، ص٩٠.

وأرض الشحر متصلة بأرض حضرموت من جهتها الشرقية وبها قبائل مهرة[١]، وكانت قديماً من أهم موانىء حضرموت[٢]، وتذكر الروايات الدينية بأنها دار عاد الأولى التي أرسل الله تعالى إليهم النبي هود عليه السلام[٣]، ثم نزل بها بعد ذلك ولد نصر بن الأزد، فسمع له من بها وأطاعوا ودفعوا له الخرج[٤].

وأرض الشحر جلها رمال متحركة تنتقل بها الرياح من مكان إلى آخر[٥]، ولذلك فهي أرض مقفرة لا زرع ولا ضرع فيها، وجل أموالهم الإبل ، وقد اشتهرت بالنجب من الإبل التي لا تجاريها في السير سائر النجب[٦].

وبسبب كثرة اختلاط أهلها بالتجار الأجانب من الحبشة والهند وفارس وغيرهم، ولاختلاف لهجتهم عن لهجة أهل الحجاز «[٧] فإن لسانهم أصبح مستعجماً. . . لا يكاد يفهم، وهو اللسان الحميري القديم»[٨].

وقد اشتهرت أرض الشحر بالعنبر الذي ينسب إليها[٩]، والبان الذي يحمل إلى الآفاق[١٠]، وأشجار الكندر: قال الشاعر:

اذهب إلى الشحر ودع عمانا ألا تجد تمرا تجد لبانا[١١]

ويقوم سوق الشحر في النصف من شعبان بعد انتهاء سوق دبا في موضع تحت ظل

(١) الإدريسي، جزيرة، ص٣٩.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة شحر).
(٣) الطبري، تاريخ، ١/٢٠٨، ابن سعيد، نشوة، ١/٩٢.
(٤) الأصمعي، تاريخ العرب، ص٦٧.
(٥) الإدريسي، جزيرة، ص٣٩.
(٦) الاصطخري، مسالك، ص ٢٧.
(٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٦٦.
(٨) الإدريسي، جزيرة، ص٣٩.
(٩) ياقوت، البلدان، ٣/٣٢٧. دائرة المعارف الإسلامية (مادة شحر).
(١٠) الاصطخري، مسالك، ص٢٧.
(١١) ابن خرداذبة، المسالك ص١٤٧، ١٤٨.

الجبل الذي يقال أن عليه قبر النبي هود عليه السلام[١]، ويقصدها تجار البحر والبر على السواء فيبيعون ما ينفق فيها من الأدم والبز وبقية البضائع، ويشترون ما تنتجه الشحر من الكندر والمر والصبر والدخن[٢].

ونتيجة لنشاط هذا السوق أصبحت علاقاته واسعة ومزدهرة مع أجزاء شبه جزيرة العرب، كعمان وعدن واليمن[٣]، كما كانت لها علاقات مع الحجاز لوقوعها على الطريق الساحلي الذي يربط عمان ومكة[٤].

ومما يشجع التجار على التعامل مع هذه السوق رغم بعدها، هو ما يتحقق لهم من أرباح كبيرة، بسبب عدم وجود من يفرض على تجارتهم العشور، لأنها ليست أرض مملكة .

ولا بد للتجار الذين يقصدون هذه السوق من التخفر بإحدى القبائل وغالباً ما كانت مهرة تقوم بهذه المهمة، خاصة بني محارب[٥].

سوق عدن

عدن مدينة جنوبية تهامية[٦]، ويذكر ياقوت عن الزجاجي أنها «سميت بعدن بن سنان بن إبراهيم عليه السلام، وكان أول من نزلها»[٧]، وتضاف إلى آبين[٨] وهي أقدم من عدن، وإليها تنسب عدن، ومنها معظم فواكههم وخضرهم[٩].

وتقع عدن على ساحل البحر، في فضاء يحيط بها من جهتها الشمالية وعلى مسافة منها

---

(١) ابن حبيب ،المحبر ص٢٦٦ .

(٢) المرزوقي، الأزمنة، ٢/١٦٣، ١٦٤ .

(٣) المقدسي، أحسن، ص٨٧ . دائرة المعارف الإسلامية، (مادة شحر).

(٤) ابن خرداذبة، المسالك ص١٤٧ . قدامة، نبذة، ص١٩٢ .

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦ . ويذكر المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٤ . أن جميع من يختلف إليها من العرب بتجارة تتحفر ببني يثرب.

(٦) الهمداني، صفة، ص٩٤ .

(٧) ياقوت ، البلدان، ٤/ ٨٩.

(٨) آبين اسم رجل من حمير أقام بها فأضيف إليها انظر الزمخشري، ص١٦٧ .

(٩) المقدسي، أحسن، ص٨٥.

جبل يكاد يطبق عليها إلا من ناحية البحر، وقد شق في هذا الجبل طريق ليصبح لعدن منفذان أحدهما بحري والآخر بري[١].

وقد أكسبها موقعها الجيد شهرة كبيرة في التجارة الدولية فغدت مدينة تجارية[٢] بسبب كثرة ما يرد إليها من البضائع، وما يتجهز منها لمختلف البلدان. فقد وصفها أبو الفدا بأنها مدينة «ذات حط وإقلاع لمراكب الهند»[٣] وقال عنها المقدسي: أنها «دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب»[٤] وكانت تردها بضائع الصين أنواع شتى مثل «الحديد الغرند والكميخت والمسك والعود والسروج والغضار والدار فلفل والنارجيل والهرنوة، والقاقلة الدارصيني والخواتجان والبسباسة والأهليلجات والأبنوس والذبل والكافور والجوزبوا والقرنفل والكبابة والثياب المتخذة من الحشيش والثياب المخملة، وأنياب الفيلة والرصاص القلعي وغيرها من القنا والخيزران»[٥].

ويجهز منها العنبر الجيد[٦]، واللؤلؤ[٧] والشروب التي تفضل على القصب والورس[٨].

وتحقق من جراء هذه التجارة الواسعة لأهل عدن والتجار الوافدين إليها أرباحاً كبيرة، على الرغم من ارتفاع أسعار المأكل والمشرب[٩]. فقد ذكر المقدسي أن عدن: «بلد جليل.. مبارك على من دخله مثر لمن سكنه مساجد حسان، ومعايش واسعة وأخلاق طاهرة ونعم ظاهرة»[١٠].

---

(١) الهمداني، صفة، ص٩٤، ٩٦. القزويني، آثار، ص١٠١.
(٢) الإدريسي جزيرة، ص٥٧. ياقوت، البلدان٤/ ٨٩.
(٣) أبو الفدا، تقويم، ص٩٣.
(٤) المقدسي، أحسن، ص٨٥.
(٥) الإدريسي، جزيرة، ص٥٧. الحميري، الروض،ص٤٠٨.
(٦) ابن خرداذبة، المسالك، ص٦١.
(٧) قدامة، نبذة، ص١٩٢.
(٨) المقدسي، أحسن، ص٩٨.
(٩) القلقشندي، صبح ،٥/ ١١، ١٢.
(١٠) المقدسي، أحسن، ص٨٥.

وكانت تقام في عدن أقدم أسواق العرب[١]، بعد أن ينتهي التجار من سوق الشحر، وذلك في اليوم الأول من شهر رمضان ويستمر حتى العاشر منه[٢]، ثم يضمحل السوق وينتهي ليقام مرة أخرى في نفس الموعد من السنة القادمة[٣].

وسوق عدن من الأسواق التي لا يحتاج التاجر الوافد إليها لخفارة أحد بسبب كونها «أرض مملكة وأمر محكم»، وكان ملوك اليمن يحصلون على عشور هذه السوق كملوك حمير ومن ملك من بعدهم، ولا تبيع الملوك فيها ولا تشتري[٤]، وهي بهذا سوق حرة كما يقول الأفغاني: «لكف ملوكها عن مزاحمة الرعية على هذا المورد من الكسب»[٥].

سوق صنعاء

صنعاء هي قصبة نجد اليمن[٦]، وقاعدتها الأولى[٧]، وتقع شمالي شرقي عدن[٨]، في وسط اليمن، ذكر الهمداني أنها « أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها»[٩]، وهي مدينة قديمة زعم أن سام بن نوح هو مؤسسها[١٠]، وقد نزلها العماليق قبل أن تسمى صنعاء[١١]، حيث كان يطلق عليها قبل الإسلام آزال[١٢]. ويروي البكري أنها سميت صنعاء نسبة إلى صنعاء بن ازال بن يعبر[١٣].

---

(١) الهمداني، صفة، ص٩٤. ياقوت، البلدان، ٤/ ٨٩.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦.
(٣) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٤.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦.
(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٧٠.
(٦) المقدسي، أحسن، ص٨٦. القزويني، آثار البلاد، ص٥٠. أبو الفداء، تقويم، ص٩٥.
(٧) الإدريسي، جزيرة، ص٥٦. ابن بطوطة، رحلة، ص٢٧١. وكانت اليمن في الإسلام مقسمة إلى ثلاثة ولاة أحدهما على الجند ومخاليفها وآخر على صنعاء ومخاليفها وهي أوسطها ووالٍ على حضرموت ومخاليفها وهي أدناها. انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص١٤٤.
(٨) أبو الفدا، تقويم، ص٩٥.
(٩) الهمداني، صفة، ص١٠٢.
(١٠) ابن رستة، الاعلاق، ص١٠٩.
(١١) الطبري، تاريخ ،١/ ٢٠٨.
(١٢) الهمداني، صفة، ص١٠٢.
(١٣) البكري، معجم، ص٨٤٣.

وقد قيل الكثير عن خيراتها، قال ابن رستة أنه «ليس باليمن ولا تهامة ولا الحجاز مدينة أعظم منها وأكثر أهلاً وخيراً.. ولا أطيب طعاماً منها»[١]، وبها (١٤) نوعاً من العنب، فضلاً عن أنواع كثيرة من الفواكه، والبقول والحبوب، والشهد الحضوري، والورس واللبان والنخيل[٢]، وقال الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخطر والعصب»[٣].

كما اشتهرت بوجود دار لعمل الثياب المنسوبة إليها[٤].

وكانت تقام في صنعاء سوق من الناحية التي تلي قبلتها[٥]، يحضرها التجار بعد أن يرتحلوا من سوق عدن، وقيامه في النصف من شهر رمضان، ويستمر حتى آخر الشهر، ثم ينقشع ليقام ثانية في نفس موعده من السنة المقبلة[٦]، وقد وصف أبو الفداء أسواق صنعاء بأنها «جليلة ومتاجرها كثيرة»[٧].

ويعشرهم فيها ملوك اليمن[٨]. ونتيجة لكثرة البضائع في هذه السوق فإن أسعارها مناسبة ورخيصة[٩]، إلا بعض أنوا ع البرود الجيدة التي يصل سعرها إلى خمسة دنانير للثوب الواحد من البرد، ونوع من الخرز البقراني الذي يبلغ الفص منه (١٠٠) دينار وربما أكثر من ذلك[١٠].

---

(١) ابن رستة، الاعلاق، ص١٠٩.

(٢) الهمداني، صفة، ص٣١٤. وانظر ابن رستة، الاعلاق، ص١١١ فما بعدها.

(٣) ياقوت، البلدان، ٥/ ٤٤٨.

(٤) الإدريسي، جزيرة، ص٥٦.

(٥) ابن رستة، الاعلاق، ص١١٠.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦.

(٧) أبو الفداء، تقويم، ص٩٥.

(٨) اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠.

(٩) المقدسي، أحسن، ص٨٦.

(١٠) ابن رستة، الاعلاق، ص١١٢.

سوق الرابية بحضرموت

تقع حضرموت في شرق اليمن[١]، وهي إحدى مدنها وأصغر أجزائها[٢]، نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها[٣]، وهي نائية عن الساحل[٤]، بينها وبين البحر رمال[٥]، متصلة تعرف بالأحقاف[٦].

وكان يسكن حضرموت قبل الإسلام الصدف[٧]، ثم فاءت إليهم كندة[٨]، بعد أن جلت من البحرين والمشقر[٩]، وأصبحت في الإسلام إحدى ثلاثة أقسام تتألف منها اليمن ممن كان عليها والٍ[١٠]، وكان ولاتها أو امراؤها في زمن النبي ﷺ من العباهلة[١١].

وقد عرفت حضرموت قديماً بأرض اللبان[١٢]، وقال الإدريسي «وبها متاجر قليلة ويخرج منها الصبر الحضرمي وهو دون الصبر الاسقوطري»[١٣].

وتقوم في الرابية بحضرموت سوق للعرب[١٤]، ذكر ابن حبيب أنه « لم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة، لأنها لم تكن أرض مملكة، وكان من عز فيها بزّ صاحبه، فكانت قريش

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة حضرموت).
(٢) الهمداني، صفة، ص٨٦ و٣٢٢.
(٣) م.ن، ص١٦٥.
(٤) المقدسي، أحسن، ص٨٧.
(٥) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٣٦.
(٦) الإدريسي، جزيرة، ص٥٨. قارن المقدسي، أحسن، ص٨٧.
(٧) الصدف : قبيلة من كندة حازت فضيلة السبق بالهجرة والجهاد أيام الفتح الإسلامي. انظر الهمداني، صفة، ص١٦٦ هامش.
(٨) الهمداني، صفة، ص١٦٦. دائرة المعارف الإسلامية (مادة حضرموت).
(٩) الهمداني، صفة، ص١٧١، ٢٨٤.
(١٠) ابن خرداذبة، المسالك، ص١٤٤.
(١١) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة حضرموت).
والعباهلة من أهل حضرموت. ابن منظور، لسان، ١١/ ٤٢٢.
(١٢) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة حضرموت).
(١٣) الإدريسي، جزيرة، ص٥٩.
(١٤) اليعقوبي، تاريخ ، ١/ ٢٧٠. ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٦.

تتخفر فيها ببني أكل المرار وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن وائل من كندة. . وساد بنو أكل المرار بفضل قريش على سائر الناس فكان يأخذ إليها بعض الناس وبعض إلى عكاظ وكانتا تقومان في يوم واحد، للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر»[١].

لكن قيام هذه السوق وعكاظ في الوقت نفسه يثير الشكوك حول صحة ما ذكرها ابن حبيب فليس هناك ما يدعو العرب وخاصة قريش بتجاوز عكاظ وحضور سوق الرابية بحضرموت، لأن عكاظ كما سنرى لم يكن سوقاً للتجارة فقط، وإنما كان مجمعاً سياسياً واجتماعياً وأدبياً، وقريش أحرص العرب على حضوره، كما أنه لا يوجد ما يميز سوق الرابية عن بقية هذه الأسواق لكي يستدعي حضوره والاستغناء عن عكاظ. وهناك احتمال واحد يمكن معه أن تقوم هذه السوق وعكاظ في آن واحد وهو أن تكون هذه السوق سوق ضئيلة لا يحضرها إلا التجار الصغار من المنطقة نفسها والقرى المحيطة بها.

ومما يدل على عدم أهمية هذه السوق بالنسبة إلى بقية الأسواق ما ذكره أبو حيان التوحيدي من أن قسماً من العرب «من يجوزها ويرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها. . »[٢].

لذلك لا يمكن أن نتصور حضور قريش هذه السوق خاصة وهي تتأهب وتعد العدة لموسم الحج الأكبر، فالذهاب إلى حضرموت والرجوع منها يفوت الفرصة على قريش حضور موسمها.

فمن المحتمل إذن أن هذه السوق كانت تقام قبل قيام سوق عكاظ، وقد حددت إحدى الدراسات الحديثة قيامه في النصف من شوال[٣].

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٧.
(٢) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٥.
(٣) العمران، مواسم العرب، ص١٩.

سوق عكاظ

إن الحديث عن سوق عكاظ يعني في حقيقة الأمر عن كل أسواق العرب قبل الإسلام، فهو أعظمها شأناً[١]، وما كان يجري في بقية الأسواق صورة مصغرة لما كان يجري في عكاظ[٢]، ولا يكاد يخلو كتاب تاريخي أو أدبي تحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام، إلا وكان لسوق عكاظ حيز فيه صغر أم كبر[٣].

لذلك يمكن اعتبار سوق عكاظ تاريخاً لكل الأسواق[٤]، وللعرب أيضاً لأنه حفظ لنا الكثير من أنشطة العرب التجارية والثقافية، والاجتماعية، والسياسية.

ولفظة عكاظ مشتقة من الفعل عكظ، وقال ياقوت الحموي: «عكظ الرجل دابته يعكظها عكظا إذا حبسها وبه سميت عكاظ»[٥] ويقول ابن دريد: « عكظت الرجل أعكظه إذا رددت عليه وقهرته بحجتك، وعكاظ بهذا سمي وهو موضع لمواسم العرب كانوا يتعاكظون فيه بالفخر»[٦]، وقال الزمخشري: «عكاظ متسوق العرب كانوا يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون . . . ومنه قالوا : تعكظوا في مكان كذا إذا اجتمعوا أو ازدحموا »[٧] .

وقال الخليل :سمي عكاظاً «لأن العرب كانت تجتمع فيه كل سنة فيعكظ بعضها بعضاً بالمفاخرة والتناشد، أي يدعك ويعرك، وفلان يعكظ خصمه بالخصوم يمعكه»[٨].

ومما يلاحظ على أقوال المتقدمين أنها جميعاً اتفقت على أن اسم عكاظ مشتق من التجمع والازدحام أو التناشد والتفاخر، مشيرة إلى ما كان يجري فيها من أنشطة مختلفة.

---

(١) الأصمعي، نهاية الأرب، مخطوطة، الورقة ٢٣٨ . وانظر ابن حبيب ،المنمق، ص١٩٠ .
(٢) الأفغاني، أسواق العرب، ٢٨٥.
(٣) هيكل، في منزل الوحي، ص٣٦٣.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢٨٥ .
(٥) ياقوت، البلدان، ٤/ ١٤٢ . وانظر ابن سيدة، المحكم، ١/ ١٥٩ .
(٦) ابن دريد، جمهرة، ٣/ ١٢٠ .ابن سيدة المحكم، ١/ ١٩٥ .
(٧) الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ١٣٥ .
(٨) الفراهيدي، العين ١/ ٢٢٢ .

وقد اختلف في ماهية عكاظ[(١)]، روى ياقوت الحموي عن الأصمعي أن «عكاظ نخل في وادي بين مكة والطائف»[(٢)]، وقال الزمخشري: «عكاظ سوق وقيل عكاظ ماء»[(٣)]، وقال الإدريسي: «سوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ولها سوق يوم الجمعة، وذلك يوم الأحد يقصد إليها في ذلك اليوم بأنواع من التجارات المحوج إليها أهل تلك الناحية فإذا أمسى المساء انصرف كل واحد إلى موضعه ومكانه»[(٤)] وهذا النص يشير إلى أن سوق عكاظ كان يعقد أسبوعياً فضلاً عن كونه موسمياً.

وقال السلمي أن عكاظ: «صحراء مستوية ليس بها جبل ولا علم إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية»[(٥)].

وفي اعتقادي أن الرأي الأخير هو أقرب الآراء إلى الحقيقة،لأنه السبب في اختلاف الباحثين القدماء والمحدثين على حد سواء في تحديد موقع سوق عكاظ، لعدم وجود علامة تميز المكان، مما أدى إلى اندراس المكان بعد اضمحلال السوق وانتهائه.

وعلى الرغم من دأب الباحثين المحدثين، لكنهم لم يوفقوا في محاولاتهم لتحديد موقع سوق عكاظ بصورة دقيقة وجازمة من خلال ما ذكرته المصادر المقدمة، وكل دراسة جرت كانت تنفي ما توصلت إليه الدراسة التي سبقتها[(٦)].

---

(١) انظر الرشيد، سوق عكاظ، ص ٢٦.

(٢) ياقوت، البلدان، ١٤٢/٤. وانظر الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٢.

(٣) الزمخشري، الأمكنة، ص ١٥٤.

(٤) الإدريسي، جزيرة، ص٣٦.

(٥) السلمي، أسماء جبال تهامة، ص٤٤٠ (ضمن نوادر المخطوطات).

(٦) انظر عزام، موقع عكاظ، ص ١٧ فما بعدها. حيث يرى أن موقع سوق عكاظ هو المنطقة الواسعة المطمئنة التي تقع جنوب الشرق بنحو (١٢كم) عن مطار الحويه، والجاسر، موقع سوق عكاظ، ٣/ ٣٧٧. فما بعدها. ونستخلص مما كتبه ما يلي، بعد أن أورد أقوال المتقدمين والمحدثين يرى أن «جميع الأوصاف المتقدمة تنطبق انطباقاً تاماً على الأرض الواسعة الواقعة شرق الطائف- بميل نحوالشمال- خارج سلسلة الجبال المطيفة به، وتبعد تلك الأرض عن الطائف (٣٥ كم تقريباً ومسيرة ليلة للإبل) ويحدها غرباً جبال بلاد عدوان... وجنوباً جبال أسفل وادي لية وأبرق العبيلاء، وضلع الخلص، وشرقاً: صحراء ركبة، وفي أقصاها جبل حضن، وشمالاً طرف ركبة - وهو من عكاظ- والجبال الواقعة شرق وادي قران وتشمل هذه الأرض وادي الأخيضر (وهو المعروف قديماً باسم =

أما أقوال القدماء فيذكر البلاذري أن عكاظ: «فيما بين نخلة والطائف»[١]، وزاد الزمخشري على هذا فقال: «إلى بلد يقال له الفتق»[٢]، ويحدد أبو عبيدة فيما نقله عنه البكري المسافة بينه وبين الطائف فيقول: «عكاظ فيما بين نخلة والطائف إلى موضع يقال له الفتق وبه أموال ونخل لثقيف بينه وبين الطائف عشرة أميال»[٣].

ويذكر الأصفهاني أن عكاظ «نخل في واد بينه وبين الطائف ليل وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقوم سوق العرب بالاثيداء»[٤].

ويختلف ابن حبيب مع نفسه في تحديده لمكان السوق فيذكر في المنمق أن عكاظ «فيما بين نخلة والطائف»[٥] بينما يذكر في المحبر أنه «بأعلى نجد قريباً من عرفات»[٦]، وهذه مفارقة واضحة.

أما اليعقوبي فيكتفي في عبارة «بأعلى نجد»[٧] في حين يذكر الفيومي عن أبي عبيد: أنها «بين نجد والطائف»[٨]. بينما يسلك آخرون منحىً آخر فيذكر الأزرقي «أن عكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء في عمل الطائف على بريد منها وهي سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر»[٩]، ويذكر الفيومي مثل هذا المعنى[١٠].

= وادي عكاظ). وانظر الزركلي، ما رأيت وما سمعت، ص٧٦ فما بعدها، ارسلان الارتسامات اللطاف، ص١٠٧ فما بعدها. هيكل، في منزل الوحي، ص٤٧٤، فما بعدها.

(١) البلاذري، أنساب، ١/ ١٠١.

(٢) الزمخشري، الأمكنة، ص ١٥٤.

(٣) البكري، معجم، ص ٩٥٩.

(٤) الاصفهاني، بلاد العرب، ص٣٢.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص١٩٠.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٧.

(٧) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧٠. وقد اعتبر ابن خرداذبة عكاظ من مخاليف مكة النجدية، ابن خرداذبة، المسالك، ص١٣٣.

(٨) الفيومي، المصباح، ص٦٥٠.

(٩) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩٠.

(١٠) الفيومي، المصباح، ص٦٥٠.

ويجمع ابن حجر بين هذه الآراء فيقول: «هو نخل في وادٍ بين نخلة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن»[١].
من هذا يتبين أن اختلاف المؤرخين القدماء في تحديد موقع سوق عكاظ لم يكن اختلافاً جوهرياً، عدا ما ذكره ابن حبيب في المحبر، لكنهم مع هذا لم يحددوا الموقع بصورة دقيقة للسبب الذي ذكرته سابقاً، فضلاً عن اختلافاتهم في تحديد أقسام شبه جزيرة العرب بصورة عامة.

ويبدو أن المؤرخين لم يقفوا عند هذا الحد، فقد اختلفوا أيضاً في تحديد وقت قيام هذه السوق لكن اختلافهم هذا لم يكن كاختلافهم في تحديد موقعه، وقد تترتب عليه أمور مهمة، منها ما يرتبط بالأحداث التي شهدتها السوق كحرب الفجار مثلاً. ومنها ما يتعلق بوقت قيام الأسواقالتي تأتي بعد عكاظ زمنياً كسوق المجنة وذي المجاز فأي اختلاف في تحديد وقت قيام سوق عكاظ سيتبعه اختلاف في تحديد وقت قيام الأسواق التي بعدها.

يقول اليعقوبي أن سوق عكاظ: « يقوم في ذي القعدة»[٢] ومما يلاحظ على قول اليعقوبي أنه لم يحدد أي يوم من ذي القعدة وبكم من الأيام يستمر قيام هذه السوق.

ويحدد البعض بداية ذي القعدة موعداً لقيامها فيذكر الفيومي عن أبي عبيد أن سوق عكاظ كانت تقام « في ذي القعدة نحواً من نصف شهر ثم يأتون موضعاً دونه إلى مكة يقال له سوق مجنة فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر»[٣]، بينما يرى ابن حبيب أنها « كانت تقوم للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر»[٤]، ويذكر المرزوقي أن العرب « ينزلونها في النصف من ذي القعدة فلا يبرحون حتى يروا هلال ذي الحجة فإذا رأوه انقشعت»[٥] بينما يرى الأصفهاني أن مدتها شهر وربما أكثر فيجعل قيام الحج موعداً لانفضاضها حيث يقول: « وكانت سوق عكاظ في أول ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج»[٦]. بينما يرى

(١) ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤٧٣.
(٢) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧٠.
(٣) الفيومي، المصباح، ص٦٥٠.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ٢٦٧.
(٥) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٥.
(٦) الأصفهاني، الأغاني ١٩/ ٧٥، ابن نباتة، سرح العيون، ص٤٧.

آخرون وهم الأكثر بأن سوق عكاظ تستمر لمدة عشرين يوماً، يروي الزبير بن بكار عن حكيم بن حزام قوله: « كنت أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاثة أسواق، سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذي القعدة فتقوم عشرين يوماً ويحضره العرب»[١].

وينفي آخرون قيام السوق في شهر ذي القعدة، ويجعلون قيامه في شهر شوال ويستمر الشهر كله، يقول ياقوت: « قالوا: كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج»[٢] وهذا يعني أن العرب كانت تقيم أسواقها في عكاظ وتنتهي منه قبل حلول الأشهر الحرم.

وهناك من أكد استمرارها لمدة شهر لكنه لم يحدد اسم الشهر الذي تقوم فيه كالفراهيدي، الذي يقول: « عكاظ اسم سوق كانت العرب تجتمع فيها كل سنة شهراً»[٣].

هذه النصوص تبين لنا أن قسماً من المؤرخين يرون أن مدة قيام السوق خمسة عشر يوماً، وآخرون يؤكدون استمرارها لمدة عشرين يوماً وعند غيرهم تستمر هذه السوق لمدة شهر كامل وربما أكثر من شهر[٤].

وهذه الاختلافات مردها ارتباط قيام سوق عكاظ والأسواق التي بعده كمجنة وذي المجاز بالحج، فهي بمثابة تهيؤ للحج[٥]، قال ابن عبد ربه: «عكاظ بين نخلة والطائف وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال.

فإذا ما تأخر الحج في أحد الأعوام بسبب نسيء الشهور فإنه قد يستمر السوق قائماً لمدة شهر، وربما أكثر، وإذا ما تقدم الحج للسبب نفسه فبذلك تتقلص مدة استمرار السوق إلى

---

(١) ابن بكار، جمهرة، ١/٣٦٧، وانظر ابن عساكر، تهذيب، ٤/٤١٤، وقارن الزمخشري، الأمكنة، ص١٥٤.

(٢) ياقوت، البلدان، ٤/١٤٢. انظر ابن حجر، فتح الباري، ٨/٤٧٣.

(٣) الفراهيدي، العين، ١/٢٢٢.

(٤) انظر الرشيد، سوق عكاظ، ص١١.

(٥) ابن عبد ربه، العقد، ٦/٨٩.

عشرين يوماً أو خمسة عشر يوماً. وهذا ما يشير إليه الأزرقي بوضوح حيث يقول: « فإذا كان الحج في الشهر الذي يسمونه ذا الحجة خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين في المنازل تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ويجتمعون في بطن السوق»[١]، كما أشار إلى ذلك ابن حبيب فقال: « فإن كان الحج في المحرم قام سوق عكاظ صبيحة ذي الحجة فتقوم عشرين يوماً بعكاظ»[٢].

والنسيء هو التأخير، قال المسعودي كانت العرب قبل الإسلام: « تكبس في كل ثلاث سنين شهراً وتسميه النسيء وهو التأخير»[٣] وقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٣٧].

أما القسم الذي ذكر قيام الأسواق في شهر شوال فهو يخالف الكثير من الحوادث والحقائق التي أكدت ارتباط هذه الأسواق بالأشهر الحرم[٤]. ولدينا الكثير من النصوص التي تؤكد ذلك، فقد ذكر السمعاني في حديثه عن تأهل حمصيصة لطريف بن تميم وهو في سوق عكاظ بدون قناع « وكان العرب لا تقتل في الشهر الحرام فتعاهدا إن التقيا بعد يومهما في غير أشهر الحرم أن لا يفترقا حتى يقتل أحدهما صاحبه أو يقتل دونه»[٥]، ويذكر التوحيدي أن العرب «يرتحلون إلى عكاظ وذي المجاز في الأشهر الحرم»[٦]. وذكر السكري عن عكاظ أنها « سوق لا تقوم إلا في الأشهر الحرم»[٧]، وقال ابن حبيب: «خرج بشر بن حازم حتى

(١) الازرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٧، و١٨٨.
(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٤، ٢٧٥.
(٣) االمسعودي، مروج. ٢/ ١٨٨.
(٤) انظر الرشيد، سوق عكاظ، ص١٢.
(٥) السمعاني، الأنساب، ١/ ٥١. انظر الأصمعي، نهاية الأرب، مخطوطة، الورقة٢٤٠.
(٦) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٥.
(٧) السكري، شرح أشعار، ١/ ٤٨.

قدم عكاظ فوجد أن الناس بعكاظ قد حضروا السوق والناس محرمون بالحج»[١] وقال الأزرقي: «تقول قريش وغيرها من العرب لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج»[٢] كما أشارت كتب السيرة إلى ذلك فيقول ابن هشام في حديثه عن حرب الفجار « فأتى آتٍ قريشاً فقال: إن البراض قد قتل عروة وهو في الشهر الحرام »[٣] ولذلك سميت الحرب التي قامت زمن عكاظ بحرب الفجار»[٤] لما صنع فيه من الفجار ولذلك من المستبعد أن تقوم السوق في شهر شوال، وقد جمع الأفغاني الآراء السابقة في قوله: «ويمكن جمع الأقوال المتقدمة بأن عكاظ قد تحتفل بالناس في شوال ويتم تقاطرهم إليها في ذي القعدة: الزمن الرسمي للسوق وحين تذهب جماعاتهم إلى مجنة في العشرين من ذي القعدة يتخلف كثير ممن لم يكن انهى بيعه وشراءه فلا يتم خلو السوق تماماً إلا في غرة ذي الحجة عند اقتراب الحج[٥]. وهذا هو الرأي الصائب لأنه لا يمكن تحديد يوم معين لانفضاض السوق فكل من ينهي بيع بضاعته يغادر السوق ويبقى فيها من لم تنفق جميع بضاعته.

أما زمن ابتداء وانتهاء هذه السوق فيذكر البكري أنها «اتخذت بعد الفيل بخمس عشرة سنة»[٦] وهذا يعني أن بداية نشوئها كانت قريبة من مجيء الإسلام، وهناك من يرى أنها قامت قبل هذا التاريخ ويؤكد الأفغاني قيامها قبل سنة (٥٠٠م)[٧]، وبما أن هذه الدراسة تشمل فترة قبيل ظهور الإسلام وصدره، لذلك لا أريد أن أخوض في تحليل النصوص التي اختلفت في تحديد قيام السوق، لأنها كانت موجود في الحقبة التي تعنيها هذه الدراسة.

أما زمن ترك السوق-وهو الأهم- فقد أشار البكري على أنها تركت «عام خرجت الحرورية بمكة مع المختار بن عوف سن ١٢٩ هـ»[٨].

(١) ابن حبيب، المنمق، ص١٩٦.
(٢) الأزرق، أخبار مكة، ١/ ١٩٢.
(٣) ابن هشام، السير، ١/ ١٨٦. ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨٠.
(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٥. ابن عبد ربه، العقد، ٦/ ٨٩.
(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٩٠.
(٦) البكري، معجم، ص٩٥٩.
(٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص٣٤٣.
(٨) البكري، معجم، ص٩٥٩. ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤٧٣.

بينما يرى آخرون أنها تركت بمجرد مجيء الإسلام. يقول الجاحظ عن عكاظ وذي المجاز أنهما «سوقان معروفان وما زالتا قائمتين حتى جاء الإسلام»[١]، وقال الفراهيدي: «عكاظ اسمُ سوق كانت العرب تجتمع فيها كل سنة شهراً ويتناشدون ويتفاخرون يتفرقون فهدمه الإسلام»[٢] على الرغم من عدم وجود ما تشير صراحة إلى أن الأسواق قد تركت بمجرد مجيء الإسلام.

ولكن من المؤكد أنه بمجيء الإسلام، لم تعد هذه الأسواق تحتل المكانة نفسها التي تبوأتها قبل الإسلام، لتعارض مبادىء وقيم الإسلام مع الكثير مما كان يجري فيها من طرق البيع والشراء والعادات والمفاخرات.

أما حضور القبائل لهذه السوق، فتأتي قريش في مقدمة القبائل التي تحضر سوق عكاظ، ونظراً لأهمية حضورها فقد جعل المؤرخون حضورها يساوي العرب جميعاً، قال اليعقوبي: «ينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر»[٣] كما أشار ابن حبيب إلى ذلك في قوله: «وهذه أسواق العرب وقريش» ويحضرها بطبيعة الحال القبائل التي كانت تقطن قريباً من أرض عكاظ، كقيس عيلان، وبني النصر، وثقيف.

وقال الأزرقي: «هي سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنضر» ويقول السكرى في شرح بيت أبي ذؤيب:

فما برحت الناس حتى تبينت ثقيفاً بزيزاء الأشاء قبابها

يقول أن المعنى: « حملت إلى سوق عكاظ وهي دار ثقيف».

ويحضر هذه السوق إلى جانب قريش والقبائل القريبة من عكاظ أعداد كبيرة من القبائل العربية، يشير ابن حبيب إلى ذلك في قوله: « وكانت قريش تنزلها وهوازن وطوائف من أفناء العرب، وغطفان وأسلم والأحابيش، وهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وعضل،

(١) الجاحظ، الحيوان، ٧/ ٢١٥.
(٢) الفراهيدي، العين ١/ ٢٢٢، ابن منظور ، لسان، ، ٧/ ٤٤٧.
(٣) اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠. وانظر الرشيد، سوق عكاظ، ص٦٢.

والديش، والحيا، والمصطلق»[١]، وربما تصل أعداد من يحضرها إلى الألوف كما يقول أبو ذؤيب:

إذا بني القباب على عكاظ ... وقام البيع واجتمع الألوف [٢]

ومما يدل على أهمية هذه السوق بالنسبة للعرب وخاصة قريش، إنها ائتمرت لقتل عبد الله بن جدعان -أحد أبنائها- لأنه طرد مئة ناقة من كلاب بن ربيعة من قبيلة هوازن بعد أن هددتها هوازن بمنعها من حضور موسم سوق عكاظ لتلك السنة، جاء ذلك على لسان كلاب ابن ربيعة في قوله لقريش: «إن سفيهكم أغار علي فطرد مائة ناقة، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ ولي لديكم وترة»[٣]، وجاء قرار قريش بائتمارها على قتل عبد الله بن جدعان لكونها لا تستغني عن تجارتها في سوق عكاظ، أكد ذلك عبد الله بن جدعان في قوله: «إن قريشاً ائتمرت يقتلي لئلا اجني عليهم الجرائر فيطلبون بسببي وهم تجار لا يستغنون عن بلد»[٤].

فلولا مكانة هذه السوق عند قريش، وخوفها على تجارتها فيه ما كانت ترضخ لتهديد هوازن. وما كانت لتقدم على التفريط بأحد أبنائها، «وهو شيء لا تسمح به العرب أبداً حتى تفنى عن آخرها»[٥]، وفضلاً عن هذا فإن نص الهمداني يوضح دور قبيلة هوازن، والمكانة المرموقة التي تمتعت بها في مكة[٦] ومقدرتها على أن تمنع من تشاء وتدني من تشاء[٧].

وليس لدينا ما يدل على أهمية هذه السوق أكثر من معرفتنا لما كان يجري فيها من أنشطة مختلفة، سواء كان منها التجارية أم الثقافية أم السياسية، أم الاجتماعية أم الدينية.

أما الحكم بين الناس في عكاظ فكان في بني تميم، يشير التوحيدي إلى ذلك في قوله: «ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم».

ويبدو أن هذا الاسم أصبح وراثياً في بني تميم يقول المرزوقي: « قال أبو المنذر وتزعم

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٧. المرزوقي، الأزمنة، ج٢، ص١٦٥.
(٢) السكري، شرح أشعار، ١/ ٤٧، وانظر: الرشيد، سوق عكاظ، ص٢٨.
(٣) الهمداني، الإكليل، ٨/ ١٨٤.
(٤) م.ن، ٨/ ١٨٥.
(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ص١٦٣.
(٦) انظر كستر، الحيرة، ص٦٠.
(٧) الرشيد، سوق عكاظ، ص٢٨، ٢٩.

مضر أن أمر الموسم وقضاء عكاظ في بني تميم يكون ذلك في اتخاذهم الموسم على حده وعكاظ على حده». وربما اجتمع الموسم والقضاء لشخص واحد، وأول من اجتمع له ذلك عامر بن الضرب العدواني. وهو شرف كبير يفتخر به لنفسه ولقبيلته.

نشاط مجنة

تقع مجنة بالقرب من مكة على أميال يسيرة منها من ناحية مر الظهران[١] وقدرت المسافة بينها وبين مكة بثلاثة أميال[٢] وقيل بريد[٣]، وبالقرب منها يقع الجبل الأصفر[٤]، وأرض مجنة لكنانة[٥]، ولهم فيها آبار ماء[٦]، وذكر ياقوت أنها كانت «منزلاً للدلائل من كنانة»[٧].

ويبدو أن مياهها عذبة وغزيرة نسبياً فقد روى ابن هشام أن بلالاً كان إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفخ وحولي اذخر وحليل

وهل اردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدو لي شامة وطفيل[٨]

كانت تقام في مجنة سوق للعرب أيام موسم الحج[٩]، لكن شهرتها ليست بمستوى سوق عكاظ، فلم يذكرها التوحيدي[١٠]، والسويدي[١١]، والبيروني[١٢]، وابن حبيب في

(١) البكري، معجم، ص١١٧٨.
(٢) الحميري، الروض، ص٥٢٣.
(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩١.
(٤) البكري، معجم، ص١١٨٧.
(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩١. ابن حجر، فتح الباري، ٣/ ٣٨٥.
(٦) ابن سعيد، نشوة، ١/ ٣٧٢.
(٧) م.ن.
(٨) ابن هشام، السيرة، ١/ ٥٨٩. انظر الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩١. (شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة، انظر الأزرقي، وأخبار مكة، ١/ ١٩٠.)
(٩) الآلوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٦. ابن سعيد، نشوة، ١/ ٣٧٢.
(١٠) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع، ١/ ٧٥.
(١١) انظر السويدي، سبائك، ص١١٧، ١١٨.
(١٢) انظر البيروني، الآثار، ص٣٢٨.

المحبر[١] بينما أشار إليها في المنمق[٢] في معرض حديثه عن عكاظ، واكتفى المرزوقي بالقول: « وزاد بعضهم في الأسواق المجنة وهي قريبة من ذي المجاز»[٣].

ويبدو أن السبب في عدم شهرتها لا يكمن في عدم أهميتها، ولكن عظمة سوق عكاظ طغت عليها وعلى الأسواق جميعاً ، ولذلك لا تظهر قيمة أية سوق إذا ما اقترن ذكرها مع سوق عكاظ.

ومهما يكن من أمر فإن سوق المجنة تقوم لمدة عشرة أيام، ذكر الزبير بن بكار فقال: «كان سوق مجنة يقوم عشرة أيام حتى إذا رأينا هلال ذي الحجة انصرفنا وانتهينا إلى سوق ذي المجاز »[٤]. وذكر الأزرقي أنها تقوم في العشر الأواخر من ذي القعدة بعد انصرافهم من سوق عكاظ مباشرة[٥]، بينما يذكر ياقوت «أن العرب تقيم في سوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة»[٦]، وهذا الاختلاف سبق وأن تحدثنا عنه في سوق عكاظ. ومن الجدير بالذكر أن هذه السوق شأنها شأن سوق عكاظ وذي المجاز يأتيهما الناس وهم محرمون بالحج، فقد كانت قريش وغيرها من العرب تقول: «لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج»[٧].

وظلت هذه السوق قائمة في الإسلام فترة من الزمن، وتركت بعد سوق عكاظ «واستغنوا عنها بالأسواق بمكة ومنى وبعرفة»[٨].

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٧.
(٢) ابن حبيب المنمق، ص٢٧٥.
(٣) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٧٠.
(٤) ابن بكار، جمهرة، ١/ ٣٦٨.
(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٧، ١٨٨.
(٦) ياقوت، البلدان، ٤/ ١٤٢.
(٧) الأزرقي، أخبار ، ١/ ١٩٢.
(٨) م.ن. ١/ ١٩٠.

سوق ذي المجاز

يعد سوق ذي المجاز ثاني أكبر أسواق العرب قبل الإسلام بعد سوق عكاظ، وكل ما كان يجري من أنشطة في سوق عكاظ، كان له وجود في سوق ذي المجاز[١]، ولكن ليس بالسعة نفسها.

وقد ذكر الأزرقي أنها «سوق لهذيل عن يمين الموقف بعرفة قريب من كبكب على فرسخ من عرفة»[٢]، وقال الواقدي: «سوق ذو المجاز خلف عرفة»[٣] وقال الأصفهاني: «ذو المجاز ماء من أصل كبكب»[٤]، وهي قريبة من عكاظ[٥].

وكانت تقوم هذه السوق في اليوم الأول من ذي الحجة، قال المرزوقي: «فإذا أهلوا هلال ذي الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذي المجاز . . . وأقاموا بها حتى يوم التروية ويوافيهم حينئذٍ العرب ورؤسهم ممن أراد الحج ممن لم يكن شهد الأسواق»[٦].

يتضح من هذا أن سوق ذي المجاز سوق نشطة، يحضرها كل من جاء حاجاً أو تاجراً، والسبب في ذلك يعود إلى أن العرب بعد أن ينتهوا من هذه السوق «يتوجهون إلى مكة لحجتهم»[٧] فيصدرون إلى منى[٨]، ثم «يقفون بعرفة ويقضون ما عليهم من مناسك ثم يتوجهون إلى أوطانهم»[٩]. فتكون بذلك سوق ذي المجاز «آخر أسواقهم، وكانوا لا يبيعون بيوم عرفة ولا في أيام منى ولا يبتاعون، وكانوا يرون أن أفجر الفجور العمرة في شهور الحج»[١٠].

---

(١) السكري، شرح اشعار، ٢/ ٦٢٣.
(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩٢.
(٣) ابنحبيب، المنمق، ص١٩٠.
(٤) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٢.
(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٧.
(٦) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٥، ١٦٦.
(٧) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧٠.
(٨) البيروني، الأثار، ص ٣٢٨.
(٩) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع، ١/ ٨٥.
(١٠) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٥.

وتستمر هذه السوق لمد ثمانية أيام، لأن « يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بيوم التروية لأنهم يرتوون فيه من الماء لما بعد»[١].

سوق حباشة[٢]

حباشة سوق من أسواق العرب قبل الإسلام[٣]، وهي أكبر أسواق تهامة وأعظمها[٤]، وقال الأزرقي: « حباشة سوق الأزد وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن هي من مكة على ست ليال»[٥].

ولم تكن هذه السوق في مواسم الحج لا في أشهره،[٦] وإنما كانت تقام في شهر رجب[٧]، وتستمر لمد ثمانية أيام[٨].

وسوق حباشة سوق محدودة، وربما اقتصرت على من حولها من القبائل العربية[٩]، كأهل الحجاز وأهل اليمن[١٠]. لذلك فهي أقل شهرة من الأسواق العربية الكبرى وما شهرتها إلا نتيجة لتجارة الرسول ﷺ فيها، فقد روى الزبير بن بكار عن الواقدي أن حكيم بن حزام قال: «كان بتهامة أسواق أعظمها سوق حباشة، وكنت أحضره ، قال: رأيت رسول الله ﷺ حضر واشتريت منه بزاً من بز تهامة، وقدمت به مكة، فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول ﷺ تدعوه إلى أن يخرج لها في تجارة إلى سوق حباشة، وبعثت معه غلامها ميسرة، فخرجا فابتاعا بزاً من بز الجند وغيره مما فيها من التجارة ورجعا إلى مكة فربحا ربحاً حسناً »[١١].

---

(١) الآلوسي، بلغ، ١/ ٢٧٠. بينما يقول الواقدي: (قالوا: كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى مجنة فتقيم عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج. أنظر ياقوت، البلدان، ٤/ ١٤٢. أي أن السوق تستمر لمدة (١٨) يوماً.

(٢) حباشة: الجماعة من الناس ليسو من قبيلة واحدة ، وحبشت له حباشة ، أي جمعت له شيئاً ، انظر ياقوت، البلدان، ٢/ ٢١٠.

(٣) ياقوت، البلدان، ٢/ ٢١٠.

(٤) البكري، معجم، ص٤١٨ انظر ابن بكار، جمهرة، ١/ ٣٧١.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩١.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٩٢.

(٧) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٧.

(٨) ابن بكار، جمهرة، ١/ ٣٧١.

(٩) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٥٩.

(١٠) جواد علي، تاريخ ٨/ ١٦٠.

(١١) ابن بكار، جمهرة، ١/ ٣٧١، وانظر الطبري ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

وهي آخر ما ترك من أسواق العرب قبل الإسلام[١]، ويروي لنا الأزرقي سبب خرابها فيقول: «كان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غنى بعثه داود بن عيسى بن موسى في سنة سبع وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء أهل مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم»[٢].

لقد تناول البحث في الصفحات السابقة، الأسواق المشهورة لدى العرب قبل الإسلام، إلا أنه كانت هناك أسواق أخرى تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية، لأنها كانت تقام على هامش الأسواق العظيمة التي مرّ ذكرها.

ومن هذه الأسواق سوق نطاة خيبر، وحجر اليمامة، اللذان يقومان يوم عاشوراء ويستمر حتى نهاية محرم[٣]، وسوق بدر[٤]، التي كانت موسماً للعرب يتبايعون فيها[٥] وذكر الواقدي أنها «تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان ليالٍ خلون منه فإذا مضت ثماني ليالٍ منه تفرق الناس إلى بلادهم»[٦] كما ذكر الهمداني أسواقاً متعددة في اليمن مثل سوق الجريب الأعظم، وسوق جيلان، وفي بلد حاشد أسواق كثيرة أولها وأقدمها سوق همل وهي سوق كانت نشطة قبل الإسلام.

ويبدو أن هذه الأسواق ذات نطاق محدود ولا تتعدى كونها سوقاً لما يحيط بها من القبائل.

ومن الطبيعي أن تنشأ إلى جانب هذه الأسواق الموسمية أسواق تزود الناس بالسلع طيلة

---

(١) االألوسي، بلوغ، ١/ ٢٧٠.

(٢) الأزرقي، اخبار مكة، ١/ ١٩٣.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٨. وقيل أنهما يقومان أول المحرم إلى العاشر منه، انظر البيروني، الآثار ص ٣٢٨.

(٤) الهمداني، صفة، ص٢٩٦. وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الجار ليلة، وبين بدر والمدينة ٧ برد، انظر ياقوت، البلدان ١/ ٣٥٧ و٣٥٨.

(٥) البلاذري، أنساب، ١/ ٣٤٠.

(٦) الواقدي، المغازي، ١/ ٣٨٤.

فترة السنة، لكن هذا البحث لا يتسع لدراسة هذا النوع من الأسواق، لذا سأكتفي بذكر أسماء الأسواق التي نشأت في المدينةالمنورة فقط،لما لها من أهمية، ذلك لارتباطها منذ وقت مبكر بالدعوة الإسلامية وبهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، ولعل ما يرد بها من معاملات تجارية ينطبق أو يماثل غيره من أسواق العرب الأخرى الدائمة.

كانت للعرب قبل الإسلام أسواق بالمدينة فقد ذكر ابن شبة عن عطاء بن يسار قال: «لما اراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: «هذه سوقكم فلا ينقص منه ولا يضربن عليه خراج»[(١)]

وفي رواية ثالثة عن أبي أسيد أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : «يا رسول الله إني قد رأيت موضعاً للسوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع سوق المدينة اليوم- أي في زمنهم- قال: فضرب النبي ﷺ برجله وقال: «**هذا سوقكم، فلا ينقص منه ولا يضربن عليه خراج**»[(٢)].

وفي رواية أخيرة لابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه: «أن النبي ﷺ أتى بني ساعدة فقال: «**إني قد جئتكم في حاجة تعطوني مقابركم فاجعلها سوقاً**»، وكانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبي ذئب إلى دار زيد بن ثابت، فأعطاه بعض القوم، ومنعه بعضهم، وقالوا: مقابرنا ومخرج نسائنا ثم تلاوموا فلحقوه وأعطوه إياه فجعله سوقاً »[(٣)] .

يتضح من خلال هذه النصوص أن الرسول ﷺ أراد أن يجعل هذه السوق منافسة لسوق بني قينقاع، وليتخلص من تحكم اليهود في أسواق المدينة، كما يتبين أنه ﷺ أقر مبدأ التجارة الحرة بإلغائه الضرائب المفروضة على الباعة، تشجيعاً للتجار لجلب بضاعتهم إلى المدينة، خاصة أن قريشاً كانت قد منعت الناس من التعامل مع المسلمين كما أن أغلب المهاجرين كانوا تجاراً قد تركوا أموالهم وتجارتهم في مكة فأراد الرسول ﷺ أن يعوض المهاجرين عن بعض ما فقدوه.

---

(١) ابن شبة، تاريخ المدينة، ١/ ٣٠٤.
(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ٢/ ٧٤٧.
(٣) م. ن، ٢/ ٧٤٨.

وينبغي أن لا يفهم من النصوص السابقة أن إقامة سوق المدينة تعني إقامة أبنية ومسقفات محددة للباعة، وإنما أماكن تغلب عليها البساطة، ويتم فيها عرض أنواع السلع المراد بيعها للناس، ولدينا نصوص كثيرة تشير إلى ذلك[١]، ومن هنا يتضح أن السوق عبارة عن فسحة من الأرض يجلس فيها الباعة مع بضاعتهم. روى البلاذري عن القاسم بن سلام قال: «خرج علي إلى السوق فرأى أهله قد حازوا أمكنتهم فقال: ليس ذلك لهم، إن سوق المسلمين كمصلاتهم، من سبق إلى موضع فهو له يومه حتى يدعه»[٢].

وروى السمهودي أنه «كان الراكب ينزل بسوق المدينة فيضع رحله ثم يطوف بالسوق ورحله بعينه يبصره لا يغيبه عنه شيء»[٣].

ومن الطبيعي أن تطبق تعاليم الإسلام في هذه السوق، ولذلك ألغى الرسول ﷺ كل البيوع التي اعتبرها الإسلام فاسدة[٤].

ونظراً للأهمية الكبيرة التي أولاها الإسلام للأسواق فقد فرض عليها نوع من المراقبة وهي الوظيفة التي سميت فيما بعد «بالحسبة» ولست أريد أن أخوض في موضع الحسبة لأنها لم تكن موجودة في الفترة التي أتحدث عنها، بالمفهوم والتعقيد الذي رافق نشؤها وتطورها حتى نضجت وأصبحت على ما هي عليه في العصر العباسي. ولكن ما دامت الحسبة تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥]، فقد مارس الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم هذه الوظيفة بهذا المعنى، وذلك «لعموم مصلحتها وعظم منفعتها.. مع ما كانوا فيه من شغل الجهاد وتجهيز الجيوش»[٦]. روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: يا صاحب الطعام ما هذا؟ فقال أصابته السماء يا رسول الله فقال ﷺ : أفلا جعلته

---

(١) انظر ابن شبة، تاريخ المدينة، ٢/ ٧٥٠. الطبري، تاريخ، ٣/ ١٨، السمهودي، وفاء الوفا ٢/ ٧٤٩.

(٢) البلاذري، فتوح، ق٢، ٣٦٦.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ٢/ ٧٤٩.

(٤) انظر أنواع البيوع، ص١٢٠ من هذه الدراسة.

(٥) الماوردي، الأحكام، ص٢٣٠، ٢٤٣. الغزالي، إحياء، ٢/ ٣١٢، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٧. ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١. الشهاوي. الحسبة، ص٩.

(٦) المجليدي، التيسير ص٤٢. الكتاني، التراتيب، ص٢٨٦.

فوق الطعام؟ حتى يراه الناس، ثم قال ﷺ: من غش فليس منا»[١]، وهذا نهي منه ﷺ عن المنكر. . وهو احتساب ظاهر ومراقبة لما يقع الأسواق من غش[٢]. وقيل أن الرسول ﷺ قال: «واستعينوا على كل صنعة بصالح أهليها»[٣].

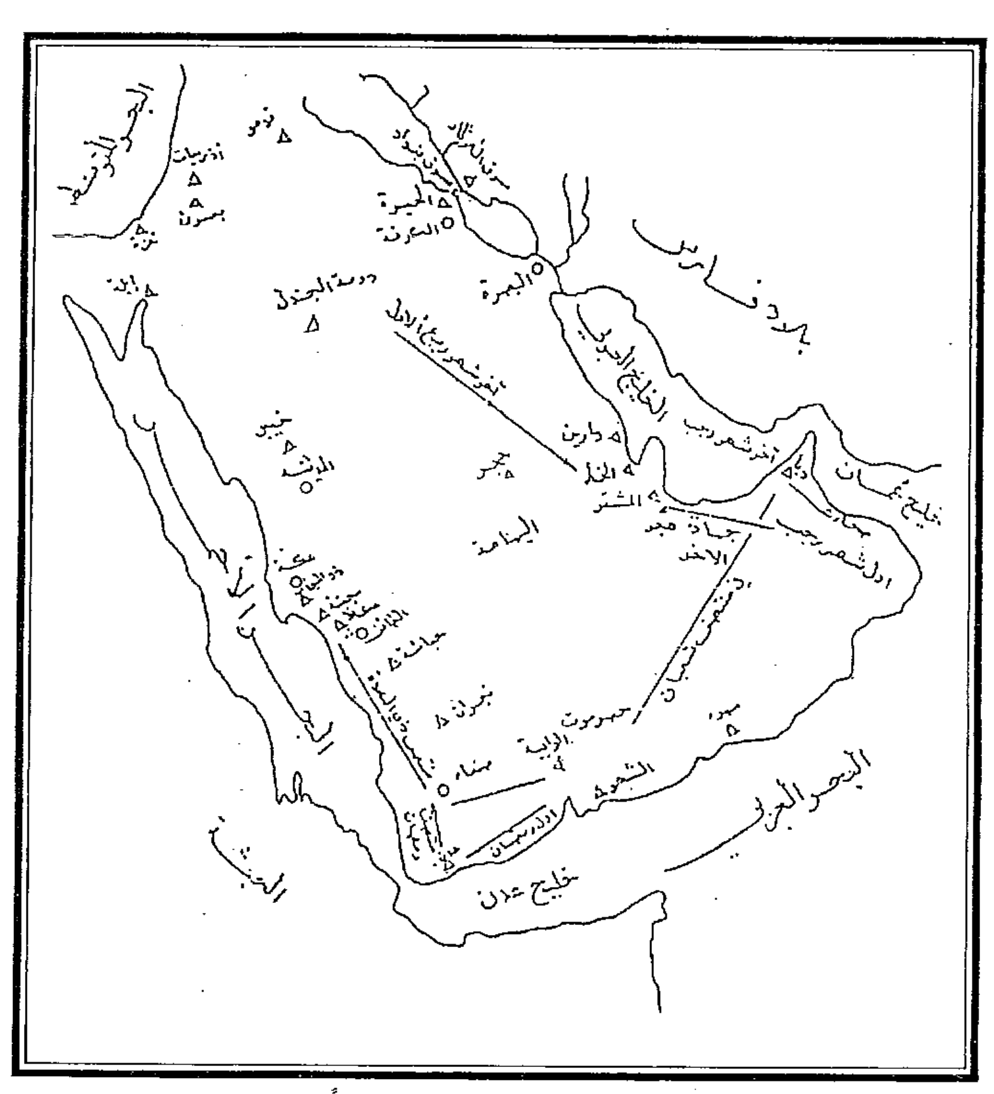
ولدينا أيضاً ما يشير إلى أن الرسول ﷺ استعمل سعيد بن سعيد بن العاص على سوق مكة بعد أن ظهر على قريش[٤]، واستعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سوق المدينة[٥]، كما استعمل ﷺ سمراء بنت ناهيك الأسدية، ذكر ذلك ابن عبد البر في ترجمة لسمراء قال: « أدركت رسول الله ﷺ وعمَّرت وكانت تمر في الأسواق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتضرب الناس على ذلك بسوط كان معها»[٦].

كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في السوق يأمرهم بتقوى الله حاملاً درته[٧].

روى ابن الجوزي عن محمد بن سعد قال: «إن عمر أول من عس في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدب بها وقيل بعده: لدرة عمر أهيب من سيفكم»[٨]، وذكر ابن حزم أن الخليفة عمر رضي الله عنه استعمل على السوق الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس[٩].

وروى البلاذري أن الخليفة عثمان بن عفان ولى الحارث بن الحكم على السوق[١٠] ولدينا ما يشير أيضاً إلى أن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمشي في الأسواق ومعه درته يأمرهم بتقوى الله وحسن البيع[١١].

(١) الترمذي، سنن، ٢/ ٣٨٩.
(٢) الشهاوي، الحسبة، ص١٠٣، ١٠٤.
(٣) الدمشقي، الاشارة، ص١٩.
(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٨. الحلبي ، انسان العيون، ٣/ ٣٦٥.
(٥) الحلبي، انسان العيون، ٣/ ٣٦٥.
(٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ٣٣٥. الكتاني، التراتيب، ص٢٨٥.
(٧) ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص٦٤، ١٥٧.
(٨) م. ن. ص٥٨.
(٩) ابن حزم، جمهرة، ص١٥٠، ١٥٦. وانظر: ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٤١.
(١٠) البلاذري، أنساب، ٥/ ٤٧.
(١١) م. ن. ٢/ ١٢٩، ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق ١، ص١٨.



خارطة اسواق شبه الجزيرة العربية نقلاً عن

د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي / اسواق العرب التجارية

الفصل الثالث

السلع المتداولة في الأسواق

١) المنتجات الزراعية:

تواجدت في أسواق شبه جزيرة العرب كل المنتجات الزراعية، سواء كانت تنتج محلياً أم تستورد أحياناً من خارجها ، وقد تبين من خلال دراسة شبه الجزيرة جغرافياً، أنها ذات طبيعة متنوعة، وعلى الرغم من وجود أراضٍ صحراوية واسعة، فقد انتشرت على أطرافها أراضٍ عرفت بخصوبتها . التي عدت مخزن بلاد العرب الوسطى[١].

إن وجود هذه الأراضي جعل اهتمام سكانها منصباً على زراعتها بمختلف أنواع النباتات الغذائية كالحبوب والفواكه، ويأتي القمح والشعير في مقدمة الحبوب التي كانت تشكل العادة الغذائية الرئيسية[٢]. لسكان شبه جزيرة العرب، إذ كان القمح غذاء الفئات الغنية بينما كان الشعير غالباً ما يكون غذاء الفئة الفقيرة[٣]. وفضلاً عن القمح والشعير كانت أرض اليمن تنتج أنواعاً أخر من الحبوب كالرز والسمسم والذرة[٤] كما كانت اليمامة تنتج كميات جيدة من القمح الذي يسمى بيضاء اليمامة[٥]، غير أن إنتاج أراضي الجزيرة من الحبوب كان غير كافٍ لسد حاجة السكان مما يتطلب استيراده من الخارج أحياناً، وقد كانت بلاد الشام مصدر توريد الحبوب للحجاز[٦] ، حيث كان هاشم بن عبد مناف يختلف في تجارته إلى بلاد الشام[٧]، فيأتي بالمواد الغذائية لأهل مكة[٨].

(١) العسلي، التربية، ص٣٧.
(٢) العلي، التنظيمات، ص٢٣٥.
(٣) جواد علي، تاريخ، ٨/ ١٦٦.
(٤) ابن رستة، الأعلاق، ص١٠٩.
(٥) ابن الفقيه، مختصر، ص٢٩.
(٦) م. ن، ص٩٢.
(٧) البلاذري، أنساب، ١/ ٦٤.
(٨) م. ن. ١/ ٥٨.

وفضلاً عن الحبوب كان يجلب من الشام الزيت الذي يسمى بالزيت الركابي الذي ضرب به المثل لجودته ونظافته[١].

وكان التمر سلعة لم تقل أهمية عن الحبوب في أسواق الجزيرة، وهو يدر على أصحابه دخلاً جيداً. فضلا عما كان يباع في الأسواق من منتجات بسيطة تعتمد في صناعتها على النخيل[٢]، واشتهرت مناطق عديدة من الجزيرة بزراعة النخيل كالمدينة المنورة التي عرفت بجودة تمورها المسماة البردى والعجوة[٣]، كما اشتهرت خيبر بتمرها الصيحاني[٤] ناهيك عن تمور هجر التي ضرب بها المثل لكثرتها[٥]، وعمان هي الأخرى عرفت بجودة تمورها أمثال الفرض والبلعف والنجوت[٦]، وكذلك تمر اليمامة الذي كان ينادى عليه في الأسواق (يمامي اليمامة) فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي[٧].

وعرفت الطائف بكثرة الكرم فيها ، وكان يحمل منها فيباع في أسواق مكة[٨]، وفي سوق عكاظ[٩]، وقيل إن للعباس بن عبد المطلب أرضاً بالطائف يحمل الزبيب منها فينبذ في سقاية الحجيج قبل الإسلام[١٠].

وذكر ابن الفقيه أن لعمرو بن العاص وهطاً في الطائف. « وهو كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة كل خشبة ألف درهم»[١١] قدرت غلته منها عشرة آلاف ألف درهم»[١٢].

---

(١) الثعالبي، ثمار، ص٤٢٢.
(٢) جواد علي، تاريخ ٨/ ١٦٥، ١٦٦.
(٣) الاصطخري، مسالك، ص٢٣، ٢٥.
(٤) م. ن، ص٢٥.
(٥) م. ن، ص٢٣.
(٦) ابن الفقيه، مختصر ص٣٠.
(٧) م. ن، ص٢٩، ٣٠.
(٨) الاصطخري، مسالك، ص٢٤.
(٩) الطبري، تاريخ ٢/ ٥٣٦.
(١٠) البلاذري فتوح، ق١، ص٦٦.
(١١) ابن الفقيه، مختصر، ص٢٢.
(١٢) اليعقوبي، مشاكلة، ص١٦.

أما بقية الفواكه كالرمان والسفرجل والخوخ، والموز فقد أسهب الهمداني في ذكر ما يزرع منها في اليمن[١]، كما كانت الطائف تنتج أنواعاً كثيرة منها[٢] فيباع في أسواقها المحلية والأسواق القريبة منها.

المنتوجات الحيوانية

لقد حتمت الظروف الجغرافية لشبه جزيرة العرب، والتي تمثلت بندرة النباتات في كثير من أقسامها، على اعتماد سكانها على تربية الحيوانات، حيث كانت تربي-بين جبال ووديان وسهوب نجد-أفضل الخيول العربية[٣].

واشتهرت اليمن بمختلف أنواع الحيوانات كالإبل والخيل العربية الفائقة، والبقر والغنم، والبغال الجيدة للركوب، والحمير [٤]، التي كانت تجلب أيضاً من مصر أحياناً[٥] وكانت الإبل من أكثر الحيانات التي توافقت حياتها مع حياة التنقل في الصحراء[٦]، التي عاشها سكان البادية آنذاك حتى صارت الثروات تقاس بما يمتلكه الإنسان من الإبل واهتم العربي بالخيل أيضاً، وكان الرسول ﷺ يشجع المسلمين على اقتنائها وتربيتها حيث فرض من الغنائم للفارس سهماً لله ولفرسه سهماً وقيل سهمين[٧] ليس لدينا نصوص تتحدث عن حجم تجارة الحيوانات، ولكن لدينا بعض النصوص التي تحدثت عن الحيوانات التي تخص الرسول ﷺ وعن أسعارها مما يشير إلى أنها كانت تباع في الأسواق شأنها شأن بقية البضائع، روى الطبري عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «كانت القصواء من نعم بني الحريش ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمئة درهم وأخذها منه رسول الله ﷺ بأربعمئة»[٨]

(١) الهمداني، صفة، ص٣١٤ فما بعدها. ابن رسته الاعلاق ص١١١.
(٢) الاصطخري مسالك، ص٢٤.
(٣) العسلي، التربية، ص٣٧.
(٤) القلقشندي، صبح ١٦/٥. وانظر ابن حوقله، صورة، ص٣٨.
(٥) ابن الفقيه، مختصر، ص٢٥٢. الاصطخري، مسالك ص٤٢.
(٦) جواد علي تاريخ، ١٦٧/٨.
(٧) أبو يوسف الخراج ص١٨ ١٩. ابن أدم الخراج، ص١٨، ١٩.
(٨) الطبري تاريخ، ٣/ ١٧٤ ١٧٥ وانظر ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٩.

كما كانت له «ﷺ» عشرون لقحة يعيش بها أهله.

والشحوم من المنتجات الحيوانية التي كانت تدخل في غذاء الأعراب وحاجاتهم الأخرى حيث كانوا يكتالون ما يحتاجونه منها حين يقدمون إلى مواسم الحج والأسواق[١].

أما الادم فهو من أكثر المنتجات الحيوانية شهرة في أسواق الجزيرة، قد تاجر به أهل مكة، فقد روى الواقدي أن المسلمين أصابوا من الإبل في بدر «مائة بعير وخمسين بعيراً كان معهم ادم كثير حملوه في التجارة فغنمه المسلمون يومئذٍ»[٢].

كما اشتهر الادم خارج الجزيرة، روى الطبري عن أبي جعفر بسند عن عمرو بن العاص قال: «كان النجاشي أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً»[٣].

واشتهرت اليمن بدباغة الجلد، فقد روى الجاحظ أن خالد بن صفوان أجاب رجلاً تفاخر باليمن فقال: «ما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد، وسائس قرد وراكب عود[٤] حيث كانت الجلد تدبغ في صعده[٥]، وفي خولان التي عرف أديمها بالأديم الخولاني»، وقد استخدم الآدم في مجالات كثيرة، فكان يعمل منه حياضاً كبيرة للماء توضع في سقاية الحجاج[٦]. كما كان يستخدم الآدم في الكتابة[٧].

واعتمد فيما بعد في حساب الدواوين، والصكاك والعهود، وفي الشروط وصور العقارات، ومجالات أخرى كثيرة[٨].

وكان الأدم يباع في كثرة في سوق عكاظ حتى اشتهرت بالأدم العكاظي[٩].

---

(١) جواد علي، تاريخ ١٦٩/٨.
(٢) الواقدي، المغازي، ١٠٢/١.
(٣) الطبري تاريخ ٢٩/٣، ٣٠.
(٤) الجاحظ، البيان، ٣٣٩/١.
(٥) ابن خرداذبة المسالك، ص١٣٥، ١٣٦.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١/٤١.
(٧) م.ن، ص ١١، ١٢.
(٨) الجاحظ، رسائل، رسالة في الجد والهزل ٢٥٤/١.
(٩) ياقوت، البلدان، ١٤٢/٤.

٢- المنتوجات الصناعية:

المنسوجات:

اشتهرت أجزاء من شبه جزيرة العرب وخاصة اليمن بصناعة أنواع عديدة من الأنسجة، زودت بها مختلف أنحاء الجزيرة [١]، حيث تناقلها التجار وعرضوها في معظم أسواق الجزيرة وربما صدرت إلى الخارج.

وقد ذكرت المصادر العربية الكثير من النصوص التي تشير إلى رواج تجارة المنسوجات في أسواق شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، وخير ما يدل على ذلك، تلك الروايات التي أشارت إلى كساء الكعبة قبل الإسلام.

فقد روى الأزرقي عن ابن جريح قال: «كان تبع أول من كسا البيت كسوة كاملة. أرى في المنام أن يكسوها الانطاع[٢]، ثم أرى أن يكسوها فكساها الوصايل[٣] ثياب حبرة من عصب[٤] اليمن» وقال تبع في ذلك شعراً:

وكسونا البيت الذي حرم اللـ ـــه ملاً معصياً وبروداً[٥]

وعن ابن جريح أيضاً قال: «أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع كساها العصب»[٦].

وذكر ابن الفقيه أن تبعاً كساها «الوصايل ثياب الحبرة»[٧]، وروى ابن هشام أن تبعاً «أُري في المنام أن يكسو البيت فكساها الخصف، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساها الملأ والوصايل»[٨].

---

(١) جواد على، تاريخ، ٨/ ١٦٩.

(٢) نطع: من الأدم، ابن منظور، لسان، ٨/ ٣٥٧.

(٣) الوصايل ثياب يمانية بيض واحدتها وصيلة انظر ابن سيد، المخصص ٤/ ٧٢.

(٤) العصب: ضرب من برود اليمن، انظر ابن سيده المخصص، ٤/ ٧٢.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٣٤. وانظر ابن قتيبة، المعارف، ص٥٥٩.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ٢٥٠، المسعودي، مروج، ٢/ ٥١.

(٧) ابن الفقيه، مختصرة، ص٢٠.

(٨) ابن هشام، السيرة، ٢/ق١، ص٢٤، ٢٥.

وهذا يعني أن ثياب الحبرة «الوصايل» والثياب المعافرية كانت ترد إلى أسواق الحجاز كما يوضح النص أن الوصايل أجود من الثوب المعافري.

ويبدو أن المنسوجات اليمانية كانت غالية الثمن بحيث تترافد عليها قريش [١]، لتكسو بها الكعبة.

وهناك روايات أخر تشير إلى أن الكعبة كانت تجلل بأكسية شتى كالخز والحبرة والأنماط[٢]، ومطارف خز مختلفة الألوان، وأكسية الأعراب وشقاق شعر[٣]، وفيما عدا الروايات التي أشارت إلى أكسية الكعبة، هناك ما يدلل على نوعية الأنسجة التي كانت ترد أسواق الحجاز،، منها ما كانت ذات نوعية جيدة وتلبس في المناسبات[٤] ، مثل الحلية العدنية[٥]، كما ذكرت البرود اليمانية في شعر النابغة الجعدي، قال:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنه   كحاشية البرد اليماني المنه[٦]

وذكر الأصفهاني في قصة مجنون ليلى « أنه أقبل ذات يوم على ناقة كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك»[٧] أما في صدر الإسلام فهناك الكثير من النصوص التي تشير إلى ازدهار تجارة المنسوجات بين مراكز صناعتها وأسواق الحجاز خاصة، ولعل اختلاف الروايات في كفن الرسول ﷺ تفيدنا في إلقاء الضوء على بعض أنواع وأماكن صناعة المنسوجات في تلك الحقبة.

فقد أشار قسم من النصوص إلى أن الرسول ﷺ كفن في ثياب صحارية[٨].

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/٢٥١، ٢٩٠،

(٢) الأنماط: ضرب من الثياب المصبغة، وقيل: ضرب من البسط والجمع أنماط ، انظر ابن منظور ، لسان، ٧/٤١٧، ٤١٨.

(٣) انظر الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٤) انظر ابن سعد، الطبقات، ١/ق١ ، ص٨٥.

(٥) الطبري، تاريخ ٢/٣٤٩.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٤/ ١٢٦.

(٧) م. ن، ١/١٦٤.

(٨) الثياب الصحارية: مضافة إلى صحار، انظر المسعودي، التنبيه، ص٢٤٤، وقيل: هو من الصحرة من =

بينما تشير روايات أخرى إلى أن الرسول ﷺ كفن في ثياب سحولية[١]. وجاء ذكر الثياب السحولية في شعر طرفة :

وبالسفح آيات كان رسومها يمان وشته ريدة وسحول[٢]

كما ورد ذكرها في نصوص أخرى[٣].

في حين أشارت روايات أخر أنه ﷺ كفن في ثياب حبرة[٤].

وفي رواية لابن سعد أن الرسول ﷺ كسا «في محجته البيت الحبرات»[٥].

ويبدو أن الحبرة الجيدة كانت ترد من مدينة الجند[٦].

غير أن هناك رواية أخرى تشير إلى أنه ﷺ كفن في ثياب نجرانية، رى ابن سعد عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كفن في حلة حمراء نجرانية كان يلبسها وقميص»[٧].

و يظهر أن الثياب النجرانية ثياب غليظة فقد روى البخاري عن أنس بن مالك قال: «كنت يوماً أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية»[٨].

= اللون ، وثوب أصحر صحارى، انظر ابن منظور، لسان، ٤/ ٤٤٥.

(١) السحولية: ثياب بيض من قطن تعمل بموضع في اليمن تعرف سحولا، المسعودي، التنبيه، ص ٢٤٤. انظر الثعالبي، لباب، ١/ ١٢١. الجوهري، الصحاح، ١/ ٥٧١. ابن سيدة، المخصص، ٤/ ٧٣. ابن الأثير،و اللباب، ١/ ٥٣٤. ابن منظور ، لسان، ١١/ ٣٣١. ويرى المقدسي أن الثياب السحولية نوع من البرود قال: «وبرود سحولا» المقدسي، أحسن، ص ٩٨.

(٢) ابن منظور، لسان، ١١/ ٣٣١.

(٣) انظر البلاذري، أنساب ١/ ٥٠٨. ابن سعد. الطبقات، ٣/ ق١/ ٢٦٦.

(٤) الحبر: ضرب من الثياب، الواحدة حبرة وحبيرة وثوب محبر: حسن الصنعة. انظر ابن دريد، الاشتقاق، ص ٤٣٠و ٥٠٨. وهي ضرب من برود اليمن برود حبرة مما هو وشي، وليس موضعاً ولا شيئاً معلوماً. انظر الفراهيدي، العين، ٣/ ٢١٨. ابن سيدة، المخصص، ٤/ ٧٣. وقد تسمى ثياب الحبرة بالوصايل، انظر الأزرقي، أخبار مكة ١/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ص ٩٥.

(٦) الأزرقي، أخبار مكة ، ١/ ٢٥١.

(٧) ابن سعد الطبقات، ٢/ ٦٧.

(٨) البخاري، صحيح،٧/ ١٨٩.

ويبدو أن الثياب النجراينة قد كثرت في الحجاز في تلك الفترة فضلاً عما كان يرد منها إلى الأسواق، فقد ذكرت الروايات أن الرسول ﷺ كان قد صالح أهل نجران على «ألفي حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة وفي كل صفر ألف حلة»[١]. كما ورد ذكر البرود[٢] النجرانية في رواية البلاذري عن بكر بن الهيثم قال: «أنه رأى على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بردين نجرانيين[٣].

وتعتبر البرود من أشهر أنسجة اليمن[٤]، وقد ورد ذكرها في شعر مالك بن ثعلبة حيث قال:

تركنا شريحاً قد علته بصيرة ... كحاشية البرد اليماني المحبر[٥]

روى ابن سعد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «كان له برد يمنة طوله ستة أذرع في ثلاثة أذرع وشبرا»[٦]، يبدو أن البرود غالية الثمن وكانت تقدم كهدايا وجوائز فقد ذكر ابن سعد أن الرسول ﷺ كسا أحد أعضاء وفد عذرة بردا[٧]، وكسا قرة بن هبيرة بن سلمة حين أسلم بردا[٨] وروى الأصفهاني عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير أن الخليفة «عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم برودا في المهاجرين»[٩]. كما ذكرت البرود في روايات من غير أن يشار إلى مراكز صناعتها[١٠]، بينما نسبت في روايات أخر إلى مراكز صناعتها مثل حضرموت،

(١) أبو يوسف الخراج، ص٧٢. وانظر البلاذري، فتوح، ق١/ ٧٦. ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ٨٥.
(٢) البرد: ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشي. ابن منظور لسان ٣/ ٨٧.
(٣) البلاذري ،أنساب، ٢/ ١٨٧ . ابن سعد، الطبقات،٣/ ق١/ ١٨ .
(٤) العلي، الأنسجة، ص٥٧٧ .
(٥) البلاذري، فتوح ،ق١ ،ص١٠٢ .
(٦) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ١٠ .
(٧) م.ن، ١/ق٢/ ٦٦.
(٨) م.ن،١/ ق٢/ ٤٧.
(٩) الأصفهاني، الأغاني،١٦/ ١٥٣ .
(١٠) انظر ابن سعد، الطبقات، ٤/ ق١/ ١١٨و١٢٦. و٥/ ٢٣٨. الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ٢٦٠. الجاحظ، البيان،١/ ٢٢٢و٢٢٤. المسعودي، مروج،٢/ ٢٩٩. الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٣٨. و٧/ ٩٦و١١٣. و٤/ ٨٦. الثعالبي، ثمار، ص٤٢٤. الثعالبي، لطائف،، ص١٦٦. ابن الأثير، اسد، ٤/ ١٧١. العلي، أنسجة، ص٥٥٨.

حيث ورد ذكر الثياب الحضرمية في شعر كثير بن عبد الرحمن الأسود قال:

لبسنا ثياب العطف فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخضرا[١]

ومن البرود ما صنع في عدن، فقد روى ابن سعد عن أسامة بن زيد قال: «دخلنا على رسول الله ﷺ نعوده وهو مريض فوجدناه قائماً قد غطى وجهه ببرد عدني»[٢] كما ذكر الأصفهاني الثياب العدنية مشيراً إلى جودتها[٣].

والمعافري نوع من برود اليمن، الذي يصنع من الكتان الرقيق المرتفع[٤]، وقد ورد ذكرها في نصوص عديدة تشير إلى تواجدها في أسواق الحجاز، فقد روى ابن سعد عن عبد الله بن جيش قال: «رأيت على ابن عمر بردين معافريين»[٥]، وروى الأصفهاني أن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام «لما سار إلى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذي أراده ولبس المعافري»[٦].

ويبدو أن مدينة المعافر كانت تنتج الكثير من هذه الثياب مما جعل الرسول ﷺ يقبلها من أهل اليمن بدل الجزية[٧].

كما وردت إشارات إلى أنواع أخرى من البرود كبرود الاعراب[٨]، وربما سميت لذلك لأنها امتازت بخشونتها ورخص أسعارها، والأتحمي[٩]، والخال[١٠]، والعصب الذي كان

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٨/ ٢٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ٢/ ق٢/ ٣٥، ٣٦.
(٣) انظر االأصفهاني، الأغاني، ٥/ ١٣٥.
(٤) ابن أنس، المدونة، ٣/ ١٢٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ٤/ ق١/ ١٢٩. أبو نعيم، حلية، ١/ ٣٠٢.
(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ١١.
(٧) ابن آدم، الخراج، ص٦٨. ابن سلام، الأموال، ص٣٥.
(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ١٦٥.
(٩) الأتحمي ضرب من البرود. انظر الفراهيدي، العين، ٣/ ١٩٦.
(١٠) الخال: نوع من البرود، ابن منظور، لسان، ١١/ ٢٦٦. وقال ثعلب: الخال ثوب ناعم من ثياب اليمن وقال ابن الكلبي، الخال. الثوب الذي يخليه الرجل على الميت ليستره عليه. ابن سيد، المخصص، ٤/ ٦٤. قال ابن دريد: الخال ثوب من ثياب اليمن، ابن دريد، الاشتقاق، ٣١٩.

من الكثرة مما جعل الاصمعي يقول: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن، الورس، الكندر، الخطر والعصب»[١] كما ذكر المقدسي أن اليمن معدن العصائب[٢] كما ورد ذكر عصب اليمن في روايات أخر[٣]، وروى الأصفهاني شعراً لوضاح اليمن يدل على أن إنتاج العصب من مدينة الجند قال:

ونلبس من بز العراق مناصفاً وأبراد عصب من مهلهة الجند[٤]

وقد ورد ذكر الثياب الجندية في شعر عمر بن أبي ربيعة، مما يدل على أنها ثياب محققة قال:

شفت عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال السحاب[٥]

والحلل[٦]، هي الأخرى نوع من البرود اليمانية[٧].

وهناك أنواع أخرى من منسوجات اليمن كالسعيدية[٨]، والمراجل[٩] والمعاجر والمرحل[١٠]، والملبدات[١١]، والملاحف اليمانية الغلاظ[١٢].

وفضلاً عن اليمن اشتهرت أجزاء أخرى من شبه جزيرة العرب بصناعة المنسوجات كعمان، روى ابن سعد عن أبي هريرة أنه كان للرسول ﷺ «إزارمن نسج عمان طوله أربع

(١) ابن قتيبة، عيون، ٢/ ١٠٩.

(٢) المقدسي، احسن، ص٩٧.

(٣) انظر الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ٢٥٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٦/ ٤٣.

(٥) الأصفهاني،الأغاني،١/ ٩٢. العلي، الأنسجة،٥٦٦.

(٦) الحلة: إزار ورداء برد أو غيره ولا يقال لها حله حتى تكون من ثوبين انظر الفراهيدي، العين، ٣/ ٢٨. وقال خالد بن جنبة: الحله رداء وقميص وتمامها العمامة. ابن منظور، لسان، ١١/ ١٧٢.

(٧) ابن منظور، ،لسان، ١١/ ١٧٢.

(٨) ابن الفقيه، مختصر، ص٣٦و٥٠. المقدسي، أحسن، ص٩٨.

(٩) المراجل من برود اليمن وأنشد: وثوب ممرجل ابن سيده، المخصص، ٤/ ٧٢.

(١٠) ابن سيده، المخصص، ٤/ ٧٣.

(١١) البلاذري،أنساب،١/ ٥٠٨.

(١٢) ابن أنس، المدونة، ٣/ ١٢٩.

أذرع وشبر في ذراعين وشبر فكان يلبسهما في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان »[١]، وهذا يدل على أنها من المنسوجات الجيدة، وربما لأنها كانت قليلة في أسواق الحجاز.

كما أشار البلاذري إلى أن الرسول ﷺ ترك حين مات عشرة أثواب كان من بينها إزار عماني[٢]

كما أشارت المصادر إلى المعقدات وهي من المنسوجات البحرانية[٣].

ولدينا روايات تعرضت لأسعار بعض المنسوجات ، وهي وإن لم تكن تمثل أسعاراً ثابتة، غير أنها توضح تباين الأسعار، فهي ترتفع وتنخفض تبعاً لنوعية المنسوج وجودته، وتبعا لارتفاع المستوى المعاشي وانخفاضه فضلاً عن كثرة العرض أو قلته أو ازدياد الطلب أو قلته.

فقد رى ابن سعد عن الفضل بن دكين عن حسن بن صالح، عن إسماعيل قال: «كان برد النبي ﷺ ورداؤه ، ثمنه دينار»[٤]. في حين تشير رواية أخرى لابن سعد عن محمد بن عمر قال: « رأيت على عثمان برداً يمانياً ثمنه مئة درهم[٥] ». وقد وصل سعر البرد فيما بعد إلى مئتي دينار[٦]، وربما أربعمئة أو خمسمئة[٧]، وهذا التباين ربما كان سببه اختلاف نوعية البرد، أو أن هذ التدرج ناتج عن ارتفاع في المستوى المعاشي لسكان الجزيرة.

وأشارت روايات أخر إلى أسعار الحلل، فقد روى ابن سعد أن حكيم بن حزام اشترى حلة ذي يزن بخمسين ديناراً،[٨] بينما أشارت روايات على ارتفاع سعر الحلة إلى مئتين وخمسين ديناراً[٩] ربما إلى ألف[١٠] أو أكثر[١١]. وربما كان ارتفاع الأسعار نتيجة التضخم في العملة وكثرة واردات الدولة.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ق٢/ ١٠.
(٢) البلاذري، أنساب، ١/ ٥٠٧.
(٣) انظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ٧٠، وج٣/ق١/ ١٤٦.
(٤) م. ن، ١/ ق٢/ ١٥٥.
(٥) م. ن. ٣/ ق١/ ٣٩.
(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ١١٨.
(٧) ابن سعد، الطبقات ٣/ ق١/ ٩٣.
(٨) م.ن. ٤/ ق١/ ص ٤٥.
(٩) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ١٥٢.
(١٠) ابن قتيبة، عين ١/ ٢٩٧.
(١١) ابن سعد ،الطبقات، ١/ ق٢/ ١٥٥.

أمـا سعر مطارف الخز فقد روى البلاذري عن الواقدي قال: « رأيت على عثمان مطرف ثمنه مائة دينار[١] ». بينما يذكر ابن سعد أن سعره مئتا درهم[٢].

وقد يصل سعر المطرف إلى خمسمئة[٣].

وتشير بعض الروايات إلى أسعار المنسـوجات العدنية، روى أبو نعيم عن عبـد الله بن عبد الملك بن شداد قال: « رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم»[٤]. ويبدو أن انخفاض سعر الإزار ناتج عن تدني نوعيته فقـد روى ابن قتيبة أن الحسن البصري اشترى إزاراً بسعر ستة دراهم ونصف[٥]، مما يشير إلى أن اختلاف الفترة الزمنية التي تفصل بينهما لم تؤثر على سعره.

كما أشارت رواية لابن قتيبة « أن ابن عباس كان يرتدي رداء بألف»[٦]. وفضلاً عما كانت تنتجه شبه جزيرة العرب من أنسجة مختلفة فقد كانت ترد إلى أسواقها منسوجات صنعت خارج الجزيرة، مما يشير إلى وجود علاقات تجارية بين أسواقها والأسواق الخارجية.

ومن هذه المنسوجات ما كان يصنع في العراق كالبز قال وضاح اليمن:

و نلبس من بز العراق مناصفا وأبراد عصب من مهلهلة الجند[٧]

كما كانت للخز العراقي شهرة في أسواق الحجاز فقد «قيل لعمر بن أبي ربيعة ما أحب شيء أصبته إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقني رسول مصعب بن الزبير فإذا بثياب من وشي وخز العراق لم أر مثلها قط»[٨]. مما يشير إلى جودتها ورغبة الناس بارتدائها، وقد ذكر الخز العراقي في أقوال الشعراء، قال الأعشى:

عوليت ديباجاً وفاخر سندس وبخز أكسية العراق تحفف[٩].

---

(١) البلاذري، أنساب ٥/ ٣.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ٤٠.
(٣) ابن سعد، الطبقات ٤/ ق١/ ١٢٧.
(٤) أبو نعيم، حلية ١/ ٦٠.
(٥) ابن قتيبة، عيون ١/ ٢٥١.
(٦) م.ن. ١/ ٢٩٨.
(٧) الأصفهاني، الأغاني ٦/ ٤٣.
(٨) م.ن. ٨/ ١٤١.
(٩) م.ن. ٥/ ١٤٠.

كما ذكر ابن الفقيه الخز العراقي مما يصنع في الكوفة[١]، وهناك نصوص أخرى ذكرت الخز دون أن تشير إلى أماكن صناعته، وربما كان يراد به الخز العراقي[٢]، وأشير أيضاً إلى أنسجة الحيرة، فاشتهر الثوب الحاري شهرة كبيرة، وهي أنماط نطوع[٣] عرفت بالرحال الحارية[٤]، قال النابغة الذبياني:

و الأدم قد خيست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد[٥]

ولدينا إشارة إلى النمارق[٦] العراقية مما يصنع في ميسان، روىالأزرقي عن الواقدي بسند عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم السلمي قال: «نذرت أمي بدنة تنحرها.. فانظر إلى البيت يومئذٍ عليه كسىً من وصايل وانطاع وكرار وخز ونمارق عراقية أي ميسانية»[٧] كما أشار الجاحظ إلى الأنماط الوسائد الميسانية[٨].

ومن المنسوجات العراقية الأخرى التي كان لها وجود في أسواق الحجاز، السيجان[٩] والكتان[١٠]،والطيلسان الكردي[١١]، والريط[١٢] الكوفية الممشقة[١٣]، والمسنقة[١٤].

---

(١) ابن الفقيه مختصر، ص٢٥٢.

(٢) انظر ابن سعد، الطبقات، ٤/ق١/١٢٧ و٥/١٤١،١٤٢و ١٦١. الأصفهاني، الأغاني، ١/٤٣،٦٥ و ١٥٥. ٢/٤٥و ٥٥. البلاذري ، أنساب ٣/ ١٨. الأزرقي ، أخبار مكة، ١/ ٢٥٠.

(٣) غنيمه، الحيرة ص ٨٣.

(٤) النابغة، ديوان، ص ٢٢.

(٥) غنمية، الحيرة، ص٨٤. العلي، محاضرات، ص ٧٧.

(٦) النمرق: الوسادة، ويقال نمرقة، الفراهيدي، العين ،٥/ ٢٦٥.ابن سيدة، المخصص ٤/ ٧٤.

(٧) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ٢٥٠،٢٥١.

(٨) الجاحظ، التبصر، ص٤١.

(٩) ابن أنس، المدونة ٣/١٢٨. البلاذري،أنساب،١/٥٠٨. الساج: هو الطيلسان الضخم الغليظ والجمع سيجان، الفراهيدي، العين،٦/ ١٦٠.

(١٠) ابن سعد، الطبقات،٣/ق١/١٦و١٧٢.

(١١) م.ن،١/ق٢/ ١٥٥. ٤/ق١/١٢١. ٥/١٦١.
والطيلسان: ضرب من الأكسية ويطلق عليه بصفة عامة الساج إلا الأخضر فيخص به الطيلسان، انظر ابن سيدة، المخصص، ٤/٧٨.

(١٢) الريطة، كل ثوب رقيق لين، ابن سيدة، المخصص، ٤/ ٧٧. وقيل أنها ملاءة ليست بلفقتين إنما هو نسج واحد وهي بيضاء ،الثعالبي، الباب، ١/ ١٢٢.

(١٣) أبو نعيم، حلية، ١/ ٦٠.

(١٤) ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٦١.

ومن مصر كانت ترد إلى أسواق الحجاز أنواع عديدة من الثياب اشتهر منها : الدبقية[١]، والشطوية[٢] القصب[٣] والأكسية التلسية والاسكندرانية[٤].

وقد اعتبر الثعالبي أردية مصر من أنفس الملابس[٥]، وأشار الجاحظ إلى الأكسية المصرية فقال: « وخير الأكسية من الصوف المصرية. . . وخير الطيالسة الرويانية الطبرية ثم الأملية ثم المصرية»[٦].

وقد عرفت مصر الكتان [٧]، الذي تصنع منه الثياب القبطية[٨]، التي اشتهرت في أسواق الحجاز، روى ابن سعد عن أسامة بن زيد قال: «كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة»[٩]. وكان من ضمن الهدايا التي قدمها المقوقس للرسول ﷺ عشرون ثوباً من قباطي مصر[١٠]. كما أشار ابن هشام إلى أن الكعبة كانت تكسى في زمن الرسول ﷺ القباطي[١١]، كذلك في زمن الخليفتين عمر وعثمان. – رضي الله عنهما–[١٢].

والقسية[١٣] من الثياب المصرية التي ذكرت في أشعار العرب قال البحتري:

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ٥٠. ابن الفقيه، مختصر ، ص٢٥٢. ابن حوقل، صورة، ص ١٥٢. النووي، شرح صحيح مسلم، ١٤/ ٥٥، ٧٢.
(٢) ابن أنس، المدونة، ٣/ ١٢٩. ابن الفقيه، مختصر، ص ٢٥٢. ابن حوقل، صورة، ١٥٢، الشطوية ضرب من الثياب منسوبة إلى شطى ابن سيدة ، المخصص، ٤/ ٧٢.
(٣) ابن أنس، المدونة، ٣/ ١٢٩. ابن الفقيه، مختصر، ص ٢٥٢. وهي ثياب كتان رقاق الواحد قصبي، ابن سيدة، المخصص، ٤/ ٦٤.
(٤) ابن الفقيه، مختصر، ص ٢٥٢.
(٥) الثعالبي، ثمار، ص ٤٢٤.
(٦) الجاحظ ، التبصر ص ٢٩.
(٧) م.ن. ص ٢٥. انظر ابن الفقيه، مختصر ص ٥٠. الثعالبي،ثمار، ص ٤٢٠. ٤٢١. ابن حوقل، صورة ص ١٥٢ ، المقدسي، أحسن، ص ٢٠٤.
(٨) القبطية: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر. انظر الجوهري، الصحاح، ٢/ ٢٧٤.
(٩) ابن سعد، الطبقات، ٤/ ق١/ ٤٥.
(١٠) ابن الزبير، الذخائر، ص ٧.
(١١) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٩٨. ١٩٩.
(١٢) انظر الأزرقي، أخبار مكة ١/ ٢٥٣، ٢٥٤ و٢٦٠،ابن الفقيه، مختصر، ص٢٠.
(١٣) القسية: منسوبة إلى قس وهو موضع، وهي ثياب فيها حرير تجلب من مصر وقد نهي عن لبسها. ابن سيدة، المخصص، ٤/ ٧٢، وقال النووي: «القسي ثياب مظلعة يؤتى بها من مصر والشام»، النووي، شرح صحيح مسلم ١٤/ ٧٢. البخاري، صحيح، ٧/ ١٩٥.

فأدنين حتى جاوز الركب دونها حجاباً من القسي والحبرات[١]

كما أشارت المصادر إلى أنسجة الشام، روى ابن سعد عن معن، عن عيسى بسند عن عائشة قالت: « أهدى أبو الجهم بن حذيفة رسول الله ﷺ خميصة[٢] شامية لها علم فشهد فيها الصلاة. . . »[٣]. وروى ابن سعد أيضاً عن يزيد بن هارون بسند عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: « كنت مع عمر في حديث رواه عنه قال: فقال: رأيت أبا القاسم وعليه جبة شامية»[٤]. وقيل في نفائس الملابس برود اليمن وريط الشام[٥]، كما ذكر ابن سعد البرنس الشامي[٦].

أما المنسوجات التي كانت تصنع في المشرق الإسلامي ، فقد أشارت المصادر بما يؤكد وجودها في أسواق الجزيرة، ومن هذه المنسوجات: القوهية[٧]، والمروية[٨]، والهروية[٩]، والقومسية[١٠]، والدستوائية[١١]، والسابرية[١٢] ، والرازية[١٣]، والخسروانية[١٤]، والكسروانية[١٥].

أما الصين، فقد عرف أهلها صناعة المنسوجات،وحذقوا فيها نقشاً وصنعة وغالباً ما

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٦/ ٢٤.
(٢) الخميصة: كساء معلم انظر الثعالبي، اللباب، ١/ ١٢٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ١٥٢.
(٤) م.ن. ١/ ق٢/ ١٥٣.
(٥) الثعالبي، ثمار ص ٤٢٤.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ٦/ ٨٣.
(٧) انظر ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ص ٣٩. الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٩٠. ٩١. ١٢٠. ١٤٠. ١٤١. الاصطخري، مسالك، ص ١٥٥. ابن سيدة، المخصص ٤/ ٧٢.
(٨) ابن أنس المدونة، ٣/ ١٢٩. ٤٢٦. ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٤١. الجاحظ، البخلاء، ص ٢٦. الجاحظ التبصر، ص ٣٧. الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٣٩. ١٨/ ٥٣.
(٩) أبو يوسف، الآثار ص٩٧. ابن سعد، الطبقات، ٥/٩٩. الأصفهاني، الأغاني، ١/١٥١و٢١/٩٩.
(١٠) الجاحظ، التبصر، ص٢٩، ٣٩. الجاحظ، البخلاء ص٥٢.و٣٠٤. ابن حوقل، صورة، ص٣٨٠.
(١١) ابن سعد، الطبقات، ٤/ ق١/ ١٢٨.
(١٢) الضبي، المفضليات، ص ٤٠٥، ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٤٠ ١٤٢. ٣٩٢.و ٦/ ١٩١. الجاحظ التبصر، ص ٤٠. و٤٥. الأصفهاني،الأغاني، ٧/ ٨٦.
(١٣) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/١٧. البلاذري، أنساب، ٢/ ١٢٨.
(١٤) الجاحظ، التبصر ص ٢٧. الأزرقي، أخبار مكة،١/ ٢٥٤، أبو نعيم،حلية،١/ ٣٠٢.
(١٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ١٥٠. النووي، شرح صحيح مسلم، ١٤/ ٤٣.

كانت نقوشهم على المنسوجات الحريرية[١]، التي كانت لباس كافة الناس عندهم، فالجيد منها لباس الملوك ومن دونهم فعلى درجاتهم[٢]، ونتيجة لكثرة الحرير الصيني وجودته[٣]، فقد وصل إلى أسواق شبه جزيرة العرب وعرفه أهل مكة ولبسوه[٤]، وإن ورود لفظة حرير في أكثر من سورة في القرآن الكريم دليل على ذلك قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣٣][٥]. وأشار ابن الأثير إلى أن نتيلة أم العباس بن عبد المطلب هي «أول عربية كست البيت الحرير والديباج»[٦]. وذكر الأصفهاني أن النصيرة بنت الضيزن كانت تنام على فراش من حرير محشو بالقز[٧].

وكرة أخرى تشير النصوص إلى ما تصدره الجزيرة من منسوجاتها. فقد سبق وأن تحدثت عن لطائم النعمان التي كانت تباع في سوق عكاظ ويشتري له بثمنها البرود اليمانية[٨]، وهذا يعني أن منسوجات الجزيرة كانت تنتقل عن طريق التجارة من أسواقها إلى أسواق العراق، ومن الطبيعي أن تصل هذه المنسوجات إلى بلاد فارس بحكم العلاقة بين النعمان وملوك الفرس.

كما لدينا إشارة إلى وجود الثياب اليمانية في أسواق الكوفة إذ روى ابن سعد عن الأسود ابن شيبان قال: « رأيت الشعبي بالكوفة عليه دراعة حمراء لبس عليه رداء وعمامة حمراء قد تعجز بها من ثياب اليمن»[٩].

---

(١) المسعودي، مروج، ١/ ١٦٥. انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ٦٩. ٧٠. ابن الفقيه، مختصر ص ٢٥١. السيرافي، رحلة ،ص ٦٩.

(٢) السيرافي رحلة، ص ٣٩.

(٣) الجاحظ، التبصر، ص٣٣، السيرافي، رحلة ص٤٥.

(٤) ابن الفقيه، مختصر، ص١٨ انظر ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٢١٤. ٨/ ٢٢و ٢٥.

(٥) انظر سورة الحج، الآية ٢٣.. سورة الإنسان: الآية ١٢.

(٦) ابن الأثير، أسد، ٣/ ١٦٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ٣٥.

(٨) انظر ص ٧٨ من طبقات ابن سعد.

(٩) ابن سعد، الطبقات، ٦/ ١٧٦، ١٧٧.

كما روى الأصفهاني عن محمد بن كناسة قال: « أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداء عدنياً»[١] وهناك ما يشير إلى أن الخليفة هشام بن عبد الملك كانت تضرب «له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن»[٢].

وهذه النصوص وإن كان بعضها متأخراً إلا أنها تؤكد على حجم ونوعية المنسوجات التي تصدرها الجزيرة.

الأسلحة

عرف سكان شبه جزيرة العرب أنواعاً من الصناعات والحرف وقد حفظ لنا ابن قتيبة وابن رستة قائمة بصناعات أشراف العرب ومن بين هذه الصناعات الحدادة، فقد كان العاص بن هشام والوليد بن المغيرة يمتهنان الحدادة[٣]، وقد كان العرب يسمون من يصنع السيوف بالقين[٤]، واشتهرت قبيلة بني أسد بهذه التسمية فقد ذكر ابن حزم بأنهم « كانوا ينسبون إلى أنهم قيون»[٥] ويظهر أنهم امتهنوا هذه الصناعة بسبب وجود معدن الحديد في ديارهم[٦].

كما أشار الهمداني إلى أن لبني أسد جبلاً يسمى (القنان)[٧] وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن لهذه التسمية علاقة بامتهانهم هذه الحرفة.

ويبدو أن هذه التسمية ظلت مستعملة في صدر الإسلام فقد أشار ابن الأثير إلى أن خباباً كان «قيناً يصنع السيوف وكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه»[٨] مما يشير إلى تواجد هذه الأسلحة في أسواق الجزيرة.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٧/ ١٩.
(٢) م. ن. ٢، ٣٣.
(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٥. انظر ابن رستة، الأعلاق، ص٢١٥.
(٤) الفراهيدي، العين ٥/ ٢١٩.
(٥) ابن حزم، جمهرة، ص١٩١.
(٦) نجمان ياسين، ، تطور الأوضاع، ص٤٧. وانظر في معادن الجزيرة، الحاسرة المعادن القديمة في بلاد العرب، مجلة العرب، ٩/ ١٠، ١١ الرياض: ١٩٦٨.
(٧) الهمداني، صفة، ص٢٩٣.
(٨) ابن الأثير، أسد، ٢/ ١١٥.

وقد أولى العرب الأسلحة أهمية فائقة[١]، حيث كانت اليمن تطبع السيوف الجيدة[٢]، التي ضرب بها المثل[٣]، قال الشاعر:

مقاديم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان[٤]

ومما هو جدير بالملاحظة أن الحديد الذي كانت تطبع منه السيوف اليمانية، لم يكن يمانياً بل سليمانياً وسرنديبياً وهندياً[٥].

وكان يقال: « إن السيف إذا كان من قلع الهند، وطبع اليمن، فناهيك به»[٦].

كما أشارت المصادر إلى أنواع أخر من السيوف كالسريجية[٧]، والحنفية[٨]، والقساسي[٩].

كما استوردت شبه جزيرة العرب أنواعاً من السيوف المشرفية[١٠]،

---

(١) العلي، التنظيمات ص٢٤٢.

(٢) الكندي، رسالة، ص٦، ١٢، ١٦، ١٧. وانظر السيوف اليمانية، ابن سيدة، المخصص ٦/٢٦. النويري نهاية الأرب ٦/٢٠٣.

(٣) الثعالبي، ثمار، ص٤٢٤.

(٤) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٤٦، ٢٣٣.

(٥) الكندي،، رسالة ص٦، ١٨.

(٦) الثعالبي، لطائف، ص١٦٦. الثعالبي، ثماره، ص٤٢٣.

(٧) السريجية: منسوبة إلى قين يقال له سريج، ابن سيدة، المخصص، ٦/٢٦، النويري، نهاية الأرب، ٦/٢٠٣. ابن منظور، لسان، ٢/٢٩٨. وقد ورد ذكر السيوف السريجية في أشعار العرب انظر الضبي، المفضليات، ٤٠٦. (شعر خراشة بن عمرو العبسي).
ابو تمام، ديوان الحماسة، ص١٨٧. (شعر سعد بن ثابت المازني) ابن قتيبة، المعاني، ص١٠٨٥.

(٨) الحنفية: ضرب من السيوف منسوبة إلى الأحنف بن قيس لأنه أول من أمر بعملها ابن سيدة، المخصص، ٦/٢٦. ابن منظور، لسان، ٩/٥٨.

(٩) السيوف القسية: قال الأصمعي: هي منسوبة إلى جبل يقال له قساس فيه معدن حديد وانشد (سيف قساسي من الغمد اندلق) انظر ابن سيدة المخصص، ٦/٢٥. وقيل أنها منسوبة إلى معدن بأرمينية يقال له قساس انظر النويري، نهاية الأرب ٦/٢٠٥.

(١٠) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف والسيوف المشرفية منسوبة إليها يقال: سيف مشرفي ولا يقال مشارفي. ابن منظور، لسان، ٩/١٧٤. أبو عبيدة، النقائص، ١/١٢. وقيل أنها منسوبة إلى صانع جاهلي من ثقيف اسمه مشرف انظر البيروني، الجماهر، ص٢٥٣. وقد ورد ذكر السيوف المشرفية في أشعار العرب، انظر الضبي، المفضليات، ص ١٢٢ و ٢٧٧ و٣٠٨ و٣١٥ و٣٦٥. أبو عبيدة نقائص ١/١٢. الأصمعي، الأصمعيات، ص٥٦، ١٣٤، ١٧٥. أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٢١، و١٨٠ و١٨٣و ٢٩٨. ابن قتيبة، المعاني ص١٠٤٩، ١٠٧٢و ١٠٧٧، ١٠٧٩. المبرد، الكامل ٢/٧١، السكري، شرح أشعار، ١/١٤٨و ١٦٣: ابن سيده، المخصص، ٦/١٧، ٢١، ٢٢. =

والهندية[١]، والقلعية[٢]، والبصروية[٣]، والحارية[٤]، والدمشقية،[٥] والكوفية[٦]، والأريحية[٧]، والديافية[٨]، الأذربية[٩]، أما الرماح فقد عرفت أسواق شبه الجزيرة العربية

(١) قيل: سيف مهند وهندي وهنداوني، وإذا عمل ببلاد الهند والمهند السيف المطبوع من حديد الهند، ابن منظور، لسان، ٣/ ٤٣٨. انظر ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٢٥. ويسميه الكندي (الفاقرون) وجوهرها يشبه جوهر السيف اليماني إلا أنه يضرب إلى السواد الكندي، رسالة، ص٦ وو١٨ و٢٠ وهي من أشرف أنواع السيوف. انظر: البيروني، الجماهر، ص٢٥٤، وقد ورد ذكرها في أشعار العرب، انظر: ابن هشام، السيرة، ق١، ١٤١. الزوزني، شرح المعلقات، ص١٦٤ و١٦٥ (معلقة طرفة) وص ٢٨١ (معلقة عنترة) الضبي، المفضليات، ص٩٩ و٢٨٤ و٣٠٢ و٣١٧. الأصمعي، الأصمعيات، ص٥١ و١٣٦ و١٣٩. أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٠٧ و١٦٩ و٩٨ ٢. الجاحظ البيان، ١/ ٤١. و٢/ ١٧١ و٣/ ٣٦٥. الأصفهاني، الأغاني، ٦/ ٢٤. الثعالبي، ثمار، ص٤٢٤. الأزدي، غرائب، ص١٦٥. ابن سيدة، المخصص، ٦/ ١٦ وو١٨ و١٩.

(٢) السيوف القلعية، منسوبة إلى قلعة موضع بالبادية، النويري، نهاية الارب، ٦/ ٢٠٥. وقيل هي القرية التي دون حلوان العراق. ياقوت، البلدان، ٤/ ٣٨٩. وقيل أنها منسوبة إلى حديد أو معدن. انظر ابن سيدة المخصص، ٦/ ٢٥. قيل أنها منسوبة إلى القلعة في مدينة كله وهي أول بلاد الهند من جهة الصين، وعدت من ماثر الهند. انظر الجاحظ، البخلاء، ص٢٨٩. الجاحظ رسائل، (رسالة في فخر السودان على البيضان) ١/ ٢٢٣. ياقوت، البلدان، ٤/ ٣٨٩. السيوف القلعية من السيوف الجيدة وتكون أربعة أشبار إلى خمسة، الكندي، رسالة ص٦ و١٩. وذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ قد أصاب (من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف سيفاً قلعياً وسيف يدعى بتار وسيف يدعى الحنف) البلاذري، أنساب، ١/ ٣٠٩ و٥٢٢. ابن سعد، الطبقات، ١/ق٢/ ١٧٢. الطبري تاريخ، ٣/ ١٧٧. وذكر الطبري أن سيوفاً قلعية استخرجت من بئر إسماعيل بن إبراهيم وجعلت في باب الكعبة، الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٥١.

(٣) السيف البصري المنسوب لبصرى النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٠٢. وانظر الكندي، رسالة، ص٨. وقد ورد ذكره في أشعار العرب، انظر: أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١١٩. الضبي، المفضليات، ص٦٦. السكري، شرح أشعار ١/ ٣٥٠.

(٤) وهي السيوف المصنوعة في الحيرة. ابن سيدة المخصص ٦/ ٢٦.

(٥) الكندي، رسالة، ص٨. ابن سيدة المخصص، ٦/ ٢٦.

(٦) السيف الكوفية، وهي السيوف البيض التي تطبع بالكوفة وهي المسماة الزيدية طبعها رجل يقال له زيد. وهي سيوف قديمة قصار وعرضها ثلاث أصابع وهي أقطع السيوف كلها وأصبرها على الكريهة، وجوهرها صافٍ وهي تشبه السيوف العتيقة وقد يصل سعر الجيد منها ثمانية دنانير، وأقل أثمانها ديناران ودينار انظر الكندي، رسالة، ص ٨و ٢٦و ٢٧.

(٧) الأريحية: منسوبة إلى قرية بالشام هي (أريحا) السكري، شرح أشعار، ١/ ٢٥٧. العلي، التنظيمات، ص٢٤٥.

(٨) الدياقية: سيوف جلبت من دياف قرية بالشام، ابن قتيبة، المعاني، ص١٠٧٥ وانظر العلي، التنظيمات، ص٢٤٥.

(٩) ابن منظور، لسان، ١/ ٣٨٦. وهي السيوف المستوردة من أذربيجان انظر العلي، تنظيمات، ص٢٤٧. =

أنواعاً كثيرة منها الرماح الردينية[١]، والسمهرية[٢]، واليزنية[٣]، والخطية[٤]، الزاعبية[٥]، والمدرية[٦]، كما عرفت العرب السهام والأقواس كالسهم الرقمي والزعبري واليثربي والصاعدي، والأقواس الماسخية[٧].

أما الدروع فهي الأخرى نوع من أنواع الأسلحة التي عرفتها أسواق شبه الجزيرة العربية ومنها الدروع السلوقية[٨]، وقد روى البلاذري أنه كان للرسول ﷺ «درعان يقال له السعدية

(١) الردينية، تنسب إلى امرأة يقال لها ردينة تباع عندها الرماح، ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٣٣. النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢١٥. وردت في أشعار العرب، انظر الضبي، المفضليات ص٦٦، ٢٥٩. أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١١٨، ١٣٦. الأصمعي، الأصمعيات، ص٩٥. النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢٢١.

(٢) السمهرية: هي القنا الصلبة المنسوبة إلى سمهر كان رجلاً يقوم الرماح. النويري، نهاية الأرب، ٦/ ٢١٥. ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٣٣. وكان سمهر يسكن بقرية تسمى خطا من قرى البحرين كان مثقفاً ماهراً فنسبت إليه الرماح الجيدة، انظر الزوزني، شرح المعلقات ص ٢٢٤. (معلقة لبيد) ابن قتيبة، المعاني، ص ١٠٣٩ و ١٠٩٥ (الشعر لروية وأمرىء القيس) الأزدي، غرائب،، ص ١٦٥. (الشعر لابن قلاقس).

(٣) اليزنية: منسوبة إلى ذي يزن لأنه أول من عملت له. ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٣٣. انظر الضبي المفضليات، ص ٤٢٨. السكري، شرح أشعار، ١/ ٣٨، ٣٩.

(٤) الخط: ارض تنسب إليها الرماح الخطية...وهو خط عمان... ويقال رمح خطي ورماح خطية وخطة وليست الخط بمنبت للرماح لكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند. وقال الجوهري: الخط، موضع باليمامة وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لانها تحمل من بلاد الهند فتقوم به. انظر ابن منظور، لسان، ٧/ ٢٩٠. ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٣٤. النووي، نهاية الإرب، ٦/ ٢١٥. وقيل جزيرة بالبحرين، انظر المبرد، الكامل، ١/ ٩٦. وقد ورد ذكرها في أشعار العرب، انظر الزوزني، شرح المعلقات ، ص ٢٤٦. (معلقة ابن كلثوم) الضبي، المفضليات، ٣٧٦. المبرد، الكامل، و١/ ٩٥. أبو تمام، ديوان الحماسة، ص ٣٣. و ٦٦ ١٠٤و ١٣٨و ٢٠٧. الجاحظ، البيان، ٣/ ٢٥. ابن قتيبة، المعاني، ص ١٠٩٥. السكري، شرح أشعار، ١/ ١٩٠.

(٥) الزاعبية: منسوبة إلى زاعب، رجل، وقيل بلد، انظر النويري، نهاية الإرب، ٦/ ٢١٥.

(٦) المدرية: قيل أنها قرية باليمن يقال لها مدر النويري، نهاية الإرب، ٦/ ٢١٦.

(٧) ابن سيدة،، المخصص، ٦/ ٦٧. وذكر ابن منظور أن المراد باليثربي النصل وليس السهم، لأن النصال كانت تعمل بيثرب وبوادي القرى وبالرقم وبغيرهن . ابن منظور، لسان، ١/ ٢٣٥.
ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٣٧.

(٨) سلوق أرض باليمن وقد كانت مدينة عظيمة.. ويوجدد فيها خبث الحديد وإليها كانت تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية، الهمداني، صفة، ص ١٤٨، ١٤٩. وانظر ابن منظور ،لسان، ١٠/ ١٦٣. ابن سيدة، المخصص، ٦/ ٧٢. وقد ورد ذكرها في الشعر العربي انظر ابن قتيبة، المعاني، ص١٠٨٠. =

ودرع تدعى فضة»[١].

كما عرف العرب عمل أنواع أخرى من الأسلحة كالدبابات والمنجنيق فقد روى الواقدي أن عروة بن مسعود تعلم صناعتها حين عاد إلى الطائف بعد أن حاصرها الرسول ﷺ[٢].

جـ- العطور:

ا كانت تجارة العطور والأفاوية تجارة رائجة عند العرب قبل الإسلام، قد ذكرت عن لطائم النعمان، ما يشير إلى أهميتها في أسواق شبه جزيرة العرب، وقد امتدت هذه الأهمية إلى الإسلام فكان أهل مكة رجالاً ونساء يكثرون من التطيب، حيث روى ابن قتيبة عن أبي قلابة: « كان ابن مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانه ذاك بطيب ريحه»[٣] ، وروى ابن قتيبة أيضاً قال أبو الضحى: «رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي، كان رأس مال»[٤]. وكانت نساء مكة «يكثرن التطيب حتى أن إحداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيباً»[٥].

قال النميري:

تضوع مسكا بطن نعمان إذا مشت   به زينب في نسوة عطرات

وروى ابن قتيبة عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال: «قا ل عكرمة: كان ابن عباس يطلي جسده بالمسك فإذا مر بالطريق قال ابن عباس: أمرّ ابن عباس أم مرّ المسك»[٦].

وذكر الأزرقي عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى بسند عن عائشة -- رضي الله عنها - قالت: «أطيب الكعبة أحب إلي من أن أهدى إليها ذهبا وفضة»[٧]، وعن هشام بن عروة، عن

(١) البلاذري، أنساب، ١/ ٥٢٣. الطبري، تاريخ، ٣/ ١٧٧.
(٢) الواقدي، المغازي، ٣/ ٩٦٠.
(٣) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٣٠٣.
(٤) م.ن.
(٥) ابن بطوطة، رحلة، ص ١٤٩.
(٦) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٣٠٤.
(٧) الأزرقي، أخبار مكة ١/ ٢٥٧.

عبد الله بن الزبير أنه «كان يجمر الكعبة كل يوم برطل مجمر، ويجمر الكعبة كل يوم جمعة برطلين من مجمر»[١]. وروى ابن سعد بسند عن أبي سعيد الخدري قال: «ذكروا المسك عند النبي ﷺ قال: أوليس من أطيب الطيب»[٢].

يتبين من خلال هذه الروايات أن سكان شبه جزيرة العرب يستهلكن كميات كبيرة من المسك مما يجعل تجارته مربحة، إذ كان يأتي به التجار من أماكن إنتاجه ليباع في أسواق الجزيرة، وذكر الجاحظ أن أفضل أنواع المسلك هو التبتي[٣]، وأشار اليعقوبي - فضلاً عن التبتي - إلى أنواع أخر من المسك مثل السغدي والصيني الذي يؤتى به من خانقو عن طريق البحر، ثم المسك الهندي، الذي يحمل إلى الديبل ثم يجهز عن طريق البحر إلى أسواق الجزيرة، ثم القنباري، ثم الطغرغزي ، ثم القصاري والحرجيري والعصاري والجبلي، الذي يؤتى به من مدينة المولبان من أرض السند[٤]، كما كانت للمسك الداري الذي يجلب من الهند وينسب إلى دارين شهرة كبيرة في أسواق الجزيرة[٥].

ولا يقل العنبر شهرة عن المسك في أسواق جزيرة العرب بل هو سيد الطيب[٦].

وكان الملوك والأمراء يقدمونه كهدايا لمن يفد إليهم، ذكر الأصمعي أن سيف بن ذي يزن قد أهدى لكل رجل من وفد قريش الذي جاء مهنئاً « كرشاً مملوءة عنبراً، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك»[٧]. وكان عبد المطلب حين قام بين يدي سيف بن ذي يزن مضخماً بالعنبر والمسك[٨].

---

(١) م.ن.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ١١٣.
(٣) الجاحظ، التبصر، ص ٢٢. انظر ابن البيطار، الجامع، ٤/ ١٥٥. المسعودي، مروج، ١/ ١٧٩.
(٤) اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٣. ١٢٤. انظر ابن خرداذبة، المسالك، ص ٧٠. ١٥٣. الرام هرمزي، عجائب الهند، ص ٨٠، ٨١.
(٥) ياقوت، البلدان ، ٢/ ٤٣٢. انظر ابن الأثير، اللباب، ١/ ٤٠٥. ابن منظور، لسان، ٧/ ٢٩٠.
(٦) ابن البيطار، الجامع ٣/ ١٣٤.
(٧) الأصمعي، تاريخ، ص ٥٥.
(٨) م.ن. ص ٥٢.

كما ورد العنبر على لسان الشعراء قال عيدان الهذلي:

وتهتز ليلى العامرية فوقها ... ولا ثت بسب القز ذا غدر جعدا

إذا حرك المدري ضفائرها العلا ... مججن ندى الريحان والعنبر الوردا[١]

وقد أشارت المصادر إلى أن أجود أنواع العنبر ما جلب من شحر عمان[٢]، حيث ضرب المثل به قال الشاعر:

« ولو كنت عطراً كنت من غبر الشحر»[٣]

بينما يذكر الجاحظ أن «خير العنبر الأشهب الزابحي»[٤] كما كان يرد إلى سوق عدن من بلاد الزنج ويسمى العنبر الزنجي[٥]، كذلك كان يرد عن سلاهط عنبر يسمى بالعنبر السلاهطي[٦] ثم العنبر القاقلي الذي يرد من الهند إلى عدن، والعنبر الهندي الذي تأتي به أقوام من الهند إلى القرب من عمان فيشتريه منهم أصحاب المراكب[٧].

أما الكافور والعود فقد استخدمها المسلمون في التجمير حيث روى ابن سعد عن موسى ابن داود عن ابن لهيعة « إن ابن عمر كان إذا استجمر يجعل الكافور على العود ثم يستجمر به ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يستجمر»[٨] .

وكان الكافور يجلب من شلاهط من الزابج قرب الصين[٩] من جزيرة الرامني قرب

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٠.

(٢) اليعقوبي البلدان ص ١٢٥. ابن خرداذبة، المسالك ص ٦١. الدمشقي، الإشارة، ص ١٩.

(٣) الثعالبي، ثمار، ٤٢٥. انظر المسعودي مروج، ص ١٧٠.

(٤) الجاحظ، التبصر، ص ٢٤. ويذكر ابن البيطار (وأجوده الأشهب القوي السلايطي ثم الأزرق ثم الأصفر ورداؤه الأسود) ابن البيطار، الجامع، ص ١٣٤.

(٥) اليعقوبي، البلدان ص ١٢٥. انظر النويري، نهاية الإرب ١٢/ ١٩. السيرافي، رحلة، ص ١٠٣. الرام هرمزي، عجائب الهند، ص ١١٣.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٥. النويري، نهاية الإرب، ١٢/ ١٩.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص ١٢٦.

(٨) ابن سعد، الطبقات ١/ ق٢/ ص١١٣.

(٩) ابن الفقيه، المختصر، ص١٠ و ١٦.

سرنديب[١] وكله[٢] ومن جزر الصين[٣].

ويجلب العود من الهند[٤]، ويسمى بالعود القماري نسبة إلى موضع في الهند[٥].

ويظهر أن العود القماري من أثمن أنواع العود، فقد ذكر السيرافي أنه ربما وصلت قيمة المن من العود القماري إلى مئتي دينار[٦].

وهناك أنواع أخرى من العود أشار إليها اليعقوبي منها : القاقلي والصنفي[٧] كما يجلب من ملكان ومن كله[٨].

الأصباغ:

استعمل العرب مختلف أنواع الأصباغ فمنها ما كان يستخدم في خضاب الشعر كالحناء[٩] والكتم[١٠] والوسمة[١١].

---

(١) السيرافي ، رحلة ص٣١ و ٥٣.

(٢) م. ن، ص٧٨.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٥٤.

(٤) الجاحظ، التبصر ص٢٢. الجاحظ، وسائل (رسالة في فخر السودان على البيضان) ٢/ ٢٢٤. الدمشقي، الإشارة ص٢٠.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٢٦ ياقوت، البلدان ٤/ ٣٩٦. السيرافي، رحلة ص٨٢.

(٦) السيرافي، رحلة، ص١٠٠.

(٧) اليعقوبي البلدان ١٢٦.

(٨) السيرافي، رحلة، ص٣١ و٧٨.

(٩) الحناء نوع من الشجر له فاغية وهي نور ه وبزره وعناقيد متراصفة إذا انفتحت أطرافها شبهتها بما ينفتح من الكزبرة إلا أنه أطيب رائحة... وتطحن الحنا من ورقة وتنور في السنة مرتين وهي بأرض العرب كثيراً) انظر ابن البيطار، الجامع، ٢/ ٤١.

(١٠) الكتم هو شجر الجبال وهو يعد شياباً (مزيجاً) بالحناء يجفف ورقه ويدق ويخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيسود لونه ويقويه. ابن البيطار، الجامع ٤/ ٥١. ابن منظور، لسان، ١٢/ ٥٠٨.

(١١) الوسمة: هي ورق النيل حاره قابضة تصبغ الشعر، وقيل تسود الشعر... وهي صنفان صنف ورقه كورق الحماض إلا أنه أصفر... ويكون ثلاث ورقات أكثر ذلك وأربعاً يفترش على الأرض ويلصق بها ولون ظاهر الورق أخضر إلى السواد أدهم وباطنه أبيض إلى الغبرة أزغب... وتطلع في آخر الربيع ولها رأس صنوبري الشكل عليه قشور ... ومنابته الجبال. والصنف الثاني منه ورقه أعرض وأقصر من ورق الأول... يستعمل ورقه في صبغ الشعر مع الحناء وهو أحسن من الأول وأقوى صبغاً : ابن =

ويذكر البلاذري أن عبد المطلب بن هاشم أول من خضب بالوسمة ذلك أنه «دخل على بعض ملوك اليمن فأشار عليه بالخضاب فغير شعره بالحناء ثم علاه بالوسمة، فلما انصرف وصار بقرب مكة جدد خضابه وكان قد تزود من الوسمة شيئاً كثيراً. . . ثم أن أهل مكة خضبوا بعده»[١]. وهذا يشير إلى انتقالها بكميات كبيرة من أسواق اليمن إلى أسواق الحجاز قبل الإسلام ثم استمر استخدامها في صدر الإسلام، ولدينا ما يشير إلى أن الرسول ﷺ كان قد تخضب بالحناء والكتم[٢]، بينما تشير روايات أخرى إلى أن الرسول ﷺ لم يخضب شعره[٣]، في حين أشارت روايات أخرى إلى أن الخلفاء الراشدين كانوا يخضبون بالحناء والكتم. فقد روى ابن سعد، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: «صبغ أبو بكر بالحناء والكتم»[٤].

وروى ابن سعد أيضاً عن أنس بن مالك قال: « خضب عمر بالحناء»[٥] ، وعن ابن عمر عن محمد بن الحنفية قال: «خضب علي بالحناء ثم تركه»[٦]، وعن الحكم بن الصلت قال: حدثني أبي قال:« رأيت عثمان بن عفان يخضب، وعليه خميصة سوداء وهو مخضوب بحناء»[٧].

وثمة أنواع أخرى من الأصباغ تستخدم في صنع الملابس كالورس[٨]، والزعفران[٩]،

= البيطار، الجامع، ٤/ ١٩٣. ابن منظور، لسان، ٢/ ٦٣٧.

(١) البلاذري، أنساب ١/ ٦٥ و٦٦. وانظر ابن قتيبة، المعارف، ص٥٥٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ص ١٣٩. الطبري، تاريخ، ٣/ ١٨٢.

(٣) انظر الطبري، تاريخ، ٣/ ص ١٨١، ١٨٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ص ١٣٤. وانظر الطبري، تاريخ، ٣/ ١٨٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ٢٣٦. وانظر الطبري، تاريخ، ٣/ ١٨٢.

(٦) ابن سعد الطبقات، ٣/ ق١/ ١٦.

(٧) م.ن. ٣/ ق١/ ٣٩.

(٨) الورس: قال أبو حنيفة: يزرع باليمن زرعاً لا يكون منه شيء بري. . .وقال الأصمعي: نباته كنبات السمسم. . . ويخرج صبغه أخفر خالص الصفرة. . وقال ابو العباس النباتي: هو معروف بالحجاز ويؤتى به من اليمن وهو ثمر دقيق كأنه نشارة خشب روس البابونج لونه لون زهر العصفر. ابن البيطار، الجامع، ٤/ ١٩١. قارن ابن منظور، لسان، ٦/ ٢٥٤.

(٩) الزعفران: هو صبغ معروف وهو من الطيب، ابن منظور، لسان، ٤/ ٣٢٤. ومن أسمائه الجادي والكركم. انظر ابن البيطار، الجامع، ٢/ ١٦٢. =

والعصفر[١] ولدينا روايات تشير إلى استخدام عرب الجزيرة هذه النباتات في صبغ ملابسهم، ذكر الأصفهاني أن الشاعر قيس بن الخطيم كان يلبس الملحفة المورسة[٢]، وروى ابن سعد عن أم سلمة قالت: «ربما صبغ لرسول الله ﷺ قميصه ورداءه وإزاره بزعفران ووروس ثم يخرج فيها»[٣].

وروى ابن سعد أيضاً عن أبي جعفر قال: «كان طلحة بن عبيد الله يلبس المعصفرات»[٤] وكان عبد الله بن عمر يلبس المصبوغ بالزعفران[٥]، ويصفر بالزعفران لحيته[٦]، وروى الأصفهاني أن عمر بن أبي ربيعة كان يلبس الثياب المصبوغة والممصرة[٧].

---

(١) العصفر: هو الذي يصنع به ومنه ريفي، ومنه بري وكلاهما ينبت بأرض العرب، وبزره القرطم، ابن البيطار، الجامع، ٣/ ١٢٥. ابن الأثير، ، اللباب، ٢/ ١٤٠، ابن منظور، لسان، ٤/ ٥٨١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٥٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق٢/ ١٤٨. ابن الأثير، أسد، ٧/ ٢٤٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ق١/ ١٥٦.

(٥) م.ن. ٤/ق١/ ١٢٧.

(٦) م.ن. ٤/ ق١/ ١٣٢.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٣٢.

الفصل الرابع

المعاملات التجارية في الأسواق

١- أنواع البيوع في أسواق العرب التجارية:

كانت عمليات البيع والشراء في أسواق العرب قبل الإسلام تتم بطرق مختلفة وكثيرة، وبعد مجيء الإسلام اعتبرت بعض هذه البيوع فاسدة لتعارضها مع تعاليم ومبادىء الإسلام. ومن هذه البيوع:

أ- بيع الملامسة:

الملامسة نوع من أنواع البيوع كان العرب قبل الإسلام يتبايعون بموجبها في أسواقهم[١]، وقد امتاز سوق المشقر بتعامل الناس فيه بهذا النوع من البيع فضلاً عن أنواع أخرى، أشار إلى ذلك ابن حبيب بقوله: «كان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة، أما الملامسة الإيماء، يومىء بعضهم إلى بعض فيبتاعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيماء، أما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بداله»[٢]

ونص ابن حبيب غير واضح لأن الإيماء والهمهمة غير اللمس، ومن المحتمل أن يكون الإيماء والهمهمة نوعين آخرين من البيوع فضلاً عن الملامسة، فقد ذكر الألوسي أن الهمهمة هي: « الكلام الخفي وكل صوت معه بحح»[٣]، ومن المؤكد أن البيع الذي ذكره ابن حبيب باسم «الجس جس الأيدي»[٤]، الذي كان سائداً في سوق صنعاء، هو الملامسة نفسها، لأن لفظة الجس مرادفة للفظة اللمس لغوياً ، وذكر[٥] المطرزي أن الجس هو «اللمس باليد للتعرف»[٦].

---

(١) النسائي، سنن، ٧/ ٢٦١. ابن الديبع، تيسير، ١/ ٦٦.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٥. المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٣.
(٣) الألوسي، بلوغ، ١/٢٦٥.
(٤) ابن حبيب، المحبر٢٦٦.
(٥) ابن منظور، لسان، ٦/٢٠٩.
(٦) المطرزي، المغرب، ١/ ٨٤.

والملامسة على أوجه هي: « أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام فيقول له صاحب الثوب: بعتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته.

الوجه الثاني: أن يجعلا نفس اللمس بيعاً بغير صيغة زائدة.

والوجه الثالث أن يجعلا اللمس شرطاً في قطع خيار المجلس وغيره »[١].

وقال مسلم بن الحجاج أن الملامسة هي: «لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو بالنهار لا يقلبه»[٢].

وهو من البيوع التي أبطلها الإسلام، روى البخاري عن أبي هريرة أن الرسولﷺ: «نهى عن الملامسة والمنابذة»[٣]، وقد اعتبر هذا البيع تغريراً محرماً، لأنه عدول عن الصيغة الشرعية[٤].

ب- بيع المنابذة[٥]:

وهي أيضاً من البيوع التي كانت سائدة في أسواق العرب قبل الإسلام بدليل أن الرسول ﷺ نهى عنها، وهي أن يقول تاجر لتاجر أو شخص لشخص آخر: أنبذ ما معي وتنبذ ما معك، ويكون بيعهما من غير نظر وقد يكون من غير تراضٍ فيما بعد[٦]، وقال الألوسي أن المنابذة: «هو أن يجعلا نفس النبذ بيعاً كما تقدم في الملامسة، أو أن يجعلا النبذ بيعاً

(١) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٥. وانظر النووي ،شرح صحيح مسلم،١٠/ ١٥٥. العيني، عمدة القارىء، ١١/٢٦٦. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٧٠.

(٢) مسلم، صحيح، ٥/ ٣. وانظر البخاري، صحيح، ٣/ ٩١. أبو داود، سنن، ٣/ ٣٤٧. المطرزي، المغرب، ٢/ ١٧٢. ابن الديبع، تيسير، ١/ ٦٦. الفراهيدي، العين، ٧/ ٦٨.

(٣) البخاري،صحيح، ٣/ ٩٢، مسلم، صحيح، ٥/ ٣، أبو داود، سنن، ٣/ ٣٤٦. ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٣٣. الترمذي، سنن، ٣/ ٦٠٢. النسائي، سنن، ٧/ ٢٦١. وانظر ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٦٦.

(٤) ابن الأثير، النهاية، ٤/ ٧٠. ابن منظور، لسان، ٦/ ٢١٠. البستاني، محيط المحيط، ، ٢/ ١٩١٧.

(٥) المنابذة، مصدر نبذ، والنبذ: طرح الشيء من يدك أمامك أو ورائك، ونبذت الشيء أنبذه نبذاً إذا ألقيته من يدك . انظر ابن منظور، لسان، ٣/ ٥١١. الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ٤١٤. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ١٢٨.

(٦) مسلم، صحيح، ٥/ ٣. ابن حزم، المحلى ٨/ ٣٤٠. ابن الديبع، تيسير، ١/ ٦٦. وانظر ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٦٧.
=

بغير صيغة أو أن يجعلا النبذ قاطعاً للخيار»[١]،وقيل: هو أن يقول الرجل للرجل : ألق إليَّ ما معك وألقي إليك ما معي[٢]، ولهذا يطلق على هذا البيع أحيانا بيع الإلقاء[٣]، حيث لم يفرق المطرزي بين بيع المنابذة وبين بيع الحصاة وبيع إلقاء الحجارة واعتبرها بيعاً واحداً[٤].

ج- بيع إلقاء الحجارة:

وهو أيضاً من البيوع التي كان الناس يتعاملون بها في أسواقهم قبل الإسلام[٥]،وقد ذكر ابن حبيب هذا البيع في سوق دومة الجندل فقال: « كانت مبايعة العرب فيها إلقاء الحجارة، وذلك أنه كان ربما اجتمع على السلعة النفر يساومون صاحبها فأيهم رضا ألقى حجره فربما اتفق في السلعة الرهط فلا يجدون بداً من أن يشتركوا وهم كارهون وربما اتفقوا جميعاً إذا كانوا عدداً على أمر بينهم فوكسوا صاحب السلعة إذا تطابقوا عليه»[٦]. وهذا يعني إلحاق الضرر بالبائع فيضطر إلى بيع سلعته بأقل من ثمنها الحقيقي نتيجة اتفاق المشترين عليه، وفضلاً عن سوق دومة الجندل كان سوق الشحر وسوق صحار يتعاملان بهذا البيع[٧]، وفسر الألوسي هذا البيع «بأن يقول أحد المتبايعين للآخر أرم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم، وفسر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة، وفسر بأن يقبض على كف من حصى ويقول: لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع، أو يبيعه سلعة ويقبض على كف من الحصى ويقول: لي بكل حصاة درهم، وفسر بأن يمسك أحدهما حصاة في يده ويقول أي وقت سقطت الحصاة وجب البيع، وفسر بأن يتبايعا ويقول أحدهما: إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع، وفسر بأن يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول: أي شاة أصابتها فهي لك بكذا »[٨].

(١) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٦. وانظر النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ١٥٥.
(٢) ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٣٣. الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ٤١٤. ابن منظور ، لسان، ٣/ ٥١٢.
(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، ٢/ ٤١١.
(٤) المطرزي، المغرب، ٢/ ١٩٦.
(٥) الألوسي، بلوغ ، ١/ ٢٦٤.
(٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٤. المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٢.
(٧) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٦. المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٣. ١٦٤. الألوسي، بلوغ، ١/٢٦٦.
(٨) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٤، ٢٦٥. النووي، شرح صحيح مسلم،١٠/ ١٥٦. وانظر الشيباني، الآثار، ص ١٣٠. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٣٢. النسائي، سنن، ٧/ ٢٦٢.

وهذا يعني أن رمي الحصاة يتم بموجبها تحديد كمية وسعر المباع، وأن رمي الحصاة يعني إتماماً لعقد البيع، وأن طرفي البيع لا يعرفان أيهما سيباع من قطيع الغنم أو أي سلعة أخرى.

ولهذه الأسباب اعتبر هذا البيع فاسداً مخالفاً للشرع، وقد نهى الرسول ﷺ في حديث عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر»[١].

وبيع الغرر: هو بيع مجهول العاقبة، أي أنه لا يدري أيكون أو لا[٢]، وقال عنه الأزهري هو: «ما كان على غير عهدة ولا ثقة»[٣]، وهو يشمل بيوعاً كثيرة كبيع الآبق والمعدوم والمجهول ومالا يمكن تسليمه، وما لم يكن من ملك البائع، وبيع السمك بالماء الكثير، واللبن في الضرع[٤]، وربما كان لهذا البيع ظاهر يغري المشتري إلا أنه غالباً ما يكون مجهولاً لطرفي البيع[٥].

ويوضح هذا مالك بن أنس في مثال لرجل قد ضلت دابته أو أبق غلامه، وكان ثمن سلعته قبل أن تصل خمسين ديناراً، فيشتريها رجل بعشرين ديناراً ، فإن وجدها خسر البائع ثلاثين ديناراً . وإن لم يجدها خسر المشتري عشرين ديناراً ،كما أن سعرها حتى وإن وجدت قد لا يساوي ثمنها الحقيقي، لما قد يحدث لها من عيوب في فترة اختفائها[٦] وبذلك تكون المخاطرة حاصلة في كل الأحوال، ولهذا نهى عنه الشرع واعتبره أكل أموال الناس بالباطل على تقدير عدم حصول البيع[٧].

---

(١) مسلم، صحيح، ٥/ ٣، أبو داود، سنن، ٣/ ٣٤٦. ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٣٩. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٣٢. النسائي، سنن، ٧/ ٢٦٢.
(٢) مسلم، صحيح، ٥/ ٣. المطرزي، المغرب، ٢/ ٧٠.
(٣) ابن الأثير، النهاية، ٣/ ٥٧١. ابن منظور، لسان، ٥/ ١٤. المطرزي، المغرب، ٢/ ٧٠.
(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ١٥٦.
(٥) ابن الأثير، النهاية، ٣/ ٥٧١. ابن منظور، لسان، ٥/ ١٤. المطرزي، المغرب، ٢/ ٧٠.
(٦) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٦٥.
(٧) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/ ٢٧٣.

د- بيع السرار:

انفرد ابن حبيب في ذكر هذا النوع من البيوع، حيث كان يجري التعامل به في سوق عكاظ، فقال: « وكان بيعهم فيها السرار، إذا وجب البيع وعند التاجر فيها ألف ممن يريد الشراء ولا يريده، أشركه في الربح»[١].

ويبدو أن سبب انفراد سوق عكاظ بهذا البيع هو كثرة التجار الوافدين إليها، فربما اتفقت رغبة الكثير منهم على شراء سلعة معينة، لذلك كانوا يشتركون في الربح، وقد فسر المطرزي هذا البيع بأن يقول الرجل لآخر: «أخرج يدي ويدك فإن أخرجت خاتمي قبلك فهو بيع بكذا، وإن أخرجت خاتمك قبلي فبكذا، فإن أخرجا معاً أو لم يخرجا جميعاً عاد في الإخراج»[٢] وهذا يعني أن هذا البيع شبيه بالمراهنة.

إن إشارة ابن حبيب إلى هذا البيع في سوق عكاظ،لا تعني أن هذا السوق لا يتعامل إلا بموجب هذا البيع فقد ذكرت سابقاً إن التجار يأتونه من كل أوب، ممن شهدوا الأسواق التي قبله، فلا بد أنهم نقلوا أو تعاملوا بالطرق التي كانت سائدة في أسواق بلدانهم أو القريبة منهم.

هـ- بيع حبل الحبلة:

وهو من البيوع التي كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بها في أسواقهم، ويبدو أن التعامل به كان محدوداً، قال الفراهيدي: «كانت العرب ربما تبايعوا على حبل الحبلة، فنهى رسول الله ﷺ -عن بيع المضامين والملاقيح[٣] وحبل الحبلة »[٤] .

وحبل الحبلة هو أن يبتاع الرجل «الجزور إلى أن تنتج الناقة ثم تنتج التي في بطنها» وقيل هو «بيع ولد الناقة الحامل في الحال بأن يقول إذا نتجت هذه الناقة ثم نتجت التي في

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٢٦٢. الأفغاني، أسواق العرب، ص٥٣، ٥٤.

(٢) المطرزي، المغرب ١/ ٢٤٩.

(٣) المضامين، ما في بطون الاناث. والملاقح: ما في ظهور الجمال ، وقيل: العكس انظر ابن منظور، لسان ، ٢/ ٥٨٠.

(٤) الفراهيدي، العين، ٣/ ٢٣٧.

بطنها»[١] فقد بعتك ولدها فنهى عنه. لأنه بيع ما ليس بمملوك ولا معلوم ولا مقدور على تسليمه»[٢]. وقال النووي: قال جماعة: «هو بيع بثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة ويلد ولدها»[٣]، والمعنى في هذه النصوص واحد، هو أن يبيع ما ينتجه الجنين في بطن الناقة على تقدير أن تكون أنثى، فهو بيع غرر لم يخلق بعد[٤]، ولذلك نهى عنه الرسول ﷺ فقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلة»[٥].

و- بيع النجش:

النجش أسلوب من الأساليب التي كان أكثر باعة البز يستخدمونه[٦] قبل الإسلام وهو مدح السلع لغرض ترويجها[٧]، أو هو أن يزيد رجل في ثمن السلعة وليس له في نيته الشراء ليغتر بها غيره فيشتري على سومه[٨]، وقد نهى الرسول ﷺ عن هذا البيع في قوله: «ولا تناجشوا»[٩] لما فيه من خداع للمشتري لأنه يدفع بالسلعة من أجل شرائها أكثر من ثمنها الحقيقي[١٠]، ولأن الشرع عده مثل الربا محرماً فقد قال ابن أبي أوفى: «الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل لا يحل»[١١]، وقد ذكر الفقهاء أن الإثم يقع على الناجش فقط إن لم

---

(١) البخاري، صحيح ٣/ ٩١. و٥/ ٥٤.
(٢) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/ ٢٥٧، انظر العيني، عمدة القارىء ١١/ ٢٦٦.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ١٥٨.
(٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص٥٢.
(٥) البخاري، صحيح ٣/ ٩١. مسلم، صحيح، ٥/ ٣. أبو داود، سنن، ٣/ ٣٤٧، ابن ماجه، سنن، ٢/ ٧٤٠، الترمذي، سنن، ٣/ ٥٣١.
(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٦١.
(٧) النسائي، سنن، ٧/ ٢٥٥، ابن ماجه، سنن، ٢/ ٧٣٤. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ١٣٥.
(٨) الشيباني، الآثار، ص١٣٠. انظر الترمذي، سنن، ٣/ ٥٩٧. النسائي، سنن، ٧/ ٢٥٥. الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٦١. ابن تيمية، الحسبة ص ١٨. ابن الأثير، النهاية، ٤/ ١٣٥. الزمخشري، أسس البلاغة، ٢/ ٤٢٤. النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ١٥٩.
(٩) أبو داود، سنن، ٣/ ٣٦٦. ابن ماجه، سنن، ٢/ ٧٣٤. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٩٧، وورد بأسانيد وصيغ مختلفة عن البخاري، صحيح ٣/ ٩١. ومسلم صحيح، ٥/ ٤.
(١٠) الترمذي، سنن، ٣/ ٥٩٧.
(١١) البخاري، صحيح ٣/ ٩١، العيني، عمدة القارىء، ١١/ ٢٦٣.

يعلم به البائع، فإن علم أثم معه[١]، وهذا ما يحصل غالباً، أي أن يكون هناك اتفاق بين البائع والناجش.

ز- بيع العربان:

وهو أن يشتري شخص سلعة من شخص آخر فيقول له: أعطيك ديناراً أو درهماً أو أي مبلغ آخر، على أني إن أخذت السلعة فإن ما أعطيتك فهو من ثمن السلعة، وإن تركت ابتياع السلعة فما أعطيتك لك بغير شيء[٢].

وهذا النوع من البيع ما زال متعارفاً عليه إلى يومنا هذا، ويطلق عليه (العربون) إلا أن المنهي عنه في هذا البيع هو ما انعقد عليه البيع، فإذا اتفقا على أن ما دفعه المشتري للبائع يرجع إليه في حالة عدم رغبته في الشراء فإن ذلك البيع صحيحاً وليس فيه مخاطرة وإنما فيه تعيين للثمن أو بعضه، أمّا إذا اتفقا على أن ما دفعه المشتري لا يرجع إليه في حالة عدم حصول البيع فهذا الذي نهى عنه لأنه من أوجه المخاطرة[٣] لما فيه من الشروط والغرر وأكل أموال الناس بالباطل[٤]، فقد روى أبو داود عن عبدالله بن مسلم عن مالك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع العربان»[٥].

بيع المزابنة والمحاقلة:

وهي أيضا من البيوع التي تعامل بها العرب قبل الإسلام بدليل أن الرسول ﷺ نهى عنها، قال أنس بن مالك عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع المزابنة والمحاقلة»[٦].

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/١٥٩.

(٢) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/١٨٦، وانظر أبو داود، سنن، ٣/ ٣٨٤. ابن ماجه، سنن، ٢/٧٣٩. ابن الأثير، النهاية، ٣/ ٨٧. ابن منظور لسان، ١/ ٥٩٣، البستاني، محيط المحيط، ٢/ ١٣٦٢.

(٣) الباجي، المنتقى، ٤/ ١٥٧- ١٥٨.

(٤) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/ ١٨٨.

(٥) أبو داود، سنن، ٣/ ٣٨٤. ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٣٨.

(٦) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٢٥. ورد الحديث بأسانيد مختلفة عند البخاري، صحيح، ٣/ ٩٨. مسلم، صحيح، ٥/ ١٣. أبو داود، سنن، ٣/ ٣٥٦. ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٦٢. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٢٧ =

والمزابنة هي « بيع الثمر بالتمر كيلاً وبيع الزبيب بالكرم كيلاً»[١]. أو هي «اشتراء الثمر بالتمر في رؤوس النخل»[٢]، وقد أجمع الفقهاء على أنه بيع جزاف «لا يعلم كيله أو وزنه أو عدده أبتيع بشيء من مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد»[٣]. وتفسير هذا عند مالك هو «أن يقول الرجل للرجل: كل سلعتك هذه أو مر من يكيلها أو زن من ذلك ما يوزن أو اعدد ما كان يعد فإن نقص من كذا وكذا صاعاً لتسمية يسميها أو زن كذا وكذا رطلاً أو اعدد كذا وكذا ، فما نقص من ذلك فعلي غرمه لك حتى أوفيك تلك التسمية، فما زاد على التسمية فهو لي أضمن ما نقص من ذلك علي أن يكون لي ما زاد »[٤].

والمجازفة هنا واضحة ولهذا نهى عنه الرسول ﷺ لاعتبار هذا النوع من البيع ربا[٥]، فمبادلة التمر بالتمر لا يجوز إلا مثلاً بمثل، روى البخاري، عن الليث، عن ابن شهاب أن مالك بن أوس سمع عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: « البر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء»[٦]. هذا يعني أن البيع إن لم يكن مثلاً بمثل، كان بيعاً مجهولاً. ولا يعلم أيهما أكثر، فيكون بذلك بيع مجازفة، ولأن البائع والمشتري إذا ما عرفا الغبن فيما بعد أراد المغبون أن يفسخ البيع وأراد الغابن أن يمضيه ولهذا حدث الخصام والتدافع[٧]، أما المحاقلة فهي بيع الزرع بالقمح أو استكراء الارض بالقمح[٨]، ووجه المحاقلة في كراء الأرض بالقمح هي أن الذي يكري الأرض ليزرعها

= أبو يوسف، الآثار ، ص ١٨٩ .

(١) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٢٤ . البخاري، صحيح، ٣/ ٩٨ . أبو داود، سنن، ٣/ ٣٤٢ . الباجي، المنتقى، ٤/ ٣٤٣ . ابن الديبع، تيسير، ١/ ٥٨ . السقطي، في أدب الحسبة، ص٤ .

(٢) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٢٥ ، الفراهيدي، العين، ٧/ ٣٧٤ ، البخاري، صحيح ٣/ ٩٩ . الترمذي، سنن، ٣/ ٥٢٧ . المطرزي، المغرب، ١/ ٩٢ .

(٣) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٢٥ .

(٤) م.ن. ص ٦٢٥ . ٦٢٦ .

(٥) مسلم، صحيح ٥/ ١٤ . ابن الديبع، تيسير، ١/ ٥٨ .

(٦) ابن ماجة، سنن، ٢/ ٧٥٧ . وانظر مسلم، صحيح، ٥/ ٤٧ . أبو يوسف، الآثار، ص١٨٣ . ابن حزم، المحلي، ٨/ ٤٨٩ .

(٧) ابن منظور، لسان، ١٣/ ١٩٥ . البستاني، محيط المحيط، ١/ ٨٥٤ .

(٨) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٢٥ . مسلم، صحيح، ٥/ ١٣ الترمذي، سنن، ٣/ ٥٢٧ ، ابن ماجة، سنن، ٢/ ٨٢٠ .

قمحاً سيودي بالنتيجة إلى بيع القمح بالقمح جزافاً بجزاف أو جزافاً بكيل لأنه دفع لقاء كراءه الأرض قمحاً، وانتفع منها بعد زراعتها قمحاً أيضاً، أما بيع الزرع بالقمح فهو على نحو ما تقدم من بيع التمر بالتمر، أي أنها كالمزابنة، إلا أن الأخيرة اسم عام يقع على الجميع والمحاقلة خاصة في الزرع[١].

كما نهى ﷺ عن الغش في المراطلة[٢]، والمراطلة هي مبادلة الذهب بالذهب أحدهما بالآخر وزناً بوزن[٣].

وتوجد لدينا أنواع أخرى من البيوع كان يمارسها بعض التجار، بهدف تحقيق أرباح كبيرة على حساب المنتج والمستهلك، وقد عدها الإسلام فاسدة.

ومن هذه الأنواع أن التاجر كان يتلقى الركبان، فنهى عنه الرسول ﷺ[٤]، لأن ذلك قد يؤدي إلى بيع المنتج إنتاجه بالوكس، أي بأقل من ثمن الكلفة، ويعد الفقهاء مثل هذا البيع تغريراً محرماً[٥]، وتلقى الركبان هو أن يخرج التاجر، فيتلقى القافلة خارج البلد «فيخبرهم بكساد ما معهم ليبتاعه منهم رخيصاً»[٦] ولذلك كان من حق صاحب السلعة الخيار في البيع إذا ورد السوق وتبين الأسعار[٧].

كما نهى رسول الله أن يبيع تاجر على بيع تاجر آخر[٨]، وهو «أن يشتري الرجل سلعة بثمن معلوم بشرط الخيار فيقول له رجل آخر ردها وأنا أبيعك خير منها بهذا الثمن، أو مثلها بدون هذا الثمن»[٩]، كما نهى ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ[١٠]، فقد ورد في صحيح مسلم أن

(١) الباجي، المنتقى، ٤/ ٢٤٥، ٢٤٦.
(٢) م. ن، ٤/ ٢٧٩.
(٣) م. ن. ص٢٧٦.
(٤) انظر البخاري، صحيح، ٣/ ٩٢. مسلم، صحيح، ٥/ ٤. الترمذي، سنن، ٣/ ٤٢٥.
(٥) ابن تيمية، الحسبة، ص١٩.
(٦) ابن بسام، ، نهاية الرتبة، ص١٩.
(٧) مسلم، صحيح، ٥/ ٥. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٢٤. ابن ماجه، سنن، ٢/ ٧٣٥.
(٨) مسلم، صحيح، ٥/ ٣. الترمذي، سنن، ٣/ ٥٨٧.
(٩) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦١.
(١٠) مسلم، صحيح، ٥/ ٤و٥، أبو داود، سنن، ٣/ ٣٦٦، ابن ماجه، سنن، ٢/ ٧٣٤، النسائي، سنن ٧/ ٢٥٧.

الرسول ﷺ قال: «**لا يبع حاضر لبادٍ وذروا الناس يرزق الله بعضهم من بعض**»[١]، وكان أهل البادية يقدمون بسلعهم للأسواق وهم لا يعرفون حاجة الناس لسلعهم أحياناً وربما كانوا أيضاً يستثقلون المكوث في البلد، لذلك كانوا يعمدون إلى أهل البلد ليبيعوا لهم سلعهم مما قد يودي إلى بيعها بأسعار منخفضة[٢]، فيقع الضرر على البادي وأهل البلد، لأنه قد يمتنع المنتج من جلب إنتاجه لهذا البلد[٣] في المرة القادمة.

كما كانت بعض عقود البيع تتناول بيعتين إلا أن هاتين البيعتين لا يتم منها إلا بيعة واحدة[٤]، كان يقول الرجل لآخر ابتع لي هذا البعير بنقد حتى ابتاعه منك إلى أجل وبذلك تتضمن بيعتين، بيعة النقد وبيعة الأجل وفي هذا ما ليس يملكه، لأنه باع منه البعير قبل أن يملكه وسلف بزيادة كأنه أسلفه ما نفده بالثمن المؤجل[٥]، أو هي أن يقول الرجل لآخر: أبيعك سلعتي بكذا، على أن تبيعني سلعتك بكذا فإن وجبت لي سلعتك وجبت لك سلعتي[٦] وهي من البيوع التي نهى عنها الرسول ﷺ[٧].

وكان بعض تجار المواشي يعمدون إلى تصرية الإبل والغنم قبل بيعها وهي أن يربط أخلاف الناقة أو الشاة ويترك حلبها ليومين أو ثلاثة حتى يجتمع لبنها، ثم يعرضها للبيع فيزيد المشتري في ثمنها لاعتقاده أنه عادة لها[٨]، وفي هذا غش للمشتري، لذلك نهى الرسول ﷺ عنها[٩]، وأوجب للمشتري الخيار لمدة ثلاثة أيام بعد شرائها ليتبين حقيقتها، فإن شاء احتفظ بها وأمضى البيع، وإن شاء ردها ومعها صاعاً من تمر[١٠].

---

(١) مسلم، صحيح ٥/٦. أبو داود، سنن ٣/٣٦٧. ابن ماجه، سنن ٢/٧٣٤. النسائي، سنن ٧/٢٥٦.
(٢) الشافعي، الأم، ٣/٩٢.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/١٦٢.
(٤) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/٢٦٩.
(٥) م. ن. ٤/٢٧٠.
(٦) الترمذي، سنن، ٣/٥٣٣، ٥٣٤.
(٧) م. ن، ٣/٥٣٣.
(٨) النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/١٦١.
(٩) مسلم، صحيح ٥/٦. الترمذي، سنن، ٣/٥٥٣.
(١٠) مسلم، صحيح ٥/٦، . الترمذي، سنن ٣/٥٥٣. ابن ماجه، سنن، ٢/٧٥٣.

كما نهى ﷺ عن بيع المعاومة أو بيع السنين[١]، وهو بيع ثمر النخل أو الشجر لمدة سنتين أو ثلاثاً فما فوق[٢]. هذه أنواع البيوع التي كانت تمارس في بعض أسواق العرب، وقد نهى عنها الرسول ﷺ. ويجدر بنا أن نشير إلى أنه توجد أنواع أخرى من البيوع التي ليس فيها غش أو خداع أو تغرير لذلك أبقى عليها وظلت تمارس في أسواق العرب التجارية في صدر الإسلام.

النقود المتداولة في الأسواق

الدراهم والدنانير:

للنقود أهمية كبيرة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وهي أولى العوامل التي تحدد شكل الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لأي مجتمع بشري، ورغم خطورة الدور الذي تلعبه النقود في حياة الدول المتحضرة، إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنها[٣]، لأنها الوسيلة الوحيدة والمضمونة لمعرفة قيمة السلع، وعلى أساسها تقيم مختلف الأعمال[٤].

كان البيع والشراء يتم في أسواق شبه جزيرة العرب بالمقايضة والنقد معاً وبسبب قلة النقود في ذلك الوقت، فإن غالبية المعاملات التجارية كانت تتم بطريقة المقايضة[٥] إلا في الحالات التي لا يمكن فيها مقايضة السلعة بأخرى لعدم إمكانية تجزئتها فيضطرون حينذاك إلى استخدام النقود لإتمام عملية البيع والشراء[٦]، أما الإتجار مع الأسواق الخارجية فكان يتم بكلتا الطريقتين[٧].

لقد عرف العرب النقود وتعاملوا بها قبل الإسلام فترة طيلة، حتى قيل أن أول من ضرب

(١) مسلم، صحيح ٥/١٨.
(٢) ابن منظور، لسان، ١٢/ ٤٣١.
(٣) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص٥.
(٤) المقريزي، إغاثة، ص٤٧.
(٥) جواد علي، تاريخ، ٨/ ٢٠٦.
(٦) دفتر المسكوكات، ص٧. الحسيني، النقود، ص١٧.
(٧) جواد علي، تاريخ، ٨/ ٢٠٦.

الدينار والدرهم آدم عليه السلام[١].

وليس هناك أكثر دلالة على قدم معرفة العرب للنقود، من ورود لفظة الدينار والدرهم في القرآن الكريم، فقد ورد ذكر الدينار في قوله تعالى﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. وأشير إلى الدرهم في قوله تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠].

كما توصلت الدراسات إلى معرفة الدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام للنقود، حيث وردت في كتابات سبئية وقتبانية إشارات إلى نقود سبئية وقتبانية كانت مستعملة منذ سنة ٤٠٠ ق.م[٢] وهذه النقود وإن كانت ملامحها قد تأثرت بالنقد الأجنبي، إلا أنها نقود سكت بأيدٍ يمانية، مما يشير بوضوح إلى وجود دور لضرب هذه النقود في اليمن[٣]، كما عرف المعينيون النقود وتعاملوا بها وضربوها في بلادهم، وقد عثر على درهم عليه صورة ملكهم، وقد طبع اسمه بحروف واضحة بالخط المسند، ويعلق (الدكتور جواد علي) على هذا الاكتشاف بقوله: «إن لهذه النقود أهمية كبيرة في تاريخ النميات في بلاد العرب وفي دراسة الصلات التجارية لشبه جزيرة العرب والعالم الخارجي»[٤]، وقد أشار البلاذري إلى الدراهم الحميرية، فذكر عن عبدالله بن موهب، عن أبيه قال: «قلت لسعيد بن المسيب، من أول من ضرب الدنانير المنقوشة؟ قال: عبدالملك بن مروان، وكانت الدنانير ترد رومية، والدراهم كسروية وحميرية قليلة»[٥]. وهذا يشير بوضوح إلى تعامل أهل الحجاز في أسواقهم بالدراهم الحميرية.

ولما كانت للعرب صلات تجارية خارجية، فلا بد أنهم استعملوا النقود الأجنبية حيث «كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة في (الجاهلية) وترد عليهم دراهم الفرس البغلية

(١) المقريزي، إغاثة، ص٤٧.
(٢) جواد علي ، تاريخ، ٨/ ٢٠١.
(٣) م.ن، ص٢٠٥.
(٤) جواد علي، المفصل، ٢/ ١١٢، ١١٣
(٥) البلاذري، فتح، ق٣/ ص٥٧٣، ٥٧٤. الماوردي، الأحكام ، ص ١٥٤، ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٨٢.

فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر»[١]، وكانت لقريش أوزان قبل الإسلام فكانت «تزن الفضة بوزن تسميه درهماً وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً فكل عشرة من أوزان الدنانير»[٢]، وكل وزن من أوزان الدرهم والدينار يساوي مثقالاً، فالمثقال من الفضة يسمى درهماً والمثقال من الذهب ديناراً[٣]، وعلى هذا الأساس أي المثقال كان الناس يتعاملون قبل الإسلام، وقد وضعوا مصطلحات لأوزانهم «وهي الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية، والأوقية هي أربعون درهماً. . . والنص وهو نصف الأوقية (حولت فقيل نش) هو عشرون درهماً والنواة وهي خمسة دراهم»[٤].

وكانت الدراهم التي يتعامل بها الناس قبل الإسلام على نوعين، السوداء الوافية[٥]، والطبرية العتق[٦]، وزنة الدرهم الوافي ثمانية دوانق[٧]، ويزن الطبري أربعة دوانق[٨] وقيل العكس[٩]، كما كانت هناك أنواع أخرى من الدراهم ذكرها المقريزي، وهي الدراهم الجوارفية[١٠] زنة الواحد منها أربعة دوانق ونصف، والدراهم الجواز التي تساوي العشرة منها سبعة دراهم بغلية[١١]، فضلاً عن الدراهم اليمانية التي يزن الواحد منها دانقاً[١٢].

ولما ظهر الإسلام أقر رسول الله ﷺ الدنانير والدراهم على ما كانت عليه[١٣]، وقال:

---

(١) البلاذري، فتوح، ق٣/ ص ٥٧١، ٥٧٢.
(٢) م.ن. ٥٧٣.
(٣) المقريزي، شذور، ص ٣.
(٤) المقريزي، إغاثة، ص ٤٩. المقريزي، شذور، ص ٣. وانظر البلاذري، فتوح، ٣/ ٥٧٣.
(٥) الدراهم الوافية كانت تسمى البغلية انظر المقريزي، إغاثة ص ٥٠. المقريزي، شذور، ص ٣.
(٦) ابن سلام، الأهوال، ص ٥٢٤. المقريزي، شذور ص٣. المقرريزي، إغاثة، ص ٤٨.
(٧) الدانق زنته ثمان حبات وخمس حبة من حبات الشعير المتوسطة التي لم تتقسم وقد قطع طرفيها ما امتد، انظر المقريزي، إغاثة، ص ٥٠.
(٨) الماوردي، الأحكام، ص ١٥٤.
(٩) قيل أن وزن الوافية أربعة دوانق، ووزن الطبرية ثمانية دوانق، انظر المقريزي، إغاثة ص ٤٩.
(١٠) المقريزي، إغاثة، ص ٤٨. وفي رواية أخرى الجوارقية، انظر المقريزي، شذور ص ٣.
(١١) المقريزي، إغاثة، ص ٥٠.
(١٢) الماوردي، أحكام، ص ١٥٤.
(١٣) البلاذري فتوح، ق٣/ ص ٥٧٢. ابن سلام، الأموال ص ٦٢٩.

«المكيال مكيال المدينة، والميزان ميزان مكة»[١]. وبموجبها فرض ﷺ زكاة الأموال[٢]، كما قبلها من أهل الذمة حين فرض عليهم الجزية، فقد روى يحيى بن آدم أن معاذ بن جبل قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر»[٣]. وعن ابن الحويرث قال: « ضرب رسول الله ﷺ على نصراني بمكة ديناراً لكل سنة[٤]. وعلى وزنها الذي استقر في الإسلام على ستة دوانق [٥]. كما كانت أعطياته ﷺ بالدرهم الوافية[٦].

وقد سار الخليفة ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - على سنة الرسول ﷺ ولم يحاول أن يغير من النقود شيئاً[٧].

ومن الطبيعي أن يبقي الرسول ﷺ التعامل بالنقود الأجنبية على حاله وذلك لانشغاله بنشر الدين الإسلامي الجديد وعدم رغبته بإثارة القوى الخارجية ضده في تلك الحقبة المتقدمة من تاريخ الدعوة الإسلامية، كما كان الخليفة الأول هو الآخر، مشغولاً بحروب الردة.

وحين استخلف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - لم يتعرض للنقود في بداية الأمر حتى جاءت سنة ١٨ هـ، فضرب الدراهم على نقش الدراهم الأجنبية غير أنه زاد عليها «الحمد لله» وفي بعضها «محمد رسول الله» وفي بعضها «لا إله إلا الله وحده»[٨]، في بعضها الآخر لفظة «عمر» كما ضرب الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه - حين بويع- دراهم نقش عليها «الله أكبر»[٩]، مما يبعث على القول أن الخليفتين قد صنعا عدة صنوج[١٠]

(١) ابن سلام الأموال، ص ٥٢٠. انظر المقريزي، إغاثة، ص ٥١.
(٢) ابن سلام، الأموال، ص ٥٢٤. وانظر الماوردي الأحكام، ص ١١٩. أبو يعلى، الأحكام، ص١٢٤، ١٢٥. النووي، شرح صحيح مسلم، ٧/ ٤٩-٥١. المقريزي، إغاثة، ص ٥١.
(٣) ابن آدم الخراج ص ٦٨. وانظر ابن سلام، الأموال، ص ٢٧.
(٤) ابن آدم، الخراج، ص ٦٩.
(٥) الماوردي، الأحكام، ص ١٥٣.
(٦) البلاذري أنساب ١/ ٩٥.
(٧) المقريزي، شذور ص ٤.
(٨) م.ن. ص ٥.
(٩) المقريزي، اغاثة ص ٥٢.
(١٠) الصنج: هو حجر الوزن ويراد به في الاصطلاح: العيار،انظر الكرملي، النقود العربية، هامش =

جديدة للسكة[١]، ودور للضرب، أسهمت في توفير كميات جديدة من النقد اللازم لتنشيط العمليات الاقتصادية المختلفة[٢].

لذلك اعتبر البعض أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أول من ضرب النقود في الإسلام[٣].

ويبدو من خلال ما ذكره الماوردي أن إجراءات الخليفة عمر - رضي الله عنه - هي التي أدت إلى استقرار وزن الدرهم في الإسلام على ستة دوانق، ذلك أنه وجد أن الدراهم على ثلاثة أوزان، عشرون قيراطاً،واثنتا عشر قيراطاً، وعشرة قراريط، فلما احتيج في الإسلام إلى تقديره في الزكاة أخذ الوسط من هذه الأوزان فكان أربعة عشر قيراطاً من قراريط المثقال[٤]، فأصبحت كل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيل[٥].

كما ذكر الماوردي سبباً آخر لاستقرار هذا الوزن هو أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «لما رأى اختلاف الدراهم وأن منها البغلي وهو ثمانية دوانق ومنها الطبري وهو أربعة دوانق ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانق ومنها اليماني وهو دانق قال: انظروا الأغلب فيما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها فكان الدرهم البغلي والدرهم الطبري فجمع بينهما فكان اثنتي عشر دانقاً فاخذ نصفها فكان ستة دوانق فجعل الدرهم الإسلامي في ستة دوانيق»[٦].

أما المقريزي فينسب هذا الإجراء للخليفة عبد الملك بن مروان فيذكر أن الذي دعا عبد الملك بن مروان إلى ذلك أنه نظر للأمة وقال:«هذه الدراهم (أي السود الوافية والطبرية

= ١/ ٢٩. فهمي، صنج السكة، ص١.

(١) الكبيسي، أصول النظام النقدي ص ١٠. والسكة: «هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صورة أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدنانير والدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة» ابن خلدون، المقدمة، ص ١٧٠.

(٢) حلاق، تعريب النقود، ص ٢٣.

(٣) م.ن. ص ٢٤.

(٤) الماوردي، الأحكام، ص ١٥٣.

(٥) البلاذري، فتوح، ق٣/ ص ٥٧١.

(٦) الماوردي، الأحكام، ص ١٥٤.

العتق) تبقى مع الدهر، وقد جاء في الزكاة أن في كل مئتين ، أو في كل خمس أواقٍ خمسة دراهم، وأشفق أن جعلها على مثل السوداء العظام مئتين عدداً يكون في ذلك بخساً للزكاة، وأن عملها كلها مثال الطبرية... كان ذلك حيفاً وشططاً على رب المال[١]. إلا أنني أرجح رواية الماوردي، لأن الزكاة فرضت في زمن الرسول ﷺ فليس من المعقول أن لا يتنبه الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - لهذا الأمر ، حتى وإن لم يتنبه ، فلا بد أن الناس قد شكوا له ذلك، كما أن الزكاة من الناحية الفعلية قد فوض أمر أخراجها إلى الناس منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه-[٢]، «بعد أن كثرت الأموال في زمانه، وعلم أن في تتبعها زيادة ضرر بأربابها»[٣].

وعلى أية حال سواء كان الخليفة عمر - رضي الله عنه - أو عبد الملك فإن لهذا الإجراء مردودات حسنة ليس فقط فيما يخص الزكاة، وإنما على مجمل الحياة الاقتصادية، لأن التعامل بعملة ذات أوزان مختلفة يشيع الإرباك في عملية التبادل التجاري الداخلي والخارجي على حد سواء ، وبالتالي يربك النشاط التجاري برمته ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار ما حصل خطوة أولى على طريق بناء نظام اقتصادي موحد للدولة العربية الإسلامية، سبقت إجراءات الخليفة عبد الملك بن مروان التي تمثلت بالإصلاح الجذري للنظام النقدي ، وذلك بإلغائه لكل المؤثرات الأجنبية على العملة، فأصبحت عملة عربية خالصة[٤]، ويجزم « الدكتور الكبيسي » أن الخليفة عبد الملك أول من أوجد النقد العربي بخصائصه المتميزة للدولة العربية الإسلامية،[٥] ذلك أن النقود التي ضربها الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - قبله، لم تكن تخلو من نقوش أجنبية[٦]، اما نقود الخليفة عبد الملك بن مروان فإنها لا تحمل أية نقوش أجنبية

(١) المقريزي، إغاثة، ص ٥٥، ٥٦. المقريزي، شذور، ص ٨، ٩.
(٢) القلقشندي، صبح، ١/ ٤٣٢.
(٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٢/ ٧.
(٤) أشارت المصادر إلى أن عبد الملك بن مروان أول من نقش بالعربية على النقود. انظر البلاذري، فتوح، ق٣/ ص ٥٧٣. ٥٧٤. الماوردي، الأحكام، ص ١٥٤. ابن رستة، الاعلاق، ص ١٩٢.
(٥) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ١٤.
(٦) المقريزي، إغاثة، ص ٥١.

بل كانت تزينها كلمات التوحيد الإسلامية[١].

ولهذا عد هذا الإجراء «حدثاً بارزاً في تاريخ الإسلام، لأنه كان حداً فاصلاً بين التبعية والاستقلال»[٢]، ذلك أن التبعية الاقتصادية أكثر خطورة في كثير من الأحيان من التبعية التي تمليها بعض الظروف السياسية المعينة والتي سرعان ما تزول بزوال المؤثرات والظروف التي أوجدتها، أما التبعية الاقتصادية فإن تأثيرها يتصل مباشرة بمصالح الناس والدولة، وربما استخدم كوسيلة ابتزاز وضغط على الدولة من قبل دولة أخرى[٣]، لقد أشارت الدراسات إلى الدوافع التي حملت الخليفة عبد الملك بن مروان بالقيام بالإصلاح النقدي، فذكرت دوافع شتى سياسية ومالية ودينية وقومية لا مجال لبحثها[٤]، إلا أنه من الضروري أن أذكر أن الإصلاح النقدي الذي أحدثه الخليفة عبد الملك بن مروان، لا يمكن فصله عن جذوره المتصلة بزمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما لا يمكن فصلها عن مجمل الإصلاح الإداري في الدولة العربية الإسلامية الذي رسم سياسته الخليفة عبد الملك بن مروان والذي تمثل بتعريب الدواوين[٥].

ب- سعر الصرف:

كانت معاملات البيع والشراء في الأسواق تتم بموجب العملتين الذهبية والفضية، حيث كان باستطاعة الشخص أن يدفع لقاء شرائه سلعة ما بالدينار أو بالدراهم، ولدينا إشارات كثيرة إلى سلع بيعت ودفع ثمنها بالدينار، وأخرى دفع ثمنها بالدراهم،[٦] ومما يسهل ذلك، هو معرفة طرفي المعاملة لسعر الصرف.

---

(١) انظر المقريزي، إغاثة، ص ٥٤، ٥٥.

(٢) الحسيني، النقود العربية، ص ٤٢.

(٣) انظر في ردود فعل ملك الروم تجاه القراطيس التي أمر عبد الملك بن مروان بتثبيت كلمات التوحيد عليها ومحاولات ملك الروم في ثني عبد الملك بن مروان عن هذا العمل، حيث أن المصادر اعتبرت هذه الحادثة هي السبب في الإصلاح النقدي في زمن عبدالملك بن مروان، البلاذري، فتوح، ق١/ ص ٢٨٣. البيهقي المحاسن والمساوىء، ٢/ ٢٣٣. فما بعدها، الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٦٣. ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ١/١٧٦. فما بعدها، ابن الأثير، الكامل، ٤/ ٤١٦ فما بعدها.

(٤) انظر الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٢٢. فما بعد. حلاق، تعريب النقود، ص ٤٢ فما بعد. دفتر، المسكوكات وكتابة التاريخ، ص ٢٩. الحسيني، النقود العربية ص ٤٣ فما بعدها.

(٥) الحسيني، النقود العربية، ص ٤٣.

(٦) انظر ص١٠٣ من هذه الرسالة

ومن الحقائق الثابتة أن سعر الصرف لم يكن ثابتاً، نتيجة تعرضه لتقلبات السوق[١] من ارتفاع أسعار البضائع او انخفاضها، بموجب قانون العرض والطلب.

قد أشارت المصادر إلى أن الدينار في صدر الإسلام كان مساوياً لعشر دراهم، ونستطيع أن نستدل على ذلك من خلال تقدير الدية، التي كانت تدفع قبل الإسلام بالإبل، كونها تمثل مصدر الثروات في شبه جزيرة قبل الإسلام[٢].

وقد روى ابن سعد عن محمد بن عمر بسند عن ابن عباس قال: «كانت الديه يومئذ عشراً من الإبل وعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل فجرت في قريش والعرب مائة من الإبل وأقرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه»[٣].

وروي عن أبي حنيفة عمن حدثه عن عامر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه فرض الدية على أهل الورق عشرة آلاف درهم وعلى أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الإبل مائة من الإبل وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الحلل مائتي حلة، وعلى أهل الغنم ألفي شاة»[٤].

كما روى الشيباني في باب زكاة الإبل عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: «في الخيل السائمة التي يطلب نسلها إن شئت في كل فرس دينار وإن شئت عشرة دراهم وإن شئت فالقيمة..»[٥].

وهاتان الروايتان تشيران إلى أن الدينار يساوي عشرة دراهم، إلا أنه في رواية أخرى لابن شبة عن يحيى بن سعد قال: «أن عمر رضي الله عنه لما رأى أثمان الإبل تختلف قال: لأقضين فيها بقضاء لا يختلف فيه بعدي، على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الدراهم

(١) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ٣٩.
(٢) جواد علي، تاريخ، ٨/١٦٧.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٥٤.
(٤) أبو يوسف، الآثار، ص٢٢١، وانظر الشيباني، الآثار، ص٩٧. ابن شبة، تاريخ المدينة، ٢/٧٥، ٧٥٨.
(٥) الشيباني، الآثار، ص٥٥.

اثنا عشر ألف درهم»[١]، وفي رواية واضحة للشافعي أن « سعر الصرف كان على عهد رسول الله ﷺ اثني عشر درهماً بدينار وكان كذلك بعده فرض عمر الدية اثني عشر ألف درهم على أهل الورق وعلى أهل الذهب ألف دينار»[٢]، وفي رواية أخرى لابن شبة عن أيوب بن موسى قال: « سمعت مكحولاً يقول: توفي النبي ﷺ والدية ثمانمائة دينار - قال سفيان: وكانت على عهد النبي ﷺ ترتفع وتنخفض فخشي عمر - رضي الله عنه - بعده فجعل على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الدراهم اثني عشر ألف درهم»[٣].

وهذه الروايات الثلاث تشير إلى أن الدينار أصبح مساوياً لاثني عشر درهماً، كما يتضح منها أن ارتفاع وانخفاض سعر السلعة يؤدي إلى انخفاض في سعر الدرهم، ففي رواية لابن شبه عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - : «أن الدية كانت على عهد رسول الله ﷺ مائة من الإبل وإن قيمة البعير كانت آنذاك أربعين درهماً، فكانت الدية على عهد رسول الله ﷺ أربعة آلاف درهم، فلما توفي رسول الله ﷺ غلت الإبل في ولاية أبو بكر - رضي الله عنه - فكانت قيمته ثمانين درهماً، فما قام عمر - رضي الله عنه - غلت الإبل فكان قيمة البعير عشرين ومائة درهم، وكانت الدية على عهد عمر - رضي الله عنه - اثني عشر ألف درهم»[٤].

هذا يعني أن الدينار كان يساوي أربعة دراهم ، ثم حين غلت الإبل فأصبح يساوي ثمانية دراهم، ثم أصبح في عهد عمر - رضي الله عنه - مساوياً لاثني عشر درهماً.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو ما الذي يجنيه الصراف من هذا التبادل؟ إذا لم يكن يحصل على فائدة، على الرغم من أنني لا أعتقد بحصول المبادلة بدون فائدة في أي حقبة زمنية، إلا أنه ما دام أن الشرع قد اعتبرها ربا، فإنه لا يمكن الاعتماد على ما ذكره (الدكتور الكبيسي) حيث لاحظ أن «الإقبال على التعامل بالدينار الذهبي بالأسواق كان أنشط من التعامل بالدرهم الفضي»[٥]، وهذا ناتج من طبيعة معدن الذهب الثمين وقابليته على

(١) ابن شبه، تاريخ المدينة، ٢/ ٧٥٧.
(٢) الشافعي، الأم، ٦/ ١٣٠.
(٣) ابن شبة، تاريخ المدينة، ص٢/ ٧٥٧.
(٤) م.ن. ٢/ ٧٥٦.
(٥) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٣٩.

تحمل الخزن أكثر من معدن الفضة مما أدى إلى رغبة الناس - بما في ذلك الدولة - على اقتنائه واستحصال أموالهم به[١] ثم أن الذين تعاملوا بصرف النقود ومبادلتها جلهم من أهل الذمة، ولذلك قد تكون هذه المميزات هي التي تدفع الصراف لقبول المبادلة بدون فائدة. كما أن هذه الرغبة في اقتنائه تؤدي بطبيعة الحال إلى نقص في سيولته النقدية. أي نقص في كمية النقود المطروحة للتداول، وبالتالي ارتفاع سعر الصرف، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار هذه الزيادة بمثابة الفائدة غير المباشرة التي يحصل عليها الصراف.

أما التاجر أو الشخص الذي يتنازل عن ذهبه لقاء حصوله على دراهم فضية فإنه غالباً ما يكون مضطراً لذلك نتيجة رغبته في شراء سلع يقل ثمنها عن الدينار، خاصة أنه لم تكن في تلك الحقبة المبكرة قطع نقدية تمثل أجزاء الدينار[٢]، أو لرغبته في شراء سلع من أسواق البلدان التي تتعامل بالدراهم الفضية، حيث كانت هذه العملة أساساً للتعامل في أسواق الأقاليم الشرقية، بينما كانت أسواق الأقاليم الغربية تتعامل على أساس الدينار الذهبي، وهذا واضح في قوائم الخراج التي ذكرها الجهشياري[٣].

هذه الاسباب مجتمعة تؤدي إلى حدوث تقلبات في أسعار الصرف، حيث وصل الدينار في حقب لاحقة إلى أربعة عشر درهماً وربما أكثر[٤].

جـ - الصكوك و السفاتج:

إلى جانب التعامل بالعملات النقدية، عرف العرب استخدام الصك في الكثير من العمليات التجارية والمالية، وهو أمر خطير يحتوي مبلغ محدد من المال يدفع للشخص المسمى فيه[٥]، ولدينا ما يشير إلى أن العرب قد استخدموا الصك في الحقبة التي سبقت

---

(١) م.ن.

(٢) فهمي، صنج السكة، ص ٣٠.
حيث يذكر أن أجزاء الدينار (من قطع النصف دينار والثلث والثلثين والربع) سكت في القرن السابع الميلادي في مصر وانظر الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٤٠.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص ٢٨١ فما بعدها.

(٤) انظر الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص٣٩.

(٥) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٤٧ ، ٤٨.

ظهور الإسلام بقليل، فقد أخرج الحسن بن جهور مولى المنصور إلى بعض ولد سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب «كتاباً كان عبد المطلب بن هاشم كتبه بخطه . . . وإذا هو باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل زول صنعاء عليه ألف درهم فضة . . . ومتى دعاه بها أجابه شهد الله بذلك والمكان»[١].

وفضلاً عن كون هذا النص يدل على قدم استخدام العرب للصك، فإنه يبين لنا كيفية تحرير الصك، وذلك بأن يثبت فيه اسم صاحب الصك مع ذكر مقدار المبلغ والموعد الذي يستحق فيه الصرف، إذا كان حين الطلب.

ومما يذكر أن الصك ورد في المصادر بألفاظ متعددة[٢]، ولكن فيما يخص الفترة تعنيها هذه الدراسة، فإنه غالباً ما كان يأتي بلفظ «الكتاب»[٣]، وبلفظ الصك نفسه، فقد ذكر ابن الجوزي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - بدأ بتوزيع الأرزاق بموجب كتاب حين كثرت الأموال التي ترد إلى الدولة العربية الإسلامية، وبالتحديد حين أتاه أبو هريرة

= والصك كلمة أجنبية معربة وجمعه أصك وصكوك وصكاك، قال أبو منصور: والصك الذي يكتب للعهدة معرب أصله جك، ابن منظور، لسان، ١٠/ ٤٥٧.

الزبيدي، تاج، ٧/ ١٥٣.

وقيل هو الورقة المكتوبة بدين انظر النووي، شرح صحيح مسلم، ١٠/ ١٧١.

وقيل في أدب القاضي أنه عربي قال: الصك بمعنى الضرب لأن الشاهد يضرب الكتاب وقت الكتابة وقيل لأنه يضرب بيده وقت الإشهاد، وورد في الحديث إذا قبضت روح المؤمن عرج إلى السماء فيبعث الله بصك مختوم يأمنه من العذاب، انظر الخفاجي، شفاء الغليل، ص ٤١. وقيل أن الصك هو كتاب الإقرار بالمال، انظر المطرزي، المغرب، ١/ ٣٠٥. وقيل هو اذن مطبوع بشكل خاص بواسطة أحد المصارف يأذن به المودع المصرف في صرف مبلغ يكتبه المودع إلى فرد يكتب اسمه ويتبع بشأنه نظام خاص. انظر خياط، معجم، ٣٨٥.

(١) علي، رسائل البلغاء، ص ٢٩١.

(٢) ورد الصك بلفظة (الوثيقة) انظر ابن الجوزي، المنتظم، ٦/ ٢١٧. الخفاجي، شفاء الغليل، ص ٤١. وورد بلفظة (العهد) انظر وكيع، أخبار القضاة، ١/ ١٨٥ . ولمزيد من التفاصيلات انظر السعدي، الصيرفة، ص ٢٧٨.

(٣) ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص ١٠٣. ابن الأثير، النهاية، ٢/ ٢٧٠. ابن منظور، لسان، ١٠/ ٤٥٧. الزبيدي، تاج، ٧/ ١٥٣.

بمال كثير وقد أراد الخليفة -رضي الله عنه - أن يكيل للناس كيلاً فاستشار بعض الصحابة - رضي الله عنهم - فقالوا له: « لا تفعل يا أمير المؤمنين، إن الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال، ولكن أعطهم على كتاب وكلما كثر الإسلام كثر المال أعطيتهم»[١]. كما أشار البيروني إلى أن صكاً رفع إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من الحيرة يستحق في شهر شعبان[٢].

وأول إشارة إلى استخـدام الدولة العربية الإسلامية رسمياً للفظة الصك هي في زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أيضاً.

ذكر اليعقـوبي أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أمر زيد بن ثابت - حين ورده الطعـام من مصر الذي أرسله عمرو بن العاص - رضي الله عنه - « أن يكتب للناس على منازلـهم، وأمره أن يكتب لهـم صكاكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها، فكان أول من صك وخـتم أسفل الصكاك »[٣]، ويـأتي ختم الصك احترازاً من التلاعب في مقدار المبلغ المثبت فيـه، أو لمعرفة الجهـة التي حررت الصك، وقد أشار ابن خلدون إلى أن « الختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وبعده[٤]. إشـارة إلى صحة ونفاذ ما كتب فيه[٥]. ويتضح لنا من خلال ما ذكره اليعقوبي أن الأرزاق كانت تدفع بموجب الصك ولهذا كانت « الأرزاق تسمى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة، ومنه الحديث في النهي عن بيع الصكاك»[٦] فقد روى مسلم بن الحجاج حديثاً لإسحاق بن إبراهيم بسند عن أبي هريرة: «أنه قال لمروان، أحللت بيع الربا، فقال مروان: ما فعلت، فقال أبو هريرة: أحللت بيع الصكاك وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام حتى يستوفي...»[٧]، «ذلك أن

---

(١) ابن الجوزي تاريخ عمر، ص ١٠٣.
(٢) البيروني، الأثار، ص ٢٩- ٣٠.
(٣) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٥٤- ١٥٥.
(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٧١.
(٥) م.ن. ص ١٧٢.
(٦) ابن منظور، لسان، ١٠/ ٤٥٧. الزبيدي، تاج، ٧/ ١٥٣.
(٧) مسلم، صحيح، ٥/ ٩. وانظر ابن الأثير، النهاية، ٢/ ٢٧٠.

الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها تعجلاً، ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه فنهوا عن ذلك لأنه بيع مالم يقبض»[١]، ويتضح من ذلك أن صكاك الأرزاق كانت تدفع لحاملها وليس للشخص المثبت اسمه في الصك، وربما كان وجه النهي في بيع صكوك الأرزاق هو أن الشخص قد يبيع صكه مضطراً لأي سبب كعدم توفرها في بيت المال وقت تحرير الصك - بأقل من ثمنه المثبت فيه - وهذا الفرق بين السعرين هو بمثابة الفائدة التي يحصل عليها المشتري والتي اعتبرها الشرع رباً.

ومثلما كانت للصك تسميات متعددة[٢]، كانت له أغراض شتى، منها صكوك الدين[٣]، لقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأشار الأصفهاني إلى أن شاباً أتى عمراً حين مات أبوه سعيد بن العاص «بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى أبيه عليه فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك، فلما قرأه بكى وقال نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه... فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية»[٤].

وقال سعيد بن العاص لابنه عمرو حين احتضر «انظروا في ديني فوجدوه تسعين ألف ديناراً فيها سبعون ألفاً لمن سأله الرفد والصلة، فإذا هو كتب بذلك أجمع على نفسه صكاكاً فحول عمرو تلك الصكاك على نفسه وقضاها»[٥]، (وكان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يكن عنده ما سأل قال: اكتب علي بمسألتك سجلاً إلى أيام يسري)[٦]. وكان سعيد بن خالد إذا لم يجد شيئاً (كتب لمن يسأله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه)[٧].

---

(١) ابن الأثير، النهاية، ٢/ ٢٧٠. وانظر ابن المنظور، لسان، ١٠/ ٤٥٧.
(٢) لمزيد من التفصيلات انظر السعدي، الصيرفة، ص ١٨٢ فما بعدها.
(٣) م.ن. ص ٢٨٧.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ١٦.
(٥) البلاذري، أنساب، ٤/ ق٢/ ١٣٢.
(٦) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٣٣٧.
(٧) التنوخي، المستجاد، ص ١٧٥، ١٧٦.

تم توسيع العمل في الصكوك، وتعقد أمر تحريره، وتعددت أغراضه في العصرين الأموي والعباسي[١]، ذلك لاتساع حجم التبادل التجاري في الدولة العربية الإسلامية وازدهار الاقتصاد بصورة عامة، حتى أصبحت أجور بعض المهن تدفع بموجبه[٢].

ومثلما استعمل الصك، فقد شهدت أسواق العرب استعمال السفاتج[٣] أو الحوالات[٤]، منذ وقت مبكر من تاريخ الدول العربية الإسلامية[٥] وربما قبل مجيء الإسلام[٦]، السفتجة هي «أن تعطي مالاً لآخر وللآخر مال في بلد المعطي (أو هي) أن تعطي مالاً لآخر فيوفيه إياه ثم يستفيد أمن الطريق»[٧] قيل هي «كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قراضاً يأمن به خطر الطريق»[٨].

يهدف التعامل بالسفتجة إلى تنشيط عملية التبادل التجاري بين الأقاليم عن طريق دفع أثمان البضائع أن الدين بموجبها وعدم اللجوء إلى الدفع بالعملات المعدنية، مما يسهل عملية نقل النقود من بلد إلى آخر[٩] تفادياً لأخطار الطريق[١٠]. لذلك فهي تعتمد على الثقة والمصالح المتبادلة بين التجار[١١]، في مختلف الأقاليم، وقد أشارت المصادر إلى تعامل

(١) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص ٤٨، ٤٩. السعدي، الصيرفة، ص ٢٧٩ فما بعدها.

(٢) الخوارزمي، مفاتيح، ص ٣٨.

(٣) السفاتج، جمع سفتجة، وهي كلمة أجنبية معربة انظر الخفاجي، شفاء الغليل، ص ١٢٩.

(٤) ترى الدكتورة أمل السعدي أن هناك فرقاً بين السفتجة والحوالة من حيث الكيفية التي يتم بها الإيفاء بالالتزامات المالية الواردة فيها (ففي السفتجة يتم استيفاء المبلغ تبعاً للنقود المتداولة في البلد الذي تصرف منه، إلا أنه في حالة الحوالة يجب أن يستوفي المبلغ تبعاً لنوعية النقد المحدد في العملة). السعدي، الصيرفة، ص ٣٠٨.

(٥) الكبيسي، أصول النظام النقدي، ص٤٩.

(٦) خليل، في الفكر الاقتصادي ص٦٩.

(٧) الصابي، الوزراء، ص٤٥٢. الزبيدي، تاج ٢/٥٩.

(٨) الصابي الوزراء ص٤٥٢. الزبيدي تاج ٢/٥٩ الخوارزمي، مفاتيح ص٤١. (هامش.)
وقيل: أن السفتجة هي الخطوط، انظر الخفاجي، شفاء الغليل، ص١٢٨ و١٢٩ وقيل: أنها تساوي الكمبيالة، انظر خياط معجم ص٣١٨.

(٩) الكبيسي، أصول النظام النقدي ص٥٠.

(١٠) الزبيدي، تاج ٢/٥٩.

(١١) خليل، في الفكر الاقتصادي، ص٦٩.

التجار في صدر الإسلام، في معاملاتهم التجارية بموجبها، ذلك «أن الزبير بن العوام (رضي الله عنه) كان يأخذ بمكة الورق من التجار فيكتب لهم إلى البصرة والكوفة فيأخذون أجود من ورقهم»[١]، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يأخذ الورق بمكة على أن يكتب لهم إلى الكوفة»[٢].

وهذا يعني أن الزبير وعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - كانت لهما فروع لبنوكهما في المدن التي يرتبطون معها بمصالح تجارية كالبصرة والكوفة، وبطبيعة الحال كان يقوم بهذه المهمة وكلاء عنهما مخولون بصرف محتويات السفاتج.

وليس لدينا ما يشير إلى أن الصرافين كانوا يحصلون على أرباح لقاء تصريفهم هذه الصكوك في صدر الإسلام، لأن جواز التعامل بها أساسه أن يكون قرضاً بدون شرط، وأن الشرط يسقط خطر الطريق لابتغاء المقرض جراء عمله منفعة أو ربحاً[٣].

إلا أنه بعد أن كثرت الأموال وكبر حجم التبادل التجاري بين أسواق أقاليم الدولة العربية الإسلامية، ومنها أسواق شبه الجزيرة اتسع نطاق التعامل بالسفتجة وتعددت أغراضه حتى أصبحت واردات الدولة من الأقاليم تسلم إليها بموجب سفاتج أحياناً[٤]، لذلك أخذ الصيارفة الذي يتولون عملية تصريف السفاتج ربحاً مقداره دانق ونصف فضة لكل دينار[٥]، وهم في الأغلب من الذميين، ومهما يكن من أمر فإن استخدام الصكوك والسفاتج من شأنه تنشيط التبادل التجاري في الأسواق.

الاحتكار والأسعار

هي حبس السلع عن البيع، قال الكرماني: الحكرة: احتكار الطعام أي حبسه يتربص به الغلاء[٦].

---

(١) السرخسي، المبسوط، ١٤/ ٣٧.
(٢) م.ن،
(٣) السرخسي، المبسوط، ١٤/ ٣٧.
(٤) الطبري، تاريخ، ٩/ ٣٥٤. ٣٥٥. الجهشياري، الوزراء، ٩٨.
(٥) التنوخي، نشوار المحاضرة ٨/ ٤١. الصابي، الوزراء ص٩٣.
(٦) العيني، عمدة القارىء ١١/ ٢٤٩. وانظر ابن تيمية، الحسبة، ص٢٢. ابن منظور ، لسان ٤/ ٢٠٨.

وورد في صحيح البخاري في باب الحكرة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: «رأيت الذين يشترون الطعام مجازفة يضربون على عهد رسول الله ﷺ أن يبيعوه حتى يؤده رحالهم»[١]. وهذا هو المعنى اللغوي للحكرة وهو الحبس المطلق، ويمكن في هذه الحالة أن يطلق على الذي يشتري مجازفة ولم ينقله إلى رحله أنه محتكر لغة لا شرعاً، فالاحتكار له شروط وضعها الفقهاء غير التي يدل عليها المعنى اللغوي[٢].

ومن بين ما وضعه الفقهاء من شروط لكي يكون الاحتكار محرماً كما يقول ابن بسام هو (ان يشتري [التاجر الطعام] في وقت الغلاء ويتربص به ليزداد ثمنه أكثر منه»[٣]، بينما يذكر الشيرزي خلاف ذلك إذ يقول: « هو أن يشتري ذلك في وقت الرخاء ويتربص به الغلاء فيزداد ثمنه»[٤].

ويبدو أن ما ذكره ابن بسام أقرب إلى حقيقة الاحتكار وموقف الشرع منه، فقد ذكر مالك بن أنس أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من إذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف، فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله»[٥]. ويفسر الزرقاني كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه: «لا حرج عليه في إمساك ما جلب لئلا يمنع الناس على الجلب فإن نزل بالناس حاجة ولم يوجد غيره، جبر على بيعه بسعر الوقت لرفع الضرر»[٦]، وفي توضيح أكثر لحالة الغلاء والرخاء يفسر الباجي كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا حكرة في سوقنا يريد المنع من الاحتكار في سوق المدينة على ساكنها أفضل السلام لأن أغلب الأحوال غلاء الأسعار وقلة الأقوات وضيقها على المتقوتين بها، ولذلك بمنع الادخار فيه من التضييق على الناس في أقواتهم»[٧].

(١) البخاري، صحيح، ٢/ ١٥.
(٢) العيني، عمدة القارىء، ١١/ ٢٤٩.
(٣) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٨. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٦٥.
(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٢.
(٥) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٥١. انظر، ابن الدبيع، تيسير ١/ ٧٨.
(٦) الزرقاني، شرح الموطأ، ٤/ ٢٥٣.
(٧) الباجي، المنتقى ٥/ ١٥.

ونفهم من خلال ما ذكره ابن أنس، وشرح كل من الزرقاني والباجي، أن الشرع لم يحرم الاحتكار في حالة توفر الطعام ورخاء أسعاره. وإنما منعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سوق المدينة لأن المدينة قليلة الأقوات وغالباً ما تكون أسعارها مرتفعة. كما يفهم من ذلك أن المنع لا يشمل الجالب وإنما هو خاص بأهل السوق، فلو أجبر الجالب على بيعه بالسعر السائد مع توفر الطعام ورخاء أسعاره، أي في حالة زيادة العرض على الطلب لامتنع الناس من شرائه أو حاولوا شراءه بسعر أقل مما هو عليه، مما مما يؤدي إلى كساد السلعة وبالتالي امتناع الجالبون من جلب سلعهم للسوق لاحتمال تعرضهم للخسارة، لأنهم قد يضطرون نتيجة إجبارهم على البيع بأقل من سعر الكلفة، مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بهم وبعامة الناس فيما بعد.

ولهذا يرى الغزالي أن الاحتكار «يحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر ما ، فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا ضرر»[١].

نستنتج من هذا أن للوقت أهمية كبيرة في نظر الشرع في إثبات أو منع الاحتكار، فلمعنى الوقت الذي يمنع فيه الاحتكار حالتان: أحدهما حالة ضرورة وضيق، يمنع فيها الاحتكار، والأخرى حالة كثرة وسعة وهذه الحالة اختلف عليها الفقهاء، فمنهم من يرى أنه لا يمنع فيها من احتكار أي شيء من الأشياء، بينما يرى آخرون أن احتكار الطعام يمنع في كل وقت أما غير الطعام فيمنع في وقت الضرورة دون السعة[٢]، لكن الأكثرية يرون أن الاحتكار المحرم خاص بالطعام فقد ذكر النووي أن «الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات الخاصة. . وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه لكل حال»[٣]، وقال أبو داود: وسألت أحمد ما الحكرة؟ قال: ما فيه عيش الناس[٤]، كما قال الغزالي: أنه «ما ليس بقوت ولا هو

(١) الغزالي، إحياء، ٢/٧٣.
(٢) الباجي، المنتقى، ٥/١٦.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ١١/٤٣. وانظر الترمذي، سنن، ٣/٥٦٧.
(٤) أبو داود، سنن ٣/٣٦٩.

معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً»[١]، وذهب الغزالي إلى أكثر من ذلك حين ذكر أن بعض المواد التي تسد مسد القوت وتغني عنه كاللحم والفواكه هي في محل نظر العلماء فمنهم من «طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه»[٢].

كما أن تحريم احتكار الطعام وقت الضرورة والغلاء لا يشمل الجميع وهو خاص بأهل السوق، وأما ما صار للشخص نتيجة زراعته أو جلبه من القرية فلا يمنع احتكاره، وله أن يمسكه ما شاء سواء كان ذلك ضرورة أو غيرها[٣].

وهناك من يرى أنه حتى لو اشترى رجل الطعام في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله أو ابتاعه ليبيعه في وقته فليس هذا احتكار ولا تحريم فيه[٤].

وخلاصة للآراء الفقهية نقول: إن الاحتكار محرم للأقوات خاصة وفي وقت الغلاء مع وجود حاجة الناس لهذا الطعام، وهو محرم فقط على أهل السوق ولا يشمل الجالبين له من خارج أهل السوق.

والحكمة في تحريم الاحتكار هو دفع الضرر عن عامة الناس، فلو كان عند إنسان طعام واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أجبر على بيعه دفعاً للضرر عن الناس[٥]، إذن فالضرر هو الذي يعول عليه في نفي التحريم أو إثباته، لكن الاحتكار في الطعام لا يخلو من كراهية في نظر الفقهاء حتى وإن لم يكن هناك ضرر، لأنه ينتظر مبادىء الضرر أي أنه ينتظر ارتفاع الأسعار، وانتظار مبادىء الضرر محذور كانتظار عين الضرر، فبقدر تفاوت درجات الضرر تتفاوت درجات الكراهية والتحريم[٦].

---

(١) الغزالي، إحياء، ٢/ ٧٣.
(٢) م، ن.
(٣) الباجي، المنتقى، ٢/ ١٦.
(٤) النووي، شرح صحيح مسلم، ١١/ ٤٣.
(٥) م. ن.
(٦) الغزالي، إحياء، ٢/ ٧٣.

ولهذه الأسباب ذم الرسول ﷺ الاحتكار فقال: «لا يحتكر إلا خاطىء»[١] وقال أيضاً: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[٢]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس»[٣].

أما الأسعار فهي ذات صلة كما لاحظنا بالاحتكار، فارتفاع سعر سلعة ما مع حاجة الناس إليها هي التي تدعو التاجر لاحتكارها، وبعبارة أخرى فإن العرض والطلب على أي سعلة هو العامل الرئيس في تحديد سعرها في الأحوال الطبيعة، لذا لم يجد الشرع ضرورة من فرض سعر معين يجبر أرباب السوق الالتزام به إلا في حالات محدودة، ويرى أبو هريرة أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله سعر، فقال الرسول ﷺ: (بل ادعوا) ثم جاءه رجل آخر فقال: يا رسول الله سعر فقال: «بل الله يخفض ويرفع وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة»[٤]، وعن أنس بن مالك قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا، فقال: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»[٥].

يتضح لنا من كلام الرسول ﷺ أنه لم يوافق على وضع سعر معين، وهذا دليل قاطع على أنه لم يكن لأحد الحق في فرض سعر معين في السوق لا قبل الإسلام ولا في صدره، لأن إجبار الناس على البيع بسعر محدد قد يلحق بهم ظلم كما يقول ﷺ وذلك: «لأن إجبار الناس على بيع ما يجب، أو منعهم مما يباح شرعاً ظلم لهم والظلم حرام»[٦]. لذلك فإن الحالات التي أجبر الناس على البيع فيها بسعر محدد، هو من وضع الفقهاء فيما بعد، وذلك

---

(١) مسلم، صحيح، ٥/٥٦. وأخرجه أبو داود، سنن، ٣/٣٦٩. الترمذي سنن، ٣/٥٦٧. ابن ماجه، سنن، ٢/٧٢٨.

(٢) ابن ماجه، سنن، ٢/٧٢٨. وانظر الشيرزي، نهاية الرتبة، ص١٢. ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٢.

(٣) ابن ماجه، سنن، ٣/٧٢٨.

(٤) أبو داود، سنن ٣/ ٣٧٠.

(٥) ابن ماجه، سنن ٢/ ٧٤١، ٧٤٢. الترمذي، سنن، ٣/٦٠٦. أبو داود سنن، ٣/ ٣٧٠. السقطي، في آداب الحسبة، ص٥. المجليدي، التيسير ص٤٨.

(٦) ابن تيمية، الحسبة، ص٤٠.

بعد أن تمادى بعض الباعة في زيادة الأسعار بصورة تشكل ظلماً لعامة الناس وبموجب مبدأ الظلم والعدل اختلف العلماء بين مؤيد للتسعير وبين مانع له. وناقش ابن تيمية هذه المسألة فقال: «إذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه أو منعهم مما أباحه الله لهم، فهو حرام» [١]، وقال أيضاً: «فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم، وقد ارتفع السعر، إما لقلة الشيء وإما لكثرة الخلق، فهذا إلى الله، فالزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق» [٢]، وهذا يعني أنه إذا لم يكن ارتفاع الأسعار بسبب احتكار الباعة للسلعة وامتناعهم عن البيع بسعر المثل، وإنما كان ارتفاعها طبيعياً نتيجة قلة العرض وزيادة الطلب فإن فرض سعر محدد يعد مظلمة وإكراه بغير حق.

أما إذا امتنع «أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة فهنا يجب عليها بقيمة المثل، ولا معنى للتسعير إلا إلزامها بقيمة المثل» [٣].

وهناك مسألة أخرى اختلف عليها العلماء فيما يخص الأسعار، وهي موقف الشرع ممن يبيع بأكثر من سعر الجمهور أو بأقل منه. فإذا كان للناس سعر غالٍ وأراد بعضهم أن يبيع بأغلى منه فإنه يمنع من السوق في مذهب مالك [٤]، ولا يؤمر الجمهور من اللحاق بسعره [٥]. أما إذا «انفرد عنهم الواحد أو العدد اليسير بخط السعر، أمر من حطة باللحاق بسعر الناس أو ترك البيع» [٦]. ويستدل أصحاب هذا الرأي على ما أورده مالك بن أنس عن يونس بن يوسف عن سعيد بن المسيب أن « عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر بحاطب ابن أبي بلتعة وهو يبيع زبيباً له بالسوق فقال له عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا » [٧].

---

(١) م. ن.
(٢) م. ن ص٢٣.
(٣) ابن تيمية، الحسبة، ص ٢٣.
(٤) م. ن. ص ٣٧.
(٥) الباجي، المنتقى، ٥/ ١٧.
(٦) م. ن.
(٧) ابن أنس، الموطأ، ٢/ ٦٥١.

لقد كان حاطب يبيع بأقل من سعر الجمهور، ويبدو لأول وهلة أن عمل حاطب هذا كان يجب أن يقابل باستحسان الخليفة لأن فيه منفعة عامة الناس لكن الخليفة كان يهدف من أمره باللحاق بسعر الناس بالمحافظة على مستوى الأسعار لئلا يؤثر على بقية الباعة مما يؤدي إلى فساد الأسعار وبالتالي كساد السوق وامتناع الجالبين من جلب بضائعهم للسوق.

لقد تعامل الفقهاء مع الجالب بغير ما تعاملوا به مع أهل السوق، ذكر الباجي في كتاب محمد: « لا يمنع الجالب أن يبيع في السوق دون الناس، وقال ابن حبيب لا يبيعون ما عدا القمح والشعير إلا بمثل سعر الناس وإلا رفعوا كأهل الأسواق»[١].

يفهم من هذا أن الجالب مسموح له أن يبيع بأي سعر يراه مناسباً خاصة في القمح والشعير، والسبب في هذا التسامح كما يرى ابن حبيب هو « يكثر ما يحليه مع أن ما يجلب ليس من أقوات البلد وهو يدخل الرفق عليهم بما يجلبه فربما أدى التحجير عليه قطع الميرة والبائع بالبلد إنما يبيع أقواتهم المختصة بهم ولا يقدر على العدول بها عنهم في الأغلب»[٢].

ويفسر الباجي كلام ابن حبيب فيقول: « ووجه ما قاله ابن حبيب أن هذا بائع في السوق فلم يكن له أن يحط من سعره لأن ذلك مفسد لسعر الناس كأهل البلد قال: فأما جالب القمح والشعير فقال ابن حبيب، يبيع كيف شاء إلا أن لهم في أنفسهم حكم أهل السوق، وإن أرخص بعضهم تركوا إن قل من حط السعر وإن كثر المرخصون قيل لمن بقي، أما أن تبيعوا كبيعهم وإما أن ترفع »[٣].

ومما هو جدير بالملاحظة أن التسعير يشمل فقط البضاعة التي تكال أو توزن سواء كان مأكولاً أو غير مأكول دون غيرها، لأنه يرجع إلى المثل. أما غير المكيل وغير الموزون فإنما يرجع إلى القيمة، وهذا أيضاً إذا كان المكيل والموزن متساوياً في الجودة فإن اختلف فلا مساواة بين ما هو جيد وبين ما هو دون منه في الجودة، لأن الجودة لها حصة من الثمن كالمقدار[٤].

---

(١) الباجي، المنتقى، ٥/ ١٨.
(٢) م.ن.
(٣) الباجي، المنتقى، ٥/ ١٨.
(٤) م.ن. ابن تيمية، الحسبة، ص ٣٩.

كما تنازع العلماء في مسألة أخرى في مجال التسعير، هي تحديد سعر لأهل السوق لا ينبغي تجاوزه، فمنهم من يرى عدم جواز ذلك كمالك بن أنس وابن عمر وغيرهما، ومنهم من أرخص فيه كسعيد بن المسيب[١].

وخلاصة ما تقدم نستطيع القول أن الأسعار كانت تسير سيراً طبيعياً، أو وفقاً لعوامل توازن العرض والطلب ونوعية السلعة. وليس في مصادرنا ما يشير إلى ثبات الأسعار لزمن طويل إلا وفق العوامل السابقة. وكذلك لا يوجد من درس مسألة الأسعار بصورة مستقلة غير ما وجدناه في كتب الفقه، ولكن لدينا ما يشير إلي أسعار بعض السلع وردت في كتب مختلفة ضمن سياق الأخبار والأحداث.

(١) الباجي، المنتقى، ٥/ ١٨.

الفصل الخامس

أنشطة الأسواق في مجالات غير تجارية

أ - النشاط الثقافي والأدبي للأسواق:

إن ما كان يجري في عكاظ من نشاط ثقافي وأدبي هو أحد الأسباب الجوهرية التي اكتسبت هذه السوق شهرة في تاريخنا، وقد تبين لنا فيما سبق أن اسمها اشتق من المعاكظة والمفاخرة، حيث يقف الخطيب والشاعر لينشد ما جد من الكلام والشعر، فكانت قبائل العرب كما يقول ياقوت: «تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون، ويحضرها شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقوا»[١]،وكانت فيها منابر يقف عليها الخطيب والشاعر، يلقي ما تراكم لديه لعام كامل من مآثره وأمجاد قبيلته، ذكر ذلك المرزوقي فقال: «قال أبو المنذر: كانت بعكاظ منابر في (الجاهلية) يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام إلى عام فيما أخذت العرب أيامها وفخرها وكانت المنابر قديمة» [٢].

وربما كانت هناك أماكن محددة يقف فيها الشاعر ينشد قصائده، فقد ذكر الأصفهاني في قصة المحلق الكلابي الذي « وافى سوق عكاظ، إذا هو بسرحة[٣]، قد اجتمع الناس عليها، وإذا بالأعشى ينشدهم. . . »[٤].

لكن هذه الأماكن لم تكن في كثير من الأحيان أماكن محددة ومعلومة، ولكون أرض عكاظ أرضاً مستوية، فلا بد للخطيب أن يقف في مرتفع من الأرض لكي يشرف على الناس، فربما وقف الراوية أو الشاعر على جمل كما فعل قس بن ساعدة الإيادي «الذي قال

---

(١) ياقوت، البلدان، ٤/ ١٤٢. وانظر الفراهيدي، العين، ١/ ٢٢٢.

(٢) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٧٠. وانظر الرشيد، سوق عكاظ، ص ٧٦.

(٣) السرحة: شجرة كانت بعكاظ يجتمعون عندها ويتحدثون في ظلها وكان الأدم يباع تحتها ويروي العشواء وهي الكثيفة الظل التي لا يبصر فيها لشدة الظلام، انظر ابن قتيبة، المعاني، ٢/ ٨٠٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٨/ ٧٧.

فيه النبي ﷺ «رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت»[١]. وقد يجلس الشاعر على كرسي كما كان يفعل النابغة الذبياني حين كان يستمع لشعراء القبائل المبتدئين[٢].

لقد علت منزلة عكاظ الأدبية وأصبحت ملتقى الشعراء والخطباء، ومركزاً فكرياً متقدماً في الجزيرة العربية[٣]، ومن تشتهر قصيدته وتنال إعجاب الناس في عكاظ، يصبح اسمه وكلمات قصيدته على كل لسان، يرويها الصغير والكبير، فهذه قصيدة عمرو بن كلثوم التي مطلعها: « ألا هبي بصحنك فاصبحينا »، التي «قام بها خطيباً بسوق عكاظ، وقام بها في موسم مكة وبنو تغلب تعظمها ويرويها صغارهم وكبارهم حتى هجوا بذلك، فقال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم ... يا للرجال لشعر غير مسؤم[٤]

وهذه المعلقات التي اقترن نشؤوها بسوق عكاظ قد نالت شهرة عظيمة بين الناس فجاءت كما يقول حتي: «كناية عن مجمع أدبي أمته فحول الشعراء يتبارى بأشعارها للفوز»[٥]، حتى علقت في عكاظ « افتخاراً على من يحضر الموسم من شعراء القبائل »[٦]، وقيل أن أول قصيدة نالت إعجاب المحكمين في عكاظ هي معلقة امرؤ القيس[٧].

ولعل أكثر الصور وضوحاً في بيان دور عكاظ الأدبي ما كان يقوم به النابغة الذبياني حين كان يسمع ما يلقيه فحول الشعراء العرب من أشعار، فيحكم بينهم ليخرج أحدهم

(١) الجاحظ، البيان، ص ٣٠٨. ٣٠٩. وانظر ابن عبد ربه، العقد، ٤/ ١٨٦. ابن كثير، السيرة، ١/ ١٤١، ١٤٢. الضبي، أمثال العرب، ص ١١٣.

(٢) الشريشي، شرح مقامات الحريري، ٤/ ٣٥٠. وانظر الرشيد، سوق عكاظ، ص ٧٤.

(٣) حتي، مطول، ص ١٤٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ١٧٦.

(٥) حتي، مطول، ص ١٢٨.

(٦) الألوسي، بلوغ، ١/ ٢٦٧.

(٧) حتي، مطول، ص ١٢٩.

فائزاً، فلم يكن للشاعر من مجد أعلى من الفوز في هذه السوق[١]، ويروي لنا الأصفهاني أنه: «كان يضرب للنابغة قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، قال وأول من أنشده الأعشى، ثم حسان بن ثابت، ثم أنشدته الشعراء ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد:

وإن صخراً لتأتم الهداة به　　　كأنه علم في رأسه نار

فقال والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك فقال له النابغة يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي　　　وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطا طيف حجن في حبال متينة　　　تمد بها أيد إليك نوازع

قال فخنس حسان لقوله[٢].

وربما كان واجب الحكم ان اعترض على حكمه أحد الشعراء أن يقوم بنقد شعره واختيار ألفاظ بديلة أكثر قوة ومتانة من ألفاظه كما فعل النابغة مع حسان بن ثابت حين اعترض على حكمه لصالح الأعشى حيث قال له النابغة ناقداً أبياته التي قال فيها:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى　　　وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

ولدنا بني العنقاء وابني محرق　　　فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا أبا

قال له: « إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى قال له: إنك قلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت يلمعن في الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت يقطرن في نجدة دما فدللت على قلة القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر، لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسر منقطعاً »[٣].

---

(١) م.ن. ص ١٢٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٩/ ١٥٦. انظر ابن قتيبة، الشعر، ص ١٩٧. ١٩٨. ابن سعيد، نشوة، ٢/ ٥٦٢. ٥٦٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٨/ ١٨٨.

تبين لنا هذه الروايات الدور الهام الذي لعبته الأسواق في تهذيب اللغة وتطويرها واختيار الألفاظ الجميلة والمتينة، الأمر الذي يدعو الشاعر والخطيب الذي يروم أن يكون لكلامه أو شعره شأناً بين العرب تتناقله الأجيال ، عليه أن يهذب ألفاظه وينقيها وينقحها ، ويختار ما عذب منها ووضح معناه قبل أن يلقيه بين يدي الحكم، لئلا ينتقد مثلما حدث لحسان بن ثابت. ونتيجة لذلك أصبحت عكاظ بمثابة المصفاة لهذه الألفاظ، « فينتقي الأنسب والأرشق ويطرح المجفو والثقيل»[١].

وفضلاً عن هذا الدور الرائد في تهذيب وتطوير الألفاظ كان لعكاظ دور كبير في التقريب بين اللهجات العربية[٢]، فقد يأتي إلى هذه الأسواق التهامي والحجازي والنجدي، والعراقي واليماني والعماني، يحملون معهم ألفاظاً ولهجات مختلفة[٣]، ولكي يتم التفاهم بينهم يأخذ كل بلد من لهجة الآخر الألفاظ المتينة والجميلة يضيفها إلى لهجته فتنتج من مجموع ذلك لغة واحدة اختيرت لها أجمل الألفاظ وأكثرها فصاحة[٤]، استعملها الشعراء والخطباء فأصبحت اللغة الأدبية في الجزيرة العربية، فكانت بداية حركة التوحيد اللغوي والقاعدة الأولى في نشوء اللغة العربية الفصحى[٥].

٢- النشاط الديني للأسواق:

فضلاً عما كان يجري في الأسواق من أعمال تجارية وأدبية وأنشطة سياسية واجتماعية فقد كانت تنظم فيها احتفالات دينية موسمية، وقيل إن جلّ أسواق العرب الموسمية كانت تنظم لأجل هذه الاحتفالات، فقد كانت أماكن للعبادة ثم عفا عليها النسيان ، وقل شأنها من الناحية الدينية بازدياد شأن الحرم المكي[٦].

(١) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٧٧.
(٢) الدوري، مقدمة، ص٤١. وانظر، حويش، أسواق العرب، ص٤٣.
(٣) الأفغاني، أسواق العرب، ص٢٧٧.
(٤) حويش، أسواق العرب، ص٤٣، ٤٤.
(٥) الدوري، مقدمة، ص٤١.
(٦) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة سوق).

وقد ذكر عزام السلمي أن عكاظ «صحراء مستوية ليس بها جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت في (الجاهلية) وبها من دماء البدن كالأرطاء العظام»[١].

وكان العرب قبل الإسلام حين يأتون سوق عكاظ يطوفون ويحجون إلى صخرة فيه قال الأصفهاني: «وكانوا يطوفون بتلك الصخرة ويحجون إليها»[٢] وربما كانت أكثر من صخرة حيث يقول ياقوت عن الأصمعي: «وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها»[٣] وكان مكان هذه الصخرة في الأثيداء[٤]. وكان الصنم الوحيد في عكاظ هو «جهار» قال ابن حبيب: «جهار لهوازن بعكاظ وكان سدنتها آل عوف النصريون وكانت محارب معهم فيه وكان في سفح أطحل»[٥].

وكانت تلبية من نسك لجهار «لبيك اللهم لبيك، لبيك اجعل ذنوبنا جبار، واهدنا لأوضح النهار، ومتعنا وملنا بجهار»[٦].

كان في دومة الجندل صنم اسمه «ود» وكان لبني وبرة سدنته بنو الفرافضة ابن الأحوص ابن كلب[٧]، وكانت تلبية من نسك الود: «لبيك، اللهم لبيك، لبيك معذرة إليك»[٨].

وفي المشقر كان: «ذو اللبا» وهو لعبد القيس سدنته منهم بنو عامر[٩]، وكانت تلبيته من نسك له: «لبيك اللهم لبيك، لبيك رب فاصرفن عنا مضر، وسلمن لنا هذا السفر. إن عما فيهم لمزدجر واكفنا اللهم أرباب هجر»[١٠].

---

(١) السلمي، أسماء جبال تهامة ٨/ ٤٤٠. البكري، معجم، ص٩٥٩.
(٢) الأصفهاني، بلاد العرب، ص٣٢.
(٣) ياقوت، البلدان ٤/ ١٤٢.
(٤) الأصفهاني، بلاد العرب، ٣٢.
(٥) ابن حبيب، المحبر ص٣١٥. ابن حزم، جمهرة، ص٤٩٣.
(٦) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٢.
(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٦ - ابن حزم، جمهرة، ص٤٩٢، ابن كثير، السيرة، ١/ ٦١.
(٨) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٢.
(٩) م.ن، ص٣١٧، ابن حزم، جمهرة ص٤٩٣.
(١٠) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٤.

وبطبيعة الحال زال كل أثر لهذه الأصنام وعبادتها بعد مجيء الإسلام.

النشاط السياسي والاجتماعي للأسواق:

١- إقرار الأمن يؤدي إلى النشاط التجاري:

إن السياسة التي سارت عليها قريش في إدارة شؤون مكة (إن صح التعبير) تقوم على أساس توفير الأمن والاستقرار لضمان استمرار وازدهار عنصرين مهمين من عناصر وجودها هما موسم الحج والاسواق اللذان ترابطا بشكل وثيق ليشكلا عصب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية في مكة.

لم تدخر قريش وسعاً في طرق كل السبل لتحقيق ذلك، وأول ما يلفت النظر في هذا المجال هو دور الأشهر الحرم في توفير قدر كبير مما كانت تسعى إليه قريش من الأمن في مواسمها ليتوافد الناس للحج والأسواق وهم أمنون على أموالهم وأنفسهم.

والأشهر الحرم هي: «رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم»[١] وقد أشار القرآن الكريم إلى الأشهر الحرم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

وكان العرب يحرمون فيها القتال[٢]، ولا يأمنون إلا فيها[٣]. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾[المائدة: ٢]. فإذا انسلخت هذه الأشهر أحل القتال، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) ابن هشام، السيرة ق١/ص٤٤. الطبري، جامع البيان، ١٠/ ١٢٥. المسعودي، مروج، ٢/ ١٨٩. وهناك بعض العرب من كان يحرم أكثر من أربعة أشهر سمو البسل: «والبسل فيما يزعمون - ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه، يسيرون إلى أي بلاد العرب شاءوا لا يخافون منها شيئاً». وهم بني مرة. انظر ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٠٢.

(٢) البيروني، الأثار، ص ٣٢٥.

(٣) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٧٨.

وأحد هذه الشهور أفرد وهو رجب، وسمي رجب «لأنه قيل فيه أرجبو أي كفوا عن القتال والغارات لأنه شهر حرام وكانوا يخافونه، يقال رجب الشيء أي خفته»[١] وقيل حرم رجب لأجل زيارة البيت والاعتمار[٢]، وهو من الترجيب أي التعظيم[٣]، وبقية الأشهر الثلاثة سرد وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم[٤]، وقد سمي ذو القعدة لقعودهم فيه عن الحرب والغارات [٥]وذو الحجة، لأن فيه الحج[٦]. وسمي المحرم لتحريمهم الحرب والغارات فيه[٧]، ولكي يرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين وقيل سمي المحرم تأكيداً لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب عليه فتحله عاماً وتحرمه عاماً[٨]، وقال ابن هشام: « إنه أول الأشهر الحرم»[٩].

وقد عظم أكثر العرب هذه الشهور[١٠]، فلا يخفرون فيها الذمة ولا يظلمون[١١]، وكانوا «يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم، أو يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم»[١٢].

وقد بلغ تعظيم العرب لهذه الشهور مبلغاً كبيراً حتى أن الرجل ليلقي قاتل أبيه أو أخيه أو ابن عمه فلا يعرض لها بمساس ولا يعدو عليه[١٣]، وخير ما يصف هذه الحالة ما ذكره أبو عبيدة من حديث طريف بن تميم العنبري قال: «كانت العرب إذا كانت أيام عكاظ من

---

(١) البيروني، آثار، ص ٣٢٥.
(٢) ابن كثير، تفسير، ٢/ ٤٨٦.
(٣) م.ن. ٢/ ٤٨٥.
(٤) البيروني، الآثار، ص ٣٢٥.
(٥) المسعودي، مروج، ٢/ ١٨٩. ابن كثير، تفسير، ٢/ ٤٨٥.
(٦) المسعودي، مروج، ٢/ ١٨٩.
(٧) م.ن. ٢/ ١٨٨.
(٨) ابن كثير، تفسير، ٢/ ص ٤٨٤ فما بعدها.
(٩) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ٤٥.
(١٠) ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٩.
(١١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٠.
(١٢) م.ن. ١/ ١٩٢.
(١٣) الأصمعي، نهاية الأرب (مخطوطة) ورقة ٢٤٠. ٢٤١. وانظر الأزرقي، أخبار مكة، ٢/ ١٨٤. الطبري، جامع البيان، ١٠/ ١٢٤.

بعضهم بعضاً فتقنعوا كي لا يعرفوا[١]، وكان طريف بن تميم[٢] لا يتقنع كما يتقنعون، فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل، وكان طريف قتل شراحبيل الشيباني أحد بني عمرو ابن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فقال حمصيصة: أروني طريفاً فأروه إياه فجعل كلما مر به تأمله نظر إليه ففطن طريف فقال: مالك تنظر إلي فقال أتوسمك لأعرفك فلله علي أن لقيتك أن أقتلك أو تقتلني فقال طريف في ذلك:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم

فتوسموني أنني أنا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم[٣]

فلولا حرمة الأشهر لقتله حين عرفه وفي رواية أخرى للسمعاني عن أبي عبيدة قال: أن حمصيصة قال لطريف «إني أرجو أن أقتلك وكان العرب لا تقتل في الشهر الحرام فتعاهدا إن التقيا بعد يومهما في غير أشهر الحرم أن لا يفترقا حتى يقتل أحدهما صاحبه أو يقتل دونه»[٤].

ويذكر لنا الأصفهاني صورة أخرى من صور الأمن في الأشهر الحرم في قصة عبد الله ابن عجلان الذي أراد أن يذهب إلى ديار بني عامر كي يرى حبيبته وكان بينهم وبين قومها ثأر «فمنعه أبوه وخوفه الثأر وقال له نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو مكة»[٥].

ونتيجة لهذه الحرمة، لم يكن أحد ليستطيع أن يكره أحداً أو يغتصب شيئاً في سوق عكاظ[٦] ، ولغرض تأمين حرمة هذه الأشهر وضمان عدم القتال في هذه الأسواق كانت

(١) وقيل في سبب تبرقعهم أنهم «كانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم همّ غيرهم». انظر الجاحظ البيان ٣/ ١٠٠ و١٠١. «وقيل مخافتا لثؤرة». انظر ابن حبيب، أسماء المغتالين و٢١٨/٦ (منشورة ضمن نوادر المخطوطات).

(٢) يروي ابن الإعرابي أن طريف «كان يسمى ملقي القناع لأنه أول من ألقى القناع بعكاظ وقال: من شاء فليطلبني. ابن الإعرابي أسماء خيل العرب»، ص٤٥. انظر الأصمعي، الأصمعيات، ص١٢٧ (هامش).

(٣) ابن عبد ربه، العقد ٥٦/٦. الجاحظ، البيان، ٣/ ١٠٠، ١٠١. ابن حبيب أسماء المغتالين، ٢١٨/٦، ٢١٩. السمعاني، الأنساب، ٥٨/١. الكوفي، الفاخر، ١٩٦، ١٩٧. ابن سعيد، نشوة، ٤٢١/١. انظر الرشيد، سوق عكاظ، ص٣٥.

(٤) السمعاني، الأنساب ٥١/١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٠٤/١٩ و ١٠٥. انظر الرشيد، سوق عكاظ، ٣١.

(٦) السكري، شرح أشعار، ٤٧، ٤٨.

العرب «إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردها عليهم إذا ظعنوا »[(١)].

ومما ساعد أيضاً في تأمين قدر أكبر من الأمن في الأشهر الحرم هو تشدد قريش في دينها[(٢)]. وتعظيمها لهذه الأشهر، فابتدعت نتيجة لذلك رأى «الحمس»[(٣)] الذي أسهم في ازدياد نفوذ وهيبة مكة في المجتمع القبلي،[(٤)] فضلاً عن وجود عادات وطقوس خاصة - لمن دان بهذا الرأي - يؤدونها خلال الإحرام والتي تميزت عن بقية القبائل[(٥)] إلا أن هناك ما يشير إلى وجود علاقة بين رأى الحمس وبين الحياة الاقتصادية في مكة، وتأتي هذه العلاقة من خلال كون قريش والقبائل التي دانت معها بهذا الرأي كانوا يعظمون الأشهر الحرم[(٦)]، قال ابن هشام عن الحمس أنه «رأى راؤه وأداروه فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس، والحمس أهل الحرم»[(٧)]، وقال الجاحظ: « وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين فتركوا الغزو كراهة للسبي واستحلال الأموال واستحسان الغصوب، فلما تركوا الغزو لم تبق مكسبة سوى التجارة»[(٨)]. وقال الأزرقي: أنهم كانوا يقولون: «نحن أهل الحرم لا نخرج من الحرم، ونحن الحمس،

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٦. انظر الرشيد، سوق عكاظ ص٣١.
(٢) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩.
(٣) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٩٩.
(٤) كستر، الحيرة، ص٦٠.
(٥) م.ن، ص٦١.
(٦) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٠.
(٧) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٩٩.
(٨) العلي، الجاحظ، وكتابه في البلدان، ص٤٧٢.

فتحمست قريش ومن ولدت فتحمست معهم هذه القبائل فسميت الحمس، وإنما سميت الحمس حمساً للتشديد في دينهم فالأحمسي في لغتهم المتشدد في دينه»[١]. ويستخلص (كستر) من خلال الروايات التي تحدثت عن الحمس فكرة بسيطة مفادها أن «المبدأ الأساس للحمس هو عدم انتهاك منطقة الحرم وحياد مكة»[٢].

وبناء على هذا الرأي (الحمس) فإن قريشاً أسهمت بشكل كبير على جعل الكثير من القبائل العربية تحترم الأشهر الحرم[٣]، مما أدى إلى نشر الأمن والاستقرار والذي بدوره ساعد على ازدهار حركة التجارة في المنطقة.

ومن الضروري أن نتعرف على القبائل التي قبلت نظام الحمس مع قريش ومناطق سكناها لنكون أمام صورة واضحة تبين لنا مدى اتساع المنطقة التي ساد فيها الأمن. وقد اختلفت المصادر في تحديد هذه القبائل فذكر ابن هشام كنانة وخزاعة وبني عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن[٤]، ويروي الأزرقي عن ابن إسحاق عن الكلبي عن ابن عباس أنهم «قريش وكل من ولدت من العرب وكنانة وخزاعة والأوس والخزرج، وجشم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وازدشنؤة، وجذم، وزبيد، وبنو ذكوان من بني سليم، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان ، والغوث، وعدوان، علاف وقضاعة»[٥]. أما ابن حبيب فيورد قائمة مطولة ذكر فيها قريشاً وخزاعة، وكل من ولدت قريش من العرب وكل من نزل مكة من قبائل العرب، فمن ولدت قريش: كلاب وكعب، وعامر، وكلب بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمهم مجد بنت تيم بن غالب بن فهر ، والحارث بن عبد مناة بن كنانة ، ومدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، وعامر بن عبد مناة بن كنانة ومالك، وملكان، ابنا كنانة، وثقيف وعدوان ويربوع بن حنظلة ، ومازن بن مالك بن تميم، وأمهما جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر، ويقال ان بني عامر كلهم حمس لتحمس أحوتهم من بني ربيعة بن عامر وعلاف، وخباب بن هبل بن عبد الله بن كلب،

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨١.
(٢) كستر، الحيرة، ص٦٩.
(٣) العلي، محاضرات، ص١١٤.
(٤) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص٢٠٠.
(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٧٩.

وأمه آمنة بنت ربيعة بن عامر صعصعة، وأمها مجد بنت تميم الأدرم بن غالب بن فهر[١].

ويلاحظ (كستر) من خلال قائمة ابن حبيب للقبائل التي دانت بالحمس أنهم ينتمون إلى أصول مختلفة وقبائل متعددة سكنت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، فثقيف سكنت جنوب شرق مكة وكنانة في الجنوب حيث تسيطر على طريق مكة- اليمن، وعامر بن صعصعة في شمال شرق مكة، وقضاعة (كلب) في الشمال تسيطر على طريق التجارة إلى سوريا، ويربوع ومازن (أي تميم) على طريق الحيرة وفارس[٢].

على الرغم من هذا الاختلاف فقد ارتبطت هذه القبائل بموجب هذا النظام بمصلحة مشتركة هي حماية طرق التجارة الواردة إلى مكة.

وربما لم يكن تحمس هذه القبائل التي تقع على طرق التجارة المهمة مجرد رغبة منها بالتشديد في دينها حسب، وإنما جاء أيضاً رغبة منها للحصول على مكاسب اقتصادية نتيجة حمايتها للطرق التجارية التي تمر بها[٣]. ومن هنا جاء المغزى الاقتصادي لنظام الحمس الذي تحدث عنه كستر[٤].

وفضلاً عن الحمس فثمة فئة ثانية تسمى الحلة، وثالثة تسمى الطلس، شملت القبائل التي لم تتحمس[٥].

ومع كل ما اتخذته قريش من اجراءات لحماية الأمن، لم تستطع من جعل كل القبائل تحترم الأشهر الحرم، فقد كان قسم منها لا يقيم وزناً للأشهر الحرم ولم يتورع من ارتكاب المظالم فيها، مما كان يشكل خطراً جسيماً على أمن مكة وتجارتها.

ولتقسيم اليعقوبي للقبائل العربية إلى محلين، وذادة محرمين، علاقة بموقف هذه القبائل من الأشهر الحرم وبالتالي مساهمتها في حماية الأمن والقوافل التجارية[٦].

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٨، ١٧٩.
(٢) كستر، الحيرة، ص٦٢، ٦٣.
(٣) انظر ص١٥٩، من هذه الرسالة.
(٤) كستر، الحيرة، ص ٧١.
(٥) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩، ١٨١، وذكر ابن حبيب في نفس الصفحة أن قبائل الطلس هي: «سائر أهل اليمن وأهل حضرموت وعك وعجيب وإياد بن نزار».
(٦) انظر كستر، الحيرة، ص٧٣.

والمحلون هم الذين «يستحلون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق»[١].

أما الذادة المحرمون فهم القبائل التي أنكرت ما كان يقوم به المحلون حيث يقول اليعقوبي: « كان فيهم [أي القبائل العربية] من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر»[٢].

فالقبائل من القسم الأول هم « قبائل من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة من كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة » أما قبائل القسم الثاني « فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد بن مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة»[٣].

وقد أشار الأزرقي لهذا القسم (ذادة محرمين محلين) وإن لم يسمهم بهذه التسمية، فقد ذكرهم ضمناً عند حديثه عن نسيء الشهور فقال: «فكان سائر العرب من الحلة والحمس لا يعدون في الأشهر الحرم على أحد . . » إلا خثعم وطيء فإنهم كانوا يعدون في الأشهر الحرم»[٤] . وبهذا يشمل الذادة المحرمين قبائل الحلة والحمس.

كما ذكر ابن حبيب المحلين فقال: « إنهم طيء وخثعم لا يحرمون الأشهر الحرم»[٥]، وقد زاد الجاحظ على هذه القبائل «عدة عشائر من قضاعة ويشكر والحارث بن كعب»[٦].

ويبدو أن المحلين كانوا يعترضون طريق التجار فقد ذكر المرزوقي أن «الداج وغيره إذا أم البيت وليس له علم بذلك ولا هو في سيماء الحرم أخذ المحلون ما معه»[٧]، ولم يخف الناس قلقهم من هذا وذلك من خلال قيامهم ببعض التعاويذ حيث ذكر المرزوقي عن ابن المنذر عن أبيه: «كان الرجل إذا خرج من بيته حاجاً أو داجاً، والداج التاجر في الشهر

(١) اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠.
(٢) م.ن ١/ ٢٧٠، ٢٧١.
(٣) م.ن، ١/ ٢٧١.
(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٤.
(٥) ابن حبيب ، المحبر، ص٣١٩. وانظر المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٦.
(٦) الجاحظ، الحيوان ٧/ ٢١٦.
(٧) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٦٧.

الحرام أهدى وأحرم ثم قلد وأشعر فيكون ذلك أماناً له في المحلين، وكان الداج إذا انفرد وخشي على نفسه ولم يجد هدياً قلد نفسه بقلادة من شعر أو وبر وأشعر نفسه بصوفة فيأمن بها إذا صدر نفسه من مكة تقلد من لحاء شجر الحرام»[١].

ولغرض الحد من تصرف المحلين الذي بات يشكل خطراً على تجارة مكة، فقد تبرع قسم من القبائل (الذادة المحرمين) للدفاع عن الناس في هذه الأسواق من ظلم المحلين وتعدياتهم، ولهذا سمح لهم بحمل السلاح في الأشهر الحرم[٢]، خلافاً لبقية القبائل خاصة بعد أن أحل القائم بأمر نسيء الشهور دماء المحلين[٣]، وقتالهم في الأشهر الحرم[٤].

وكانت هذه القبائل تحصل -مقابل هذه الحماية- على مبالغ كبيرة كان يدفعها لهم هاشم ابن عبد مناف هي عبارة عن قسم من أرباحه في التجارة التي كان يقم بها في رحلتيه إلى الشام واليمن، حمله لمتاعهم وتجارتهم معه ليكفيهم مؤونة الأسفار[٥]، والقسم الأخر من المبالغ التي كان هاشم يدفعها لهذه القبائل «يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة»[٦] وهذا ما ستتحدث عنه عند الحديث عن الإيلاف.

ب- المصالح الاقتصادية تثير حرب الفجار:

على الرغم من حرص قريش وسائر العرب في المحافظة على الأمن والاستقرار في مواسمها، إلا أن هذا لم يمنع من حدوث حالات خرق لهذا الأمن، وخير مثال لذلك الحرب التي عرفت بالتاريخ العربي باسم حرب الفجار، وهي من أيام العرب المشهورة، قال فيها خداش بن زهير العامري:

فلا توعدني بالفجار فإنه ... أحل ببطحاء الحجون المحارما[٧]

---

(١) م.ن، ٢/١٦٦، ١٦٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٧١.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٨٤.

(٤) المرزوقي، الأزمنة، ١/١٦٧.

(٥) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧٠. الثعالبي، ثمار، ص٨٩. انظر كستر، الحيرة، ص٤٧.

(٦) الجاحظ، رسائل، (رسالة في فضل هاشم) ص٧١، وانظر كستر، الحيرة، ص٧٣.

(٧) المسعودي، التنبيه، ص١٧٩.

وقد وصلت شهرتها إلى أن قسماً من العرب من كان يؤرخ بها[١] .

وسمت قريش هذه الحرب بحرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم[٢]، تلك الأشهر التي كانت قريش وسائر العرب «يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم أو يغير بعضهم على بعض لأنها أشهر حرم وإنما سمي الفجار لما صنع فيه من الفجور»[٣]، وقال ابن اسحاق : «وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس من المحارم بينهم»[٤]، وبسبب هذا التعظيم، ٱستغلت قريش فيما بعد، تعرض السرية التي بعثها الرسول ﷺ إلى نخلة بأمرة عبد الله بن جحش لعير قريش وقتل عمرو بن الحضرمي فقالت: « استحل محمد القتال في الشهر الحرام »[٥]. فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ونشبت هذه الحرب بين «قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان»[٦]، التي استمرت أربعة أعوام متواليات[٧]، واختلفت الروايات في تحديد زمن وقوع هذه الحرب، فقال ابن هشام عن أبي عبيدة: « فلما بلغ رسول الله ﷺ اربع عشرة أو خمس عشرة سنة. . . هاجت حرب الفجار»[٨]. وقال ابن إسحاق: «هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة»[٩]. وقال غيره: «بل شهدها وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة»[١٠]، وقال ابن هشام:

(١) م.ن، ص١٧٨.

(٢) ابن هاشم السيرة، ق١/ ١٨٥. المسعودي، مروج، ٢/ ٢٨٦.
الميداني، مجمع الأمثال ٢/ ٣٩٧.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٢٧٥. وانظر اليعقوبي، ، تاريخ ٢/ ١٥. ابن عبد ربه، العقد ٦/ ٨٦.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٨٦. ابن الأثير، الكامل، ١/ ٥٩.

(٥) البلاذري، أنساب، ١/ ٣٧٢. اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٦٩. المسعودي، التنبيه، ص ٢٠٣.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٨٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٣. المسعودي، مروج، ٢/ ٢٨٦.

(٨) ابن هشام، السيرة، ق١/ ١٨٤. الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٤، ٧٥. النويري، نهاية الأرب، ١٥/ ٤٢٥.

(٩) ابن هشام، السيرة، ق١/ ١٨٦. اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٦. ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨١. الطبري، تاريخ، ٢/ ١٨٧.

(١٠) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٥.

«شهد الرسول ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله ﷺ : كنت أنبل على أعمامي: أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها»[١]. ، وهذا يعني أن الرسول ﷺ كان قد بلغ من العمر ما يمكنه من أن يرد النبل عن عمامه، وربما أن من قال أن حرب الفجار هاجت والرسول ﷺ عمره عشرون سنة قد اعتمد على هذه الرواية، لكن الجاحظ يفسر عبارة « أنبل على عمومتي» بأنه يريد بها «أجمع لهم النبل»[٢]، وهذا يرجع الرواية التي حددت عمر الرسول ﷺ بأربع عشرة سنة، يقول الأصفهاني: « شهد الرسول ﷺ ذلك اليوم مع قومه وله أربع عشرة سنة وكان يتناول عمومته النبل»[٣]. أي أن الرسول ﷺ كان غلاما لا يقدر على النبل مع عمومته ومما يؤيد ذلك ما ذكره اليعقوبي من أن الرسول ﷺ قال: « شهدت الفجار مع عمي أبي طالب وأنا غلام»[٤]. ومهما تكن هذه الاختلافات فقد ثبت أن الرسول ﷺ قد شهد جانباً منه، روى ابن سعد أن حكيم بن حزام قال: « رأيت رسول الله ﷺ بالفجار قد حضره»[٥].

وسئل الرسول ﷺ عن مشهده، فقال: «ما سرني أني لم أشهده، إنهم تعدوا على قومي وعرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم فأبوا»[٦].

وقيل أن حروب الفجار أربعة، الأول: يعرف بفجار الرجل وهو بدر بن معشر، والثاني الفجار المعروف (بالرباح) وهو الفرد، والثالث فجار المرأة القيسية ، والرابع فجار البراض وهو أعظمها[٧]. بينما يذكر الأصفهاني أنها فجاران « الأول كانت الحرب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم تشتهر به، وأما الفجار الثاني فإنه كان أعظمها لأنهم استحلوا فيه الحرم»[٨].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٨٦ . ابن كثير، السيرة، ١/ ٢٥٦.

(٢) الجاحظ، البيان، ٣/ ٢٩٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٤، ٧٥. وانظر النويري، نهاية الارب، ١٥/ ٤٢٥.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٦. الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص ٧٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٨١.

(٧) المسعودي، التنبيه، ص ١٧٩.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٣،٧٤.

ويمكن اعتبار أن هذا التقسيم هو الأصح على أساس أن الفجار الأول لم يستمر طويلاً ولم يحدث فيه قتال كبير، على العكس من الفجار الثاني الذي استمر -كما ذكرت سابقاً- أربع سنوات متواليات، وأدى إلى الحروب التي تلونت بصبغة اقتصادية اعتبرها الأفغاني «نزاعاً على النفوذ التجاري والأدبي بين قريش وأحلافها وبين هوازن»[1]. كما سنرى.

الفجار الأول:

كانت الحرب فيه ثلاث مرات، أما المرة الأولى فسببها أن « بدر بن معشر الغفاري . . . كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ، باسطاً رجليه يقول أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز مني، فوثب رجل من بين نصر بن معاوية يقال له الأحمر بن مازن فضربه بالسيف على ركبتيه فأندرها»[2] وكاد أن يقع بينهما قتال، لكنهما تراجعا عن ذلك ولم يقتتلا[3].

أما المرة الثانية فسببها أن شباباً من قريش وبني كنانة اعتدوا على امرأة من بني عامر وهي في سوق عكاظ فاستغاثت بآل عامر «فثاروا وحملوا السلاح وحملته كنانة واقتتلوا قتالا شديداً ووقعت دماء، فتوسط حرب بني أمية واحتمل دماء القوم وأرضى بني عامر»[4]. أما المرة الثالثة فكان سببها أنه كان لرجل من بني جشم[5]، بن بكر بن هوازن دَين على رجل من بني كنانة فماطله به ولم يعطه حقه فوافى الجشمي سوق عكاظ بقرد « ثم جعل ينادي من يبيعني مثل هذا الرباح بمالي على فلان بن فلان الكناني، رافعاً صوته بذلك فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة مر به رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله فهتف به الجشمي يا ال هوزان، وهتف الكناني يا ال كنانة فتجمع الحيان حتى تحاضروا ولم يكن بينهم قتال»[6].

(١) الأفغاني، أسواق العرب، ص ١٦٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٤. وانظر ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٣) جاد المولى، أيام العرب، ص ٣٢٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١/ ٧٤. ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٩، ١٩٠، ابن عبد ربه، العقد، ٦/ ٨٨.

(٥) هو أوس بن الحدثان النصري، انظر ابن حبيب، المنمق، ص ١٨٦.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٤. قارن ابن حبيب ، المنمق، ص ١٨٦. ابن عبد ربه ، العقد، ٦/ ٨٨و ٨٩. ابن الأثير، الكامل، ١/ ٥٨٨.

الفجار الثاني:

وهو الفجار الأخطر، لما كان له من تأثير بالغ على تجارة مكة بصورة خاصة والحياة الاقتصادية في شبه جزيرة العرب بصورة عامة، ويتمثل هذا التأثير بعدم قيام الأسواق في تلك السنة التي وقعت بها حرب الفجار[١]، ولذلك لم تكن قريش ترغب في الدخول بهذه الحرب[٢]، قال الأصفهاني: «ولم يكن لقريش في أولها مدخل ثم تحققت»[٣]، وهذا يعني أنها دخلت الحرب مضطرة، فلم يشهدها من بني هاشم غير الزبير بن عبد المطلب[٤]، الذي دخلها مضطراً ،لأن أبا طالب منع أن يكون فيها أحد من بني هاشم وقال لهم: «هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحد من أهلي»[٥]. ولذلك خرج الزبير بن عبد المطلب مستكرهاً، لأن عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية قالا: «لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم، فخرج الزبير»[٦].

ونستدل على عدم رغبة قريش في هذه الحرب هي محاولتها دون وقوع القتال في حينه فطلبت على لسان حرب بن أمية من عبد الله بن جدعان عدم تسليمه السلاح لهوازن[٧]، لكن محاولتها هذه باءت بالفشل أمام إصرار ابن جدعان بالوفاء بعهده، حيث نراه يقول لحرب: «أبا لغدر تأمرني يا حرب والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً... ثم صاح ابن جذعان في الناس: من كان له قبلي سلاح فليأت وليأخذه فأخذ الناس أسلحتهم»[٨].

وهذا الطلب في حقيقته ليس خوفاً من القتال ، لكنه محاولة من قريش لاستمرار قيام

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨١. ابن حبيب، المنمق، ص ١٩٨.
(٢) انظر الأفغاني، أسواق العرب، ص ١٦٢. الرشيد، سوق عكاظ، ص ٦٢.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٣.
(٤) م.ن. ١٩/ ٨١.
(٥) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٥.
(٦) م.ن.
(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٩.
(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٩.

السوق والحيلولة دون تأثير الحرب عليها، لعدم إمكانها الاستغناء عن التجارة فيها، خاصة وأن أغلب قريش قوم تجار[١]، لا كسب لهم إلا من التجارة[٢]، « ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء »[٣].

ولم تكتفي قريش بهذه المحاولة حيث تبعتها بأخرى كان هدفها واضحاً وصريحاً، فهي لم تخف مخاوفها من عدم إقامة السوق وذلك في إخفائها مقتل عروة الرحال عندما سمعت به ، فاجتمعت فيما بينها وقالت: « نخشى من قيس ونخشى ألا تقوم السوق في هذه السنة فانطلقوا بنا إلى أبناء أبي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب فنخبره بعض الخبر ونكتم بعضاً ونقول كان بين أهل نجد وتهامة حدث لم تأتنا لذلك جلية أمر فأحجر بين الناس وأقم السوق، ولا ينصرفن ولم تقم السوق وقد ضربوا إباط الإبل من كل موضع ونقول: كن على قومك ونحن على قومنا فخرجوا حتى جاءوا أبا براء فذكروا له ما أجمعوا عليه أن يقولوا فأجابهم إلى ما أحبوا وقال : أنا أكفيكم ذلك وأقيم السوق»[٤]. لكن قريشاً نفسها لم تأمن لهذا الرأي « فخرجت مولية إلى الحرم»[٥]. ولم تقم تلك السنة سوق عكاظ[٦]. ولذلك اضطرت قريش دخول الحرب إلى جانب كنانة، خوفاً منها على ضياع تجارتها[٧].

أما السبب المباشر لهذه الحرب فهو أن البراض بن قيس الكناني كان فاسقاً فخلعه قومه فخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة، وكان النعمان قد اعتاد أن يرسل في كل عام لطيمة إلى سوق عكاظ تباع وتشترى له بثمنها الأدم والبرود وبضائع أخرى مما كان متوافراً في السوق، فجهر في تلك السنة لطيمة وطلب من يجيزها له «فقال البراض: أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان: إنما أريد رجلاً يجيزها على أهل نجد فقال عروة الرحال. . . وهو

(١) الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٠.
(٢) العلي، الجاحظ وكتابه البيان،ص ٤٧١ .
(٣) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٤٨ . وانظر العسلي، الشورى في مكة، ص ٧٥.
(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .
(٥) م.ن. ص ١٩٧ .
(٦) م.ن. ص ١٩٨ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨١.
(٧) العلي، محاضرات، ص ٢٦٧ .

رجل يومئذ من هوازن: أنا أجيزها أبيت اللعن .فقال له البراض من بني كنانة تجيزها يا عروة قال: نعم وعلى الناس جميعاً، أفكلب خليع يجيزها ثم شخص بها وشخص البراض، وعروة يرى مكانه ولا يخشاه على ما صنع... ووجد البراض غفلة فقتله وهرب... واستاق الركاب»[١]. فوصل الخبر إلى عكاظ، وكانت رغبة قريش كما ذكرت في بداية الحديث عن الفجار عدم حدوث قتال، لكن الخبر وصل هوازن فساروا في أثر قريش فأدركوهم في نخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم فكفوا عن القتال وتواعدوا في مثل هذه الليلة من العام القادم[٢].

وقد اشتهرت قصة فتك البراض بعروة حتى ضرب بها المثل فقيل: «أفتك من براض»[٣].

وقد التقى الجمعان في العام القادم في ثاني يوم من أيام الفجار الذي سمي بيوم شمطة، وكانت الغلبة في أول النهار لكنانة فلما كان آخر النهار صبرت هوازن فانهزمت قريش[٤].

ثم كان اليوم الثالث فالتقى القوم على قرن الحول من منطقة تسمى العبلاء وكان النصر فيها لهوازن[٥].

ثم كان اليوم الرابع وهو يوم عكاظ وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا « وقد حمل عبدالله بن جدعان ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العبلاء فقيد حرب وسفيان وأبو سفين بنو أمية بني عبد شمس أنفسهم وقالوا: لا نبرح حتى نموت مكاننا»[٦]، وكان الظفر أول النهار لقيس فانهزم كثير من قريش وكنانة كبني زهرة وبني عدي وطائفة من بني فراس، وقتل فيه معمر بن حبيب الجمحي، وثبت بقية القبائل كبني أمية وبني عبد مناف وسائر قبائل قريش إلى أن انتصف النهار حيث عاد الظفر

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٧٥. الثعالبي، ثمار، ١٠١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٧٦/١٩. قارن ابن حبيب المنمق، ص١٩١. فما بعد. الثعالبي، ثمار ص١٠١. ابن عبد ربه، العقد، ٨٩/٦، ٩٠.

(٣) العسكري، جمهرة، ٢/ ١١٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٧٧/١٩، ٧٨. ابن حبيب، المنمق، ص٢١٠. ابن عبد ربه، العقد، ٦/ ٩٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني ٧٨/١٩. ابن عبد ربه، العقد ، ٦/ ٩٢.

(٦) الأصفاني، الأغاني، ٧٨/١٩. ابن عبد ربه، العقد ٩٢/٦.

لقريش وكنانة على قيس فقتلوا الكثير من قيس[١].

أما اليوم الخامس فكانت في حرة إلى جنب عكاظ تسمى الحريرة[٢]، من الجهة الجنوبية منه[٣].

ويبدو أن وطأة القتال قد خفت في بداية اليوم، فقد كان «الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجل أو الرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً»[٤]، إلى أن مالوا إلى الصلح على أن يدي من عليه فضل في القتل، الفضل إلى أهله، فلم يوافق وهب بن متعب فحرض هوازن على كنانة فغارت عليها، وكانت الحرب بينهم سجال، قتل فيها الطرفين ما جعلهم يتراضون «بأن يعدوا القتلى فيدوا من فضل فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح فتعاقدوا أن لا يعرض بعضهم لبعض»[٥].

ج- متطلبات النشاط الاقتصادي تؤدي إلى عقد حلف الفضول:

خرج العرب من تجربة حرب الفجار المريرة بنتائج تؤكد تأثيرها السلبي على الحياة الاقتصادية بصورة خاصة وعلى مجمل الحياة السياسية والاجتماعية بصورة عامة، وعلى الرغم من ذلك، إلا أنه لم يزل هناك ما يعكر صفو الأمن ، ويعرقل ازدهار التجارة ونموها في الأسواق، من حالات ظلم واستهانة بالضعفاء الذين كانوا يأمون هذه الأسواق لغرض التجارة من قبل بعض المتنفذين في مكة عن طريق غبنهم في أثمان بضاعتهم ، ومماطلتهم بالديون[٦].

وهكذا شعر القرشيون والقبائل المتحالفة معهم بضرورة إيجاد سبيل آخر غير الحرب للحد من هذا الظلم، الذي كان من الممكن أن يتطور في أية لحظة ليؤدي إلى حروب أخرى

(١) ابن الأثير، الكامل، ١/ ٥٩٤.
(٢) الاصفهاني، الأغاني، ١٩/ ٨٠.
(٣) الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٣٩٧.
(٤) الأصفهاني، الأغاني١٩/ ٨١.
(٥) م.ن.
(٦) الأفغاني، أسواق العرب، ص١٨٢.

نتائجها معروفة، إن لم يكن هناك ما يسيطر على سلوك هؤلاء المتنفذين. فجاء حلف الفضول نتجية هذا الشعور والمسوؤل عن الحياة الاقتصادية، ليكون خير رادع سياسي واجتماعي، ليردوا فيه الفضول على أهلها وإلا يعز ظالم مظلوماً[١].

قد وصف الأفغاني هذا الحلف بأنه: « حلف تجاري في مقدماته ونتائجه»[٢] لكن مقدماته لا تكمن فقط في السبب الرئيس أو المباشر الذي دعا قريشاً وأحلافها للدعوة عليه، وإنما امتدت مقدماته إلى ما قبل ذلك بكثير فتقديس العرب للأشهر الحرم لم يكن يمثل جانباً دينياً فقط وإنما كان له ارتباط بالحج وعلاقة بالحياة الاقتصادية في مكة[٣] ويوضح هذه العلاقة قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

كما أن تحمس قريش وتشددها في دينها - كما ذكرت- له علاقة بتعظيمها للأشهر الحرم والتجارة فيه، ثم إن حرب الفجار التي قامت لسبب تجاري بحيث كانت نتائجها الاقتصادية خسارة قريش لتجارتها كنتيجة لعدم توفر الأمان ، ولهذا جاء هذا الحلف كما يقول ابن حبيب «منصرف قريش من الفجار»[٤]. كما أن توقيت هذا الحلف في شهر ذي القعدة[٥] جاء تأكيداً لاحترام الحلف للأشهر الحرم، التي لم يكن أحد يأمن على تجارته إلا فيها[٦].

أما السبب المباشر لقيام هذا الحلف فهو أن رجلاً من بني زبيد جاء مكة بتجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل فماطله بحقه وأكثر الزبيدي اختلافه إليه فلم يعطه شيئاً فتمهل الزبيدي حتى إذا جلست قريش مجالسها وقامت أسواقها قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته:

---

(١) ابن كثير ، السيرة، ١/ ٢٥٨.
(٢) الأفغاني أسواق العرب، ص١٨٢.
(٣) العلي، محاضرات، ص٢١٠.
(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٢١٨. وانظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ٨٢. المسعودي، التنبيه، ص١٧٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢. ابن حبيب، المنمق، ص٢١٨.
(٦) الكلاعي، الاكتفاء ١/ ٧٨.

يـا آل فهـر لمظلـوم بضـاعتـه ببطـن مكـة نـائـي الأهـل والنفـر
ومحرم شعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
هل مخفر من بني سهم بخفرته أم ذاهـب في ظلال مـالا معتمر
إن الحـرام لـم تمـت حـرامتـه ولا حرام لثوب الفـاجـر الغدر[١]

ولا شك أن إعلان الزبيدي قد سمعه كل من في عكاظ سواء كان ذلك مباشراً من الزبيدي أم نقلاً عن الآخرين، وهذا يعني شيوع الخبر بين التجار، فيزداد بذلك قلقهم على أرباحهم، التي لم تعد مأمونة الجانب ولا مشجعة لهم خاصة وأنهم يقطعون لأجل ذلك مسافات بعيدة، بل وربما لم يعد يأمنون على تجارتهم كلها، فيؤدي ذلك إلى خسارة كبيرة لهم ولقريش ولهذا خافت قريش على تجارتهم بقول ابن حبيب: «وأعظمت قريش ما قال وما فعل ثم غشوا العقوبة، وتكلمت في ذلك المجالس»[٢].

وقال ابن هشام عن ابن إسحاق : « تداعت قبائل قريش إلى حلف، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد. . . لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنوا المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة: فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً في أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته»[٣].

ولغرض توثيق هذا الحلف وضمان احترامه «عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا إلى الرجل الذي تعدى على الرجل المستصرخ العاص بن وائل أو غيره فقالوا: والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه»[٤].

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٥، ٤٦. قارن المسعودي، التنبيه، ص ١٧٩. المقدسي، البدء، ٤/ ١٣٦ .١٣٧. الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٦. ابن أبي الحديد، شرح منهج البلاغة، ٣/ ٤٦٤. وانظر الأفغاني، أسواق العرب، ص ١٨٣.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٤٦.

(٣) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص ١٣٣، ١٣٤. ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٨٢. الزبيري، نسب قريش، ص ٢٩١. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥٥.

(٤) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٧.

وقد سمت قريش هذا الحلف بحلف الفضول[١]، ولدينا روايات عديدة توضح لنا أسباب هذه التسمية قال الكلاعي: « فقال المطيبون والله لئن قمنا في هذا لتغضبن الأحلاف وقال الأحلاف والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن المطيبون فقال ناس من قريش فلنكن حلفاء فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف فلذلك قيل له حلف الفضول»[٢] وقيل حضره ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة والفضل بن جشاعة والفضل بن بضاعة فسمى بهذا حلف الفضول، وقيل إن هؤلاء الثلاثة حضروا حلفاً لجرهم فسمي حلف الفضول بهم وشبه بالحلف في تلك السنة[٣]، وقيل إنما سمي بحلف الفضول لأنهم تحالفوا على أن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه[٤]، أما الروايات التي يرجحها الثعالبي فهي: « أنه لما كان فيه من الشرف والفضل سمي بحلف الفضول»[٥].

وكانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب ولعبد الله بن جدعان، أما ابن جدعان فلأن الحلف عقد في داره، وأما الزبير فلأنه هو الذي نهض فيه ودعا إليه وحث عليه[٦] ، وذلك أن الرجل من العرب أو غيرها ممن كان يقدم بالتجارة ربما ظلم فيه[٧]، وهو الذي قال فيه:

حلفــت لنعقــدن حلــف علينـا	وإن كنـا جميعـاً أهــل دار
نســميـه الفضــول إذا عقـدنـا	يعـزبـه الغـريـب لـدى الجـوار
ويعـلـم من حـوالـي البيـت أنـا	اباة الضيم نهجر كل عار[٨]

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢. المسعودي، التنبيه، ص١٧٩. ابن كثير، السيرة، ١/ ٢٦١.

(٢) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٧. وانظر ابن حبيب، المنمق، ص٤٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٨. وانظر الثعالبي، ثمار، ص١١٠، ويسمون أيضاً «الفضل وفضال والفضيل» وانظر الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٨.

(٤) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٨، وانظر الافغاني، أسواق العرب، ص١٨٥.

(٥) الثعالبي، ثمار، ص١١٠.

(٦) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧٢، قارن ابن حبيب، المنمق، ص٢١٨. ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢. ابن كثير ، السيرة، ١/ ٢٥٩.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص٢١٨.

(٨) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧٢. قارن المسعودي، التنبيه، ١٧٩.

وبذلك لم يسبق أحد بني هاشم بهذا الحلف[١]، فهو أشرف حلف كان في العرب كلها، وأكرم عقد عقدته قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام[٢]، شهده رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه[٣] بخمس سنين[٤]، قال ابن حبيب: «سمعت حكيم بن حزام يقول: «كان حلف الفضول . . . ورسول الله ﷺ يومئذ ابن عشرين سنة وبينه وبين الفيل عشرون سنة»[٥].

وقيل أنه ﷺ يوم كان حلف الفضول قد جاوز العشرين من عمره[٦].

وفي رواية عن ابن إسحاق عن طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري: «قال رسول الله ﷺ لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبت»[٧].

ومن العناصر التي تضيف لهذا الحلف قوة سياسية أن أحكامه كانت تسري على الجميع «شريف أو وضيع سواء كان من قريش أم من غيرها»[٨].

ونستطيع أن نتبين نتائج هذا الحلف من خلال تمتعه بسلطة تنفيذية كبيرة وصلت إلى الحد الذي يجعل الظالم يعيد للمظلوم حقه بمجرد التهديد به، كما حدث لرجل من ثماله «عندما باع سلعة من أبي بن خلف فظلمه وفجر به فأتى أهل حلف الفضول فأخبرهم فقالوا له: اذهب إليه فاخبره أنك أتيتنا فإن أعطاك حقك وإلا فارجع إلينا، فأتاه فقال له: إني قد أتيت حلف الفضول فأخرج له أُبي حقه فأعطاه إياه»[٩].

وبسبب نجاح هذا الحلف في حل المنازعات فقد سما على كل الأحلاف. وكل

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢.
(٢) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧١. وانظر ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢.
(٣) الثعالبي، ثمار، ص١١٠.
(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٤٦.
(٥) م.ن، ص٢١٨، وانظر ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٨٢.
(٦) اليعقوبي، تاريخ، ٢/١٧.
(٧) ابن هشام، السيرة، ١/١٣٤. الكلاعي، الاكتفاء، ١/١٤٧، ١٤٨.
(٨) ابن حبيب، المنمق، ص٤٦.
(٩) م.ن، ص٤٧، ٤٨.

الانتماءات حتى القبلية منها فهذا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتمنى لو أنه دخل فيه فيقول: « لو أن رجلاً خرج مما عليه قومه لدخلت في حلف الفضول لما أرى من كماله وشرفه ولما أعلم من قدره وفضيلته»(١).

ولدينا ما يشير أيضاً إلى أن سلطة الحلف التنفيذية كانت أقوى من سلطة القبائل - بما فيها قريش- على حل المنازعات، ونصرة المظلوم، وكانت قريش إذا جاءها مظلوم يسألها رد مظلمته ولم يكن باستطاعتها ذلك نتيجة مكانة الظالم في قومه دفعت المظلوم إلى حلف الفضول(٢).

لقد ظل تأثير هذا الحلف سارياً حتى بعد مجيء الإسلام، بل إن الإسلام زاده قوة وتشديداً، يروي ابن أبي حديد أن النبي ﷺ قال: « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت له اليوم لأجبت، لا يزيده الإسلام إلا شدة»(٣)، وروى ابن هشام أن الرسول ﷺ قال: « ما كان من حلف في «الجاهلية» فإن الإسلام لم يزده إلا شدة»(٤).

ومن المنازعات التي حدثت في الإسلام كان لحلف الفضول دور في حلها، قصة الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) والوليد بن عتبة بن أبي سفيان أمير المدينة من قبل معاوية ، التي يرويها لنا ابن هشام فيقول: «حدثت منازعة في مال كان بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين رضي الله عنه في حقه، لسلطانه، فقال الحسين: احلف بالله لتنصفني في حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ، ثم لأدعون بحلف الفضول ، قال: قال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال الحسين رضي الله عنه ما قال، وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف

(١) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧١. انظر الكلاعي، الاكتفاء، ١/١٤٩،١٥٠.

(٢) انظر ابن حبيب ، المنمق،ص٣٤١، ٢٤٢. الجاحظ، رسائل (رسال في فضل هاشم) ص٧٣. (قصة الرجل الخثعمي وبنيه بن الحجاج).

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٦٤. وانظر الزبيري، نسب قريش، ص٢٩١.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق١ ،ص١٣٢. الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٤٥.

من حقه أو نموت جيمعاً قال: فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمي فقال مثل ذلك، فلما بلغ الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي»[١].

وبهذا نرى دور حلف الفضول الواضح في استتباب الأمن مما يساعد على ازدهار التجارة ونشاطها في الأسواق.

د- أثر الإيلاف في ازدهار التجارة:

يعتبر الإيلاف نقطة تحول خطيرة في حياة مكة الاقتصادية، فصلت بين مرحلتين مختلفتين، حيث كانت قريش كما يقول ابن حبيب: «تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وأن يتقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم، ويبيعون من حولهم من العرب»[٢]. ولكن هذا لا يعني أن قريشاً لا تتعامل إلا بالبضائع التي يقدم بها الأعاجم، فالعكس من ذلك هو الصحيح، إذ كان يرد مواسم قريش أناس من كل أوب حجاجاً وتجاراً وفي رواية للثعالبي تعد أكثر وضوحاً في بيان أسباب عدم خروج قريش من حرمها فيقول: «كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها من مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ في الأشهر الحرم ولا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والإلف لبيتهم ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم»[٣].

لهذه الأسباب كانت تجارة قريش محدودة بهذا الإطار الضيق، لأنه وإن كان حجم ما يرد إلى هذه الأسواق من البضائع كبيراً، إلا أنه يبقى محدداً بما يأتي به التجار فلم تكن لقريش يد في تحديد أنواع البضائع، ولكن بعد أخذ الإيلاف تغيرت حال قريش وغدت مكة مركزاً تجارياً مهماً، بعد أن كانت مركزاً صغيراً لتوزيع البضائع على القبائل المجاورة[٤]،

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٣٤، ١٣٥. ابن كثير، السيرة، ١/ ٢٦١-٢٦٢، الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ١٤٨-١٤٩.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٣١، ٣٢. القالي، ذيل الأمالي، ص٢٠٤. الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٢٠٧، ٢٠٨. وانظر كستر، الحيرة، ص ٤٣.

(٣) الثعالبي، ثمار ص ٨٩. وانظر كستر، الحيرة، ص ٤٦.

(٤) كستر، الحيرة، ص ٤٨.

فأصبحت قوافلها التجارية تتحرك بأمان إلى مختلف البلدان، فجاءت بخيرات الشام واليمن والحبشة[(١)]، فاتسعت تجارتها وزادت أرباحها[(٢)].

لقد تعزز ذلك بخروج هاشم بن عبد مناف إلى الشام ونزل بجوار قيصر، وأظهر من الكرم ما أظهر، فقد كان يذبح كل يوم شاة ويصنع منها جفنة ثريد، فيأكل منها كل من حوله، حتى وصلت أخباره إلى قيصر، الذي أعجب به بعد أن شاهده وكلمه، ولما توثقت علاقته بقيصر قال له هاشم: «إن لي قوما وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم»[(٣)].

كان على هاشم بعد أن أخذ كتاب الأمان من قيصر أن يؤمن طريق المواصلات بين مكة الشام، إذ لا فائدة من الاتفاق وإغفال القبائل التي كانت قد تقطن على الطريق، لذلك فإن هاشماً ما أن اتفق مع قيصر حتى أقبل بذلك الكتاب «فجعل كلما يمر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً»[(٤)].

لقد كان الاتفاق مع أشراف العرب مساوياً في الأهمية إن لم يزد على اتفاقه مع القيصر وذلك لتأمين سلامة القوافل التجارية من قطاع الطرق ومن بعض القبائل الذين يعتبرون «أعداء» على حد تعبير الثعالبي الذي يذكر خصلتين لإقدام هاشم بن عبد مناف على أخذ الإيلاف من رؤساء القبائل سادات العشائر الأولى، «إن ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم، والخصلة الأخرى أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً كبني طيء وخثعم وقضاعة»[(٥)].

---

(١) الثعالبي، ثمار، ص ٩٠.

(٢) القالي، ذيل الأمالي، ص ٢٠٥.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٣.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢، ٣٣. وانظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١/ ٤٥. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٣. القالي، ذيل الأمالي، ص ٢٠٤. الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٢٠٨.

(٥) الثعالبي، ثمار، ص٨٩. وانظر الجاحظ رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧١.

قد تكون مصلحة قيصر في هذا الاتفاق هو وصول البضائع إلى بلاده بأسعار رخيصة حسبما كان الاتفاق مع هاشم بن عبد مناف، وربما كانت هناك ضرائب أخرى، لكن ما الذي تجنيه القبائل من اتفاقها مع هاشم بن عبد مناف؟ لقد صور الجاحظ هذا الاتفاق بصورة الشراكة فقال: «وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب.. فجعل لهم معه ربحاً يربح وساق لهم إبلاً مع إبله فكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً»[1].

ثم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن « فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ.. وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش ثم أخذ الإيلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة.. وخرج نوفل بن عبد مناف ... إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة»[2].

وبذلك تكون قريش قد أمنت على سلامة تجارتها الخارجية مع الدول المعروفة آنذاك.

لقد كانت دوافع هاشم بن عبد مناف بأخذ كتب الأمان (الإيلاف) دوافع اقتصادية بحتة، ويوضح لنا ما ذكره السيوطي في تفسيره لسورة قريش، الوضع الاقتصادي المتردي الذي كانت تعيشه مكة قبل الإيلاف مما دعا البعض ممن أخذ منه الفقر كل شيء إلى ممارسة ما أطلق عليه تسمية «الاحتفاد» وهو: «ان أهل البيت منهم كانوا إذا سافت يعني هلكت أموالهم خرجوا إلى برار من الأرض فضربوا على أنفسهم الأخبية ثم تنادوا فيها حتى يموتوا من قبل أن يعلم بجلتهم أحد»[3].

(١) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧٠، ٧١. الثعالبي، ثمار، ص٨٩، ٩٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥٤. وانظر كستر، الحيرة، ص٤٧.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥، وانظر القالي، ذيل الأمالي، ص٢٠٤، ٢٠٥. البلاذري، أنساب ١/ ٧٩. ابن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء، ص٦٧.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٩٧. وانظر كستر الحيرة، ص٥٠.

إذن كان الوضع الاقتصادي في مكة في غاية الخطورة، وبات يهدد الحياة البشرية، وبناء على ذلك وضع هاشم بن عبد مناف تصوراً شاملاً، للحل الذي يقطع دابر الاحتفاد الذي أصبح وبالاً على مكة، وفي محاولة منه لإنعاش الفقراء عمد إلى إشراك الفقراء مع الأغنياء فقال مخاطباً قريشاً « رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فاعمد إلى رجل غني فأضم إليه فقيراً عياله بعدد عياله يوآزره في المرحلتين، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظله، وكان ذلك قطعاً للاحتفاد، قالوا: نعم ما رأيت فألف بين الناس»[(١)] وهذا ليس فقط محاولة من هاشم بن عبد مناف لإصلاح أوضاع الفقراء ، إنما يعد إجراءً شاملاً الهدف منه إصلاح اقتصاد مكة برمته، ولكي تكون هذه التجارة بالحجم الذي صوره لقيصر حين أخذ منه كتاب الأمان، وهذا هو السبب الذي دعا هاشم بن عبد مناف إلى إشراك رؤساء القبائل في تجارته وتقسيم الأرباح بينهم، لأن إشراك عدد أكبر من التجار في القافلة يزيد من رأسمالها وأرباحها، فيزداد حرص القبائل على سلامتها، وبذلك تتسع قاعدة الأمن، فتنتقل التجارة من تجارة فردية إلى تجارة جماعية، ولهذا السبب نفر أهل مكة لنجدة القافلة التي كان أبو سفيان يقودها يوم بدر حين أخبرهم أبو سفيان «أن محمداً وأصحابه معترضون لكم فأجيروا تجارتكم»[(٢)] لأنها كانت تضم كما يقول الطبري أموالاً عظيمة لقريش[(٣)]، فلم يكن أحد من قريش إلا وله فيها نصيب[(٤)]، وقيل إن العير كانت زهاء ألف بعير[(٥)]، ووصلت الأموال الموظفة في إحدى قوافل قريش إلى مئة ألف، حيث ذكر الطبري أن خمس القافلة التي استولى عليها المسلمون في سرية ذي قرد بلغ عشرين ألفاً[(٦)].

لقد كانت من نتائج الخطوة التي أقدم عليها هاشم بن عبد مناف، أن أصبحت العناية بالمحتاجين مبدأ اجتماعياً[(٧)]، فقد ذكر الزبير بن بكار أن حكيم بن حزام قال: «كنت رجلاً

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٦/٣٩٧.
(٢) الطبري، تاريخ ٢/٤٢٢.
(٣) م.ن، ٢/٤٢٧.
(٤) المقدسي، البدء، ٤/ ١٨٥.
(٥) البلاذري، أنساب، ١/٢٨٨.
(٦) الطبري، تاريخ، ٢/٤٩٣، وانظر العلي، محاضرات، ص٩٩.
(٧) كستر، الحيرة، ص٥٣، العسلي، الشورى في مكة، ص٧٥. انظر ص١٨٠، ١٨١ من هذه الرسالة.

تاجراً.. فكنت أربح أرباحاً كثيرة فأعود على فقراء قومي»[١] وكان أيضاً غالباً ما يشرك البعض من تجار قريش في تجارته[٢].

لقد أدت هذه المساعدات التي كان أغنياء مكة يؤدونها إلى فقرائهم إلى تعميق الروابط والمصالح المشتركة بينهم، مما ساعد على زيادة الاستقرار فيها[٣].

إن عظم الفائدة التي أتت قريشاً من جراء ما قام به هاشم بن عبد مناف، جعل البعض ينكر فضل أخوته من بعده ودورهم في الإيلاف فقد قال الجاحظ: «كيفما كان الإيلاف فإن هاشماً كان القائم به دون غيره من اخوته»[٤]، وربما كان ذلك بسبب وقوف هاشم الدائم مع قريش في محنتها الاقتصادية وخاصة في سنوات الجدب والقحط، روى البلاذري عن ابن الكلبي عن عبدالله بن عباس قال: «أصابت قريش سنة ذهبت أموالهم وأقحطوا فيها، وبلغ هاشم ذلك وهو بالشام.. فأمر بالكعك والخبز فاستكثر منها ثم حملا في الغرائر على الإبل حتى وافا مكة فأمرهم بهشم ذلك الخبز والكعك ونحرت الإبل التي حملت، فأشبع أهل مكة وقد كانوا جهوداً» فقال عبد الله بن الزبعرى:

عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

هو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأصياف[٥]

وقال عبد الله بن عباس: «والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العير لهاشم، والله ما شدت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ولا أناخت بعير الحضر إلا بهاشم»[٦].

---

(١) ابن بكار، جمهرة، ١/٣٦٧. ابن عساكر، تهذيب، ٤/٤١٤.
(٢) ابن بكار، جمهرة، ١/٣٧١.
(٣) العسلي، الشورى في مكة، ص٧٥.
(٤) الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٧١.
(٥) البلاذري، أنساب، ١/٥٨. وانظر ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٣٦. الميداني مجمع الأمثال، ٢/٧٢. ابن العربي، محاضرة الأبرار، ٢/١٣١.
(٦) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/٤٥٨. وانظر الزمخشري، الفائق، ١/٥٣.

ولهذا أيضاً قالت تمامة بنت عامر لأهل مكة: «أيها الناس إن بني هاشم سادت فجادت وملكت وملكت، وفضلت، واصطفيت، ليس فيها كدر عيب ولا أقل ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ولا من المغضوب عليهم ولا الضالين، إن بني هاشم أطول الناس باعاً، وأمجد الناس أصلاً، وأعظم الناس حلماً، وأكثر الناس علماً وعطاءً»[١].

ولهذه الأسباب ذكرت المصادر أن هاشم بن عبد مناف أول من سن الرحلتين لقريش[٢]، ترحل أحداها في الشتاء إلى اليمن والحبشة، والأخرى في الصيف إلى غزة[٣]، فأتى قومه كما يقول الكلاعي: «بأعظم شيء أتوا به قط بركة فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم ليوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب فلم يزل يوافيهم إياه ويجمع بينهم وبين العرب حتى قدم بهم الشام، فهلك هاشم في سفره ذلك بغزة من أرض الشام»[٤].

لقد كان خروج هاشم مع أول قافلة لقريش بعد أخذه الإيلاف ضرورياً، ويبدو أن الهدف من ذلك كان اختباراً لفاعلية كتب الأمان التي حصل عليها ولكي تطمئن قريش وبقية القبائل على أموالها وتجارتها.

لكن هذا كله لا يدعوا لإنكار دور أبناء عبد مناف الآخرين الذين أسهموا في تجديد العهود لقريش، يقول اليعقوبي: « لما هلك هاشم بن عبد مناف جزعت قريش، وخافت أن تغلبها العرب، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة يجدد بينه وبينه العهد . . . وخرج نوفل إلى العراق وأخذ عهداً على كسرى ثم أقبل فمات. . وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف»[٥].

---

(١) ابن العربي، محاضرة الأبرار، ٢/ ١٣١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ق١، ١٣٦. ابن حبيب، المحبر، ص١٦٢. البلاذري، أنساب، ١/ ٥٩. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٣. الطبري، تاريخ ٢/ ٢٥٢. ابن منظور، لسان ٩/ ١٠.
وهناك رأي لابن خلدون يرى أن ذلك « غير صحيح لان الرحلتين من عوائد العرب في كل جيل لمراعي إبلهم ومصالحهم لأن معاشهم فيها وهذا معنى العرب حقيقتهم » انظر ابن خلدون، تاريخ، ٢/ ٣٦٦.

(٣) ابن سعد الطبقات، ١/ ق١/ ٤٣.

(٤) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٢٠٨. وانظر ابن حبيب، المنمق، ص٣٣.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٤.

وبذلك سارت تجارة قريش بالاتجاهات الأربعة المعروفة[١] ، وقال ابن الأعرابي : «أصحاب الإيلاف أربعة أخوة: هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بني عبد مناف، وكانوا يؤلفون الجوار يتبعون بعضه بعضاً يجبرون قريشاً بميرهم.. وقال: فكان تجار قريش يختلفون بحبال هؤلاء الأخوة فلا يُتعرض لهم»[٢].

ولهذا سمي بنو عبد مناف بـ «المجبرين» لأن الله تعالى جبر بهم قريش وأغناها[٣]، وقيل لأنهم مكنوا قريشاً من أمر ينجبرون بفعله[٤]، وقد ضرب الله بهم المثل فقيل: «أقرش من المجبرين»[٥]، ولهذا اتسعت تجارة قريش، وكثرت أموالها. وأصبح بنو عبد مناف «أعظم قريش منة في (الجاهلية) والإسلام»[٦]، قال الشاعر:

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصها لعبد مناف[٧]

وقال فيهم مطرود الخزاعي:

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت إليهم ... ضمنوك من جوع ومن أقراف

الأخذون العهد في آفاقها ... والظاعنون لرحلة الإيلاف

والملحقون فقيرهم بغنيهم ... حتى يعود فقيرهم كالكاف[٨]

(١) ابن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء، ص٦٧.
(٢) ابن منظور ، لسان، ٩/ ١٠. وانظر الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ١/ ١٦٩.
(٣) ابن ظفر الصقلي، انباء نجباء الأبناء، ص٦٧.
(٤) م.ن.
(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ٢/ ٧٢. الزمخشري، المستقصى، ١/ ٢٨٠. العسكري جمهرة الأمثال، ٢/ ١٣٣. ابن سعد نشوة، ١/ ٣٢٨.
(٦) القالي، ذيل الأمالي، ص٢٠٥.
(٧) الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٥٤. وانظر الجاحظ، رسائل (رسالة في فضل هاشم) ص٦٨. البكري، سمط اللآلي، ص٥٤٩. ابن العربي، محاضرة الأبرار، ٢/ ١٣١.
(٨) ابن ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء، ص٦٣، ٦٤.
قارن ابن حبيب، المنمق، ص٣٧،٣٨. البلاذري، أنساب، ١/ ٦٠. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٤. =

وإذا ما نظرنا إلى الروايات التي ذكرت الإيلاف نرى أن المؤرخين استخدموا مصطلحات مختلفة في تسمية الإيلاف[١]، فاستخدم البلاذري كلمة «عصما» فقال: إن هاشماً «أخذ لهم عصماً من ملوك الشام»[٢]، واستخدم الطبري كلمة «العصم» و«الحبل» فقال: « فكان أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا في الحرم، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام والروم وغسان»[٣] ويسميه القالي «عهداً» و«إيلافاً» فيقول: «وخرج عبد المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً. . وأخذا الإيلاف كفعل هاشم»[٤]، وسماه الكلاعي: «كتاب أمان»[٥]، وقد انفرد ابن سعد في تسمية الإيلاف بـ «الحلف» حيث يقول: «كان هاشم رجلاً شريفاً وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر»[٦]، لكن هذا الاستخدام المجرد لكلمة «الحلف» يعطي أكثر من المعنى الاقتصادي الذي قصده هاشم بن عبد مناف حين أخذ الإيلاف، ولم تغب هذه الملاحظة عن المؤرخين الذين أكدوا أن الإيلاف هو: «أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف وإنما هو أمان الطريق»[٧] إلا أن استخدام ابن سعد لكلمة الحلف يمكن أن يبرر إذا ما حددنا نوع هذا الحلف، وفي هذه الحالة يمكن أن نسمي الإيلاف «حلفاً تجارياً»[٨] ، وخاصة وأن الجاحظ قد أشار إلى وجود مصالح مشتركة بين الأطراف التي شملها الإيلاف والتي تحدثت عنها سابقاً.

غير أن هذه الاختلافات في تسمية الإيلاف ، ليست جوهرية وإنما كانت اختلافات لفظية حيث أشارت كتب اللغة إلى أن الإيلاف يعني الحبل أي العهد الذي أخذه هاشم لقومه لأن في العهد ألفة واجتماع وكلمة.

= المسعودي، مروج، ٢/ ٣٣. الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠/ ٢٠٠. البكري، سمط اللآلي، ١/ ٥٤٧. الألوسي، بلوغ ، ٣/ ٣٨٦.

(١) انظر كستر، الحيرة، ص٤٥.

(٢) البلاذري، أنساب، ١/ ٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٥٢. ابن سعيد، نشوة ١/ ٣٢٨. ابن منظور، لسان، ٩/ ١٠.

(٤) القالي، ذيل الأمالي، ص٢٠٤، واظر ابن حبيب، المنمق، ص٢٥. ابن حبيب، المحبر، ص١٦٢. ابن ظفر الصقلي، انباء نجباء الأبناء، ص٦٧ . ابن منظور، لسان، ٩/ ١٠.

(٥) الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٢٠٨.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١ ، ص٤٥.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص٣٣، القالي، ذيل الأمالي، ص٢٠٤. الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٢٠٨.

(٨) الأفغاني، أسواق العرب، ص١٤٧.

قال مساور بن هند يهجو بني أسد:

زعمتم أن إخوتكم قريش   لهم إلف وليس لكم الاف[١]

وفي التنزيل: الإيلاف العهد وشبه الإجازة بالخفارة[٢].

ونتجية لعظمة الإيلاف فقد ذكر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ [سورة قريش].

وهناك تفسيرات مختلفة لهذه الآية الكريمة فقد فسر ابن سعد الإيلاف بأنه «دأب قريش»[٣]، أي سعي قريش بينما فسره المسعودي، على أنه «الأمن»[٤]، أما التفسيرات الأخرى التي تناولت السورة بأكملها فإنها ارتكزت بصورة أساسية على اعتبارين: الأول يرى أن سورة قريش متصلة بالسورة التي قبلها وهي سورة الفيل، وأنه لا فاصل بينهما، وبذلك يكون المعنى عندهم هو: « حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أي لاتلافهم واجتماعهم في بلدهم أمنين»[٥].

ويفهم من هذا أن الإيلاف يعني التجمع والألفة والأمن، وأن رحلة الشتاء والصيف منصوبة بوقوع الإيلاف عليها وتحقيق ذلك كما أشار إليه الطبرسي: «أن قريش كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليهم فيه، وأن يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها، والحرم واد جديب، وإنما كانت تعيش قريش فيه للتجارة، وكانت لهما رحلتان في السنة.. ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام، ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف، فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة»[٦].

ويرى السيوطي أن الإيلاف يعني التراحم والتواصل، وقد أمنهم من الخوف، خوف

---

(١) الزمخشري، الفائق، ١/ ٥٣. ابن منظور، ٩/ ١٠.
(٢) البستاني، محيط المحيط، ١/ ٣٣.
(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١، ص٤٣.
(٤) المسعودي، مروج، ٢/ ٣٣.
(٥) ابن كثير، تفسير، ٤/ ٨٥٧. ابن منظور، لسان، ٩/ ١٠.
(٦) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠/ ١٩٩.

الفيل، وأطعمهم من الجوع، جوع الاحتفاد[١].

وقيل: « فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش مضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنه قال نعمة على نعمة فتكون اللام مؤدية معنى إلى »[٢].

أما الاعتبار الثاني: فيرى أن سورة قريش منفصلة عن التي قبلها لإجماع المسلمين على ذلك، وأنهما سورتان مستقلتان ، ولذلك اعتبرت اللام «لام التعجب، كأن يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ . . . ﴾ وقوله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ أي تفضل عليهم بالأمن والرخص»[٣]، فلا يعترض أحد لهم في سفرهم إذا قالوا نحن أهل حرم الله . . حتى أن الرجل ليصاب في الحي من أحياء العرب فيقال هو حرمي فيخلى عنه وعن ماله تعظيماً للحرم، وكان غيرهم إذا خرج أغير عليه، وقيل: أطعمهم من جوع. . كما يقال: كسوتك من بعد عري ويعني ما كانوا فيه من الجوع. . »[٤] وقال ابن عباس: «كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش»[٥].

ويفسر الطبري هذه الآية الكريمة فيقول عن عكرمة: «كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن يختلفون إلى هذه في الشتاء وإلى هذه في الصيف، ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ فأمرهم أن يقيموا بمكة»[٦] ، وروى أيضاً عن ابن حميد قال: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ : «كانوا تجاراً فعلم الله حبهم للشام»[٧]، وقال بعضهم: «امروا أن يألفوا عبادة رب مكة، كإلفهم الرحلتين»[٨].

وخلاصة القول فإن الإيلاف قد فتح على مكة أفاقاً اقتصادية جديدة فأكسبها مالاً وقوة.

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٦/٣٩٧.
(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠/١٩٩.
(٣) ابن كثير، تفسير، ٤/٨٥٨.
(٤) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠/ ٢٠٠،٢٠١. السيوطي، الدر المنثور ٦/٣٩٨.
(٥) الطبرسي، مجمع البيان، ٣٠/٢٠١.
(٦) الطبري، جامع البيان، ٣٠/٣٠٧.
(٧) م.ن.
(٨) م.ن. ٣٠/٣٠٨.

الرفادة والسقاية:

لقد كانت تأم مكة في كل سنة أعداد كبيرة من الحجاج والتجار، ومن أماكن مختلفة وما يحملوه من متاع لا يكفي طيلة فترة مكوثهم في مكة، إضافة إلى أن اعداداً منهم ليسوا في سعة من أمرهم. لذلك كان يتطلب من أهل مكة تقديم خدمات جدية لهذه الأعداد الكبيرة تشجيعاً لهم لحج البيت والتجارة في أسواقها، لأنها قوام الحياة الاقتصادية في مكة[١]. هذه الخدمات أو الأعمال التي اضطلعت بها قبيلة قريش والتي أطلق عليها (الدكتور العلي) تسمية الوظائف كانت تتطلب تنظيماً جيداً وأموالاً كبيرة[٢] نظراً لكون مكة لا زرع ولا ضرع ولا ماء فيها.

ومن هذه الوظائف التي لها صلة بالحياة الاقتصادية في مكة هي الرفادة[٣] السقاية.

فالرفادة هي: «خرج تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاماً للحجاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد»[٤].

لقد كانت ولاية البيت الحرام لخزاعة[٥]، وكان آخر من تولى منهم حليل بن حبشية وقد تزوج قصي بن كلاب ابنته حُبّى، فأنجبت له أولاده الأربعة، ولما هلك حليل رأى قصي أنه أولى بالكعبة، ويأمر مكة من خزاعة وبني بكر[٦]، فخاض قتالاً شديداً مع قومه من قريش وكنانة وقضاعة، ضد خزاعة، لكنهم تداعوا إلى الصلح فحكموا بعمر بن عوف بن كعب بن

---

(١) الأفغاني، أسواق العرب، ص١٢٣.

(٢) العلي، محاضرات، ص١١٢.

(٣) الرفد: بالكسرة: العطاء، والصلة، والرفد بالفتح: المصدر، ورفد يرفده رفداً: أعطاه، ورفده وأرفده: أعانه. ابن منظور، لسان، ٣/ ١٨١.
وانظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١/ ٣٠٦. الزمخشري، أساس البلاغة، ١/ ٣٥٤.

(٤) ابن هشام، السيرة ق١، ص١٣٠. وانظر الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١١٠، ١٩٥. ابن سعيد، نشوة، ١/ ٣٢٣.

(٥) استمرت خزاعة في ولاية البيت ٣٠٠ سنة. انظر المسعودي، مروج، ٢/ ٣٢. ابن كثير السيرة، ١/ ٦١.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١١٧. وانظر المسعودي، مروج، ٢/ ٣١، ٣٢.

عامر، فقضى لقصي[١]، وبذلك آلت له كل وظائف مكة: الحجابة والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله، ولهذا سمته قريش مجمعاً لها جمع من أمرها[٢].

فقال الشاعر حذافة الجمحي يمدحه:

قصي لعمرك كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر[٣]

لقد كانت الرفادة تتطلب أموالاً كثيرة كما ذكرت، لذلك لم يكن قصي ليستطيع أن يقوم بها لوحده، ففرضها على قريش، وكان يقول لهم: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج، حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه فيصنعه طعاماً للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في (الجاهلية) على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام، إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج»[٤]، وقد جمع من هذا مالاً كثيراً «فلما كان موسم الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزوراً، ونحر بمكة، فجعل حضيرة وجعل فيها الطعام من الخبز، واللحم وسقي الماء واللبن»[٥]، وذكر ابن هشام أن قصياً بعد أن كبر ورق عظمه فوض لأبيه عبد الدار أمر جميع هذه الوظائف[٦]، بينما يرى الأزرقي أن قصياً أعطى عبد الدار «السدانة وهي الحجابة ودار الندوة واللواء وأعطى

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) م.ن. ق١، ص١٢٥، ١٢٦، وانظر الأزرقي، أخبار مكة ١/١٠٧. ابن سعد، الطبقات، ١/ق١/٣٩. الطبري، تاريخ، ٢/٢٥٦- ٢٥٨. ابن سعيد، نشوة، ١/٣٢٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٢٠٧.

(٣) هذا البيت عند الأزرقي، أخبار مكة، ١/١٠٨ كالآتي:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعا

وعند الطبري، تاريخ، ق١، ص٢٥٦. ابن سعيد، نشوة، ١/٣٢٣. أبوكم قصي.

(٤) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٣٠. ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١، ص٤١. الأزرقي، أخبار مكة، ١/١٩٥. ابن كثير، السيرة، ١/٩٨.

(٥) اليعقوبي، تاريخ ٢/٢٣٩.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٢٩، ١٣٠.

عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة»[١]، والصحيح هو ما رواه ابن هشام، لأنه حين هلك عبد الدار حصل نزاع بين أبناء عبد مناف وأبناء عبد الدار، ودخل بني عبد مناف في حلف المطيبين، ودخل أبناء عبد الدار في حلف آخر فسموا الأحلاف، وانقسمت القبائل بين مؤيد لهذا ومؤيد لذلك، وقد اجمع الطرفان على الحرب لكنهم تداعوا للصلح[٢]، نتيجة لما تحلى به أهل مكة من مشورة ورجاحة عقل، وحب للاستقرار[٣] لما فيه مصلحة تجارتهم.

وقد آلت المفاوضات إلى أن السقاية والرفادة لبني عبد مناف، وكان عليهم عبد شمس ابن عبد مناف[٤]، لكنه كان «رجلاً سفاراً قلما يقيم بمكة، وكان مقل ذا ولد، وكان هاشم ابن عبد مناف موسراً» فآلت إليه السقاية والرفادة[٥].

وكان هاشم بن عبد مناف إذا حضر موسم الحج قال في قريش: «يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته، وهم ضيف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه»[٦].

وفضلاً عما كانت تقدمه قريش مما تملكه من مال، فقد كان هاشم بن عبد مناف يسهم بالجزء الأكبر من ذلك وقد جاء ذكر ذلك في قول ابن سعد: «كان أهل البيت يرسلون الشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم بن عبد مناف يخرج في كل عام كثيراً،كان قوم من قريش أهل يسار يترافدون كان كل إنسان يرسل بمائة مثقال هرقلية»[٧].

ويقوم بعد ذلك هاشم بصنع الطعام بما يجتمع عنده من ترافد قريش فكان «يشتري... دقيقاً يأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها فيجمع ذلك كله ثم يحزر به الدقيق

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١١٠.
(٢) انظر ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٣٢. ابن كثير، السيرة، ١/ ١٠٠، ١٠١.
(٣) العسلي، الشورى في مكة ص٧٦.
(٤) ابن هشام، السيرة، ، ق١، ص١٣١.
(٥) م.ن. ق ١، ص١٣٥.
(٦) ابن هشام،السيرة،ق١/ص١٣٦. وقارن ابن سعد، الطبقات، ١/ق١/ ص٤٥. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٤٢.
(٧) ابن سعد الطبقات ، ١/ ق١/ ص٤٥.

ويطعمه الحاج، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقاً وكعكاً فقدم به مكة في الموسم فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور وطبخه وجعله ثريداً وأطعم الناس وكانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشماً»[١]، لذلك قالا أنه أول من أطعم الثريد بمكة[٢].

وكان هشام يحث قريش على المساهمة في هذا العمل الجليل، وأن يفعلوا مثل ما فعل على أن يكون ما يخرجونه من طيب أموالهم فيقول لهم: « ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه درهم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت إلا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلماً ولم يقطع منه رحم ولم يغتصب»[٣].

ويبدأ إطعام الحجاج « قبل التروية بيوم بمكة وبمنى وجمع وعرفة وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر . . . إلى أن يصدروا من منى تنقطع الضيافة ويتفرق الناس لبلادهم»[٤].

لقد كانت قريش تفاخر كل أحياء العرب بما تقدمه للحجاج[٥]، لذلك كان أغنياء مكة يتسابقون لهذه المكرمة، منذ أن كانت خزاعة تلي أمر البيت، فقد ذكر السهيلي، أن عمران بن لحي رئيس خزاعة آنذاك كان «ربما ذبح أيام الحجيج عشرة ألاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويحيس لهم الحيس بالسمن والعسل ويلت لهم السويق»[٦].

وكان عبد الله بن جدعان « من مطعمي قريش كهاشم بن عبد مناف . . وكانت له جفان يأكل منها القائم والراكب»[٧]، وذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد كنت أستظل بظل

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١١١.
(٢) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص١٣٦.
(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٠٧.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١، ص٤٥.
(٥) الأفغاني، أسواق العرب، ص١٢٣.
(٦) ابن كثير، السيرة، ١/ ٦١، ٦٢.
(٧) الثعالبي، ثمار، ص٤٨٧. وانظر ابن حبيب، المنمق، ص٤٦٥.

جفنة عبد الله صكة عمي أي وقت الظهيرة»[١]، وقد ذكر ابن كثير أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن إلى أن سمع قول أمية بن الصلت يمدح بني الديان:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان

البر يلبك بالشهاد طعامهم لا ما يعللنا بنو جدعان

عند ذلك أرسل ابن جدعان إلى الشام ألفي بعير، جاءته محملة بالبر والشهد والسمن، وجعل منادياً ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة «أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان»[٢]، وقال ابن حبيب: أنه كان لابن جدعان «مناديان أحدهما بأسفل مكة والآخر بأعلى مكة وكان المناديان أبا سفيان بن عبد الأسد، وأبا قحافة، وكان أحدهما ينادي ألا من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبد الله بن جدعان»[٣]، لذلك قال أمية شعراً يمدحه:

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد[٤]

وفضلاً عن عبد الله بن جدعان، فقد ذكر ابن قتيبة أنه كانت لحاتم قدور عظام وكان ينحر كل يوم إذا أهل رجب[٥].

ومما يذكر أن وظيفة الرفادة قد آلت للمطلب من بعد هاشم[٦]، ثم لعبد المطلب[٧]، ثم للعباس بن عبد المطلب، فلم تزل بيده حتى قام الإسلام[٨].

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢١٨.

(٢) م.ن.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٤٦٥.

(٤) ابن قتيبة، المعاني، ص٣٨٠. وانظر ابن حبيب، المنمق، ص٤٦٥، ٤٦٦. الزبيري، نسب قريش، ص٢٩٢. ويورد الألوسي البيت الثاني، كالآتي:

اردح من الشيزي ملاء

الألوسي، بلوغ، ١/ ٨٨.

(٥) ابن قتيبة، الشعر، ص١٢٤.

(٦) ابن هشام، السيرة، ق١/ص١٣٧.

(٧) م.ن، ق١، ص١٤٢.

(٨) ابن هشام، السيرة، ق١، ص١٧٨، ١٧٩.

ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ قد أقر إطعام الحجاج، حيث يقول الأزرقي: «وكان النبي ﷺ قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر رضي الله عنه حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع، ثم عمل في حجة النبي ﷺ في حجة الوداع ثم أقام أبو بكر في خلافته ثم عمر رضي الله عنهم في خلافته ثم الخلفاء هلم جرا حتى الآن[١]».

ومهما يكن من أمر فإن الرفادة كان لها شأن كبير في تنشيط الحركة التجارية بشكل مباشر وغير مباشر.

أما السقاية فيه: « حياض من أدم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة ويسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحجاج»[٢].

وتأتي أهمية هذه الوظيفة من خلال كون الماء بمكة عزيزاً، وكان الناس يشربون الماء من آبار خارجة عن الحرم، ثم حفر قصي بئر بمكة يقال لها (العجول) وبئراً آخر عند الردم الأعلى[٣] وظلت سقاية الحجيج له فلا يشربون إلا من حياضه[٤].

تولى هاشم بن عبد مناف بعد ذلك سقاية الحجيج، فحفر بئري بذر وسجلة[٥]، وكان يضع الحياض في موضع زمزم ثم يسقي منها في الآبار التي بمكة[٦].

ثم آلت السقاية من بعده إلى عبد المطلب بن هاشم الذي حفر بئر زمزم[٧] التي «عفت على آبار مكة كلها»[٨]، « فشرف وساد وأطعم الطعام وسقى اللبن والعسل حتى علا اسمه وظهر فضله وأقرّت له قريش بالشرف»[٩]، ويقول الأزرقي: أنه كانت لعبد المطلب إبل

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٢.
(٢) م.ن ١/١١٠، وانظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ق١، ص٤١.
(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٢، ١١٣.
(٤) ابن كثير، السيرة، ١/٩٨.
(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٣.
(٦) اليعقوبي، تاريخ، ١/٢٤٢. ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص٤٥.
(٧) اليعقوبي، تاريخ، ١/٢٤٦.
(٨) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٣.
(٩) اليعقوبي، تاريخ ١/٢٤٦.

كثيرة فإذا كان الموسم جمعها ثم يسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج لأنه يكسر غلظ ماء زمزم»[١].

ثم قام بعده بأمر السقاية أبو طالب ثم آلت إلى أخيه العباس[٢].

وقال الأزرقي: « كان للعباس كرم بالطائف وكان يحمل زبيبه إليها وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم»[٣]. ولم تزل إليه حتى قام الإسلام فأقرها رسول الله ﷺ له[٤].

ثم آلت إلى ولده عبد الله ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثم إلى داود بن علي ثم إلى سليمان بن علي، ثم إلى عيسى بن علي، ثم أخذها المنصور[٥].

وقد عيب على عبد الله بن العباس استخدامه للزبيب بدل اللبن والعسل فقال ابن عباس: «إن رسول الله ﷺ أتى العباس وهو يسقي الناس فقال اسقني فدعا العباس بعساس من نبيذ فتناول رسول الله ﷺ عسا منها فشرب ثم قال : أحسنتم هكذا فاصنعوا قال ابن عباس: فما يسرني أن سقايتها جرت على لبناً وعسلاً»[٦].

ويبدو أن عادة خلط العسل باللبن عادة قديمة يذكر ابن حبيب أن سويد بن هرمي أول من سقى اللبن بالعسل بمكة، ثم سقى من بعده أبو أمية بن المغيرة المخزومي ووداعة بن ضبيرة[٧].

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١١٣، ١١٤.
(٢) ابن كثير، السيرة، ١/ ١٧٤.
(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١١٤.
(٤) ابن هشام، السيرة ق١، ص١٧٩.
(٥) ابن كثير، السيرة، ١/ ١٧٤.
(٦) ابن سعد، الطبقات، ٤/ق١، ص١٧.
(٧) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٦، ١٧٧.

ز- النشاط السياسي للأسواق في الإسلام ودعوة الرسول ﷺ للقبائل:

لقد تشرفت مواسم العرب بحضور رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه، حضرها مع عمومته أيام حرب الفجار وشهد بعض أيامها، كما أنه حضر جانباً من نشاط عكاظ الأدبي فسمع قس بن ساعدة، وهو يلقي خطبته المشهورة، لكن حضوره بعد أن أوحي إليه يختلف عما سبق، إنه الآن يمارس نشاطاً سياسياً ودينياً لتبليغ رسالة ربه.

فقد لاقى من قومه في مكة فراقاً وخلافاً كما يقول ابن إسحاق: «ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن أمن به»[١]، فكان من الطبيعي أن يفكر الرسول ﷺ في أن يعرض الدين الجديد على قبائل العرب علها تؤازره وتنصره، بعد أن اشتد عليه المشركون، لذلك طلب ﷺ من عمه العباس بن عبد المطلب أن يدله على منازل أحياء العرب كي يدعوهم إلى الله عز وجل ، يقول أبو نعيم عن محمد بن جعفر بسند عن الزهري: «لما اشتد المشركون على رسول الله ﷺ قال لعمه العباس بن عبد المطلب يا عم، إن الله عز وجل ناصر دينه بقوم يهون عليهم رغم قريش عزاً في ذات الله تعالى فامض بي إلى عكاظ فأرني منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عز وجل وأن يمنعوني ويؤوني حتى أبلغ عن الله عز وجل ما أرسلني به، قال: فقال العباس : يا ابن أخي امض إلى عكاظ فأنا ماضٍ معك حتى أدلك على منازل الأحياء. . .»[٢].

ومن الطبيعي أن يختار الرسول ﷺ هذا الوقت من السنة، حيث تأتي القبائل العربية من كل أوب تجتمع في هذا المكان لتقيم مواسمها وأسواقها، فيسهل عليه لقاؤها، ويقول ابن هشام عن ابن إسحاق: «كان الرسول ﷺ يعرض نفسه في المواسم -إذ كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم الله ما بعثه به»[٣].

ويبدو أن الرسول ﷺ كان ينتقل من سوق إلى آخر في كل سنة ليعرض عليهم نفسه،

---

(١) ابن هشام، السيرة، ق١، ص٤٢٢.

(٢) أبو نعيم، دلائل، ص٢٥٧.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ٤٢٢. وانظر الطبري، تاريخ ٢/ ٣٤٨. ابن كثير، السيرة، ٢/ ١٥٥.

ويقول ابن سعد عن محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قالوا: «أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله ويعرض نفسه بمجنة عكاظ ومنى أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه لهم الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم»[١].

ورافق الرسول ﷺ في هذه المهمة أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، يقول أبو نعيم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: « لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب. . .»[٢].

وقد لاقى ﷺ من القبائل العربية جفاء ورداً غليظاً، يقول البلاذري: «قالوا: إن رسول الله ﷺ يدعو القبائل في الموسم قبل الهجرة ويسألهم نصرته ومنعته فإن يلقى منهم وغلظاً ولقي من بني عامر بن صعصعة ما لم يلق من أحد من العرب»[٣]، ويروي لنا أبو نعيم عن عبد الله بن جعفر بسند عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثت قالت: قلت للنبي ﷺ: «هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد. قال: لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أشعر إلا وأنا بقرن الثعالب. . .»[٤]، بينما كان يرى من قبائل أخرى رداً حسناً، يقول أبو نعيم عن الواقدي: «جاء رسول الله ﷺ كنده في منازلهم بعكاظ فلم يأت حياً من العرب كان ألين منهم»[٥].

ويوضح ابن هشام باختصار ما كان يقول ﷺ حين كان يلتقي بالقبائل العربية فيقول عن ابن إسحاق عن حسين بن عبيد الله بن عبدالله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال: «أنا لغلام مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول:

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ١٤٦. وانظر اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٣٦.
(٢) أبو نعيم، دلائل، ص٢٣٧.
(٣) البلاذري، أنساب، ١/ ٢٣٧.
(٤) أبو نعيم، دلائل، ص٢٣٦.
(٥) البلاذري، أنساب، ١/ ٢٣٨. أبو نعيم، دلائل، ص٢٥٢.

يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، أن تخلعوا ما تعبدون من دونه من الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به»[١].

ومن القبائل التي سمتها المصادر أنه ﷺ عرض عليهم نفسه: « بنو عامر، وغسان وبنو فزارة، وبنو مرة وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر من هوازن، وثعلبة بن العكابه، وكنده، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذره، وقيس بن الخطيم، وأبوو الجيش أنس بن أبي رافع»[٢].

ولم يكتف الرسول ﷺ بالذهاب إلى هذه القبائل، بل أنه ﷺ كان «لا يسمع بقادم من يقدم من العرب»له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده »[٣].

ويروي المسعودي أن الرسول ﷺ استغل مجيء أناس من بني بكر بن وائل ممن كانوا يسكنون اليمامة والبحرين لنجدة بكر في موقعة ذي قار التي وقعت بينهم وبين الجيش الفارسي، يقول: «فوقف النبي ﷺ وهو يعرض نفسه على قبائل العرب ومعه أبو بكر فدعاهم إلى الإيمان بالله. . فوعدوا النبي ﷺ إن نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته، فدعا لهم النبي ﷺ بالنصر فلما بلغه ظهورهم على الأعاجم قال: «هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا»[٤].

ومن خلال العدد الكبير للقبائل التي كانت تأتي إلى الأسواق يتبين لنا حجم وصعوبة المهمة التي كان يضطلع بها الرسول ﷺ، لذلك فقد استغرقت هذه المهمة وقتاً طويلاً من عمر الدعوة الإسلامية، يقول ابن سعد: «قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم

(١) ابن هشام، السيرة، ق١/ ص٤٢٣. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٨، ابن كثير، السيرة، ٢/ ١٥٥.

(٢) أبو نعيم، دلائل، ص٢٤٨. انظر ابن هشام السيرة، ق١، ص٤٢٤، فما بعدها . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٩ فما بعدها. ابن كثير، السيرة، ٢/ ٥٧ فما بعدها.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٥١. وانظر ابن هشام، السيرة، ق١، ص٤٢٥.

(٤) المسعودي، التنبيه، ص٢٠٧، ٢٠٨.

كل عام يتبع الحاج في منازلهم في الموسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز»[١].

لقد ظل الرسول ﷺ هذه الحقبة كلها يدعو القبائل فلم يستجب له أحد «حتى أراد الله إظهار دينه ونصر نبيه وإنجاز ما وعده فساقه إلى هذا الحي من الأنصار لما أراد الله بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابو لله ولرسوله فأسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا وكانوا لله أطول الناس ألسنة وأحدهم سيوفاً . . . »[٢].

لقد كانت هذه الأحداث من أهم ما شهدته هذه الأسواق من أنشطة مختلفة يدلنا على ذلك ما رواه ابن إسحاق عن الزهري : « أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فأبوا عليه، فلما صدر الناس، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي ويدعوا إلى إن نمنعه ونقوم معه»[٣].

وبذلك تكون هذه الأسواق قد أضافت إلى أنشطتها المختلفة حدثاً من أعظم وأشرف ما شهدته طول الفترة المنصرمة من قيامها.

ز- أنشطة سياسية واجتماعية مختلفة:

لقد تنوعت وتعددت الأنشطة في الأسواق ، ولم يعد بالإمكان حصرها أو تبويبها، فكانت بعض العلاقات القبلية قائمة على العداء والحرب، ولم تكن لهم حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شؤونهم، ولما كانت العرب تجتمع في هذه الأسواق وتأتيها من كل أوب، لذلك غدت مكاناً لحل نزاعاتهم وممارسة أنشطتهم المختلفة، ففيها كانت «مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم»[٤]، وفيها كان فداء الأسرى قال التوحيدي: «ثم يرتحلون إلى عكاظ

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ق١، ص١٤٥ . وانظر ابن حجر، فتح الباري، ٢/ ٣٨٥.

(٢) ابن سعد الطبقات، ١/ق١، ص١٤٦ . قارن ابن هشام، السيرة، ق١،ص٤٢٨. فما بعدها. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٥٣. فما بعدها. المقدسي، البدء، ٤/ ١٦٤ فما بعدها.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٥٠. قارن، أبو نعيم، دلائل، ص٢٤٥ . ابن كثير، السيرة، ٢/ ١٥٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢٧٠.

وذي المجاز في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم بها فيتناشدون ويتحابون، ومن له أسير يسعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة من بني تميم»(١).

وكان للعكاظيين تقاليد معينة في اختيار فرسان العرب، وكانوا يجتمعون لهذا الغرض يقول أبو عبيدة: «اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة: ففارس بني تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة... وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بني شيبان بن ثعلبة.. ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم»(٢). ومعنى هذا أن العكاظيين كانوا يضعون مواصفات دقيقة لهذا الشأن. لما يترتب عليها من امتيازات، فمن يحوز على لقب فارس يصبح من أشراف العرب وساداتهم، فيحصل بذلك على جزء من الأرباح، والهدايا الثمينة التي كان الملوك يرضخونها لسادات العرب وأشرافها(٣).

ولم تذكر لنا المصادر المواصفات التي وضعت في عكاظ والتي بموجبها يتم اختيار الفرسان غير أننا نستطيع من قصة طريف العنبري التي فصلتها في موضع سابق(٤)، ولا بأس هنا أن أعيد ذكر أبيات الشعر التي قالها طريف حين شعر بتأمل حصيصة له، لأنها تبين لنا بصورة واضحة خصال الفارس ومزاياه يقول طريف:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة	بعثوا إلى عريفهم بتوسم
فتوسموني أنني أنا ذاكم	شاك سلاحي في الحوادث معلم
تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة	زغف ترد السيف وهو مثلم
ولكل بكرى إلى عداوة	وأبو ربيعة ثانيء ومحلم(٥)

(١) أبو حيان التوحيدي، الامتاع، ١/ ٨٥.
(٢) المبرد، الكامل، ١/ ٩٠، ٩١. ابن دريد، الاشتقاق، ص٣٥٨. الثعالبي، ثمار، ص٨٧.
(٣) انظر ص٧٦ من هذه الرسالة.
(٤) انظر ص١٥٤ من هذه الرسالة.
(٥) الجاحظ، البيان، ٣/ ١٠١. الأصمعي، الأصمعيات، ص ١٢٧، ١٢٨.

يتبين لنا من هذه الأبيات أن الشجاعة والإقدام والاعتزاز بالنفس من أهم مواصفات الفارس، كما يتضح لنا هذه المواصفات من خلال ما رواه الطبري عن الهيثم بن عدي بن أبي بكر الهذلي، في قصة الرجل الذي صادفه الخليفة المنصور وهو في مكة فأعجب بهيئته فدعاه ليسأله عن نسبه وبلاده فذكر له شعر لطريف فقال له المنصور: «ويحك وما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر؟ قال: كان أثقل العرب على عدوه وطأة، وأدركهم بثأر، وأيمنهم نقيبةوأعساهم قناة لمن سلم هضمه وأقراهم لضيفه، وأحوطهم من وراء جاره، اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقر له بهذه الخلال، غير أن أمرا أراد أن يقصر به، فقال: ما أنت ببعيد النجعة ولا قاصد الرمية فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألا يأكل لحم قنص يقتنصه، ولا ينزع كل عام من غزوة يبعد فيها أثره: قال: يا أخا بني تميم لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك..»[١].

لقد أصبحت شهرة فرسان العرب على كل لسان، حتى ضرب بهم المثل فقيل: «أفرس من عامر» و «أفرس من بسطام»[٢]، وبسبب فروسيتهم وشجاعتهم غلا فدائهم فقد وصل فداء حاجب بن زرارة وبسطام بن قيس إلى أربعمائة بعير[٣] وربما وصل إلى أكثر من ذلك[٤]، ذكر النويري أن الأشعث: «أسرته مدحج ففدى نفسه بثلاث آلاف بعير» لكن[٥] أبا عبيدة يذكر أن حاجب وبسطام على أنهما «أغلى عكاظي فداء»[٦]، فضرب ذلك مثلاً فقيل «أغلى فداء من حاجب» و«أغلى فداء من بسطام»[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ، ٨/ ٦٩- ٧٠.

(٢) الميداني، مجمع لأمثال، ٢/٣٣. الأصفهاني، الدرة، ١/ ٣٣٢، ٣٣٣. الزركلي، الأعلام، ٤/ ٢٠و٢٤.

(٣) العسكري، جمهرة، ٢/ ٨٨.
وقيل أن فداء حاجب الفي بعير، وفداء بسطام، ٤٠٠ ناقة و٣٠ فرساً. انظر الزمخشري، المستقصي ١/ ٢٦٣.

(٤) ذكر أبو عبيدة أن بسطاماً رد نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرساً فلم يكن عكاظي أغلى فداء منه) أبو عبيدة، النقائض، ص٣١٦.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ٢/ ١١٩.

(٦) الأصفهاني، الذرة، ١/ ٣٢٥. وانظر أبو عبيدة، النقائض، ١/ ٣١٦.

(٧) الأصفهاني، الدرة ١/ ٣٢١. وانظر الزمخشري، ١/ ٢٦٣. العسكري، جمهرة، ٢/ ٨٨.

وكانت هذه المفاداة غالباً ما تقع في عكاظ والأسواق الأخرى فقد ذكر ابن عبد ربه أنه «كان ذواب ابن ربيعة الأسدي أسيراً عند الربيع بن عتبة . . . حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل معلومة قاطعة عليها وتواعدا سوق عكاظ في الأشهر الحرم أن يأتي هذا بالإبل ويأتي هذا بالأسير»[١] .

إلى جانب هذا فقد كان العرب يعاقبون المسيء الذي يأتي بعمل أو جناية كبيرة أن يرفعوا له راية غدر، يشير المرزوقي إلى ذلك فيقول: « وكانوا إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة انطلق أحدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ، فيقوم رجل يخطب بذلك الغدر فيقول ألا إن فلانا ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تستنفعوا منه فإن اعتب، وإلا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم وهو قول الشماخ:

ذعرت به القطا ونفيت عنه ... مقام الذئب كالرجل اللعين »[٢]

ويبدو أن العكاظيين كانوا يهابون هذه الراية، فقد هدد بها عبدالله بن جدعان عامر بن قرة بن سلمة، ويروي ابن حبيب عن الهيثم وابن الكلبي بسند عن ابن عباس قال: «كانت ضباعة بنت عامر . . . تحت هوذة بن علي بن تمامة الحنفي فهلك عنها . . . فخطبها عبد الله ابن جدعان التيمي إلى أبيها فزوجه إياها، فأتاه ابن عم لها . . . فقال: زوجني ضباعة، قال:

قد زوجتها ابن جدعان، قال فحلف ابن عمها أن لا يصل إليها أبداً وليقتلنها دونه، قال: فكتب أبوها إلى ابن جدعان يذكر ذلك له فكتب إليه ابن جدعان: والله لئن فعلت هذا لأرفعن لك راية غدر بسوق عكاظ، فقال أبوها لابن عمها، قد جاء من الأمر ما قد ترى فلا بد من الوفاء لهذا الرجل فجهزها وحملها إليه . . . »[٣] .

وإلى جانب راية الغدر كانت ترفع راية الوفاء ذكر المرزوقي أن «عامر بن جوين بن عبد الرضي رفعت له كندة راية غدر في صنيعه بامرىء القيس بن حجر في وجهه إلى قيصر ورفعت له فزارة رايةوفاء في صنيعه بمنظور بن سيار حيث اقحمته ألسنة فصار بماله وأهله إلى الجبلين فأجاره ووفى له، وصار الناس بين حامد له وذام له فذهب مثلاً»[٤] .

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد، ٦/ ٨٦و ٨٧ .

(٢) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٧٠ .

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٤) المرزوقي، الأزمنة، ٢/ ١٧٠ .

ومن أراد أن يعظم مصيبة جاء أيضاً إلى عكاظ، فألقى شعراً، أبكى به أهل الموسم فهذه قصة هند بنت عتبة والخنساء يرويها الأصفهاني عن الواقدي قال: «لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فأقبلت عند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمة العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم، وقد سومت هودجها راية وأنها تقول: أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك، فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ. . . فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا فلما دنت منها قالت لها الخنساء: من أنت يا أخية قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فيم تعاظمينهم فقالت الخنساء: بأبي عمرو بن الشريد وصخر ومعاوية بن عمرو وبم تعظمينهم أنت؟ قالت: بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة بن شيبة بن ربيعة وأخي الوليد قالت الخنساء: أو سواء هم عندك»[1]، ثم ألقت كل واحدة شعراً تجيب به الأخرى.

ومن أراد أن يشتهر وتعرفه العرب لغاية يرجوها أكرم شاعراً كبيراً، كالأعشى ليمدحه في سوق عكاظ، فتصل أخباره إلى الناس فيحقق غايته، وكان الأعشى كما يقول الأصمعي: «ما مدح الأعشى أحداً إلا رفعه ولا هجاه إلا وضعه، فمن ذلك أنه مر باليمامة على المحلق بن جشم الكلبي وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنه فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمراً فلما أصبح قال له الأعشى ألك حاجة قال: تشيد بذكري فلعلي أشهر فتخطب بناتي فنهض الأعشى إلى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التي يمدح بها المحلق:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار بالبقاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى المحلق

فما أتت على المحلق سنة حتى زوج البنات على مئين ألوف»[2].

وهكذا فإن الأسواق كانت تؤدي أغراضاً كثيرة خلال تجمع الناس فيها في مواسمها المحددة.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٤/ ٣٤.

(٢) ابن نباته، سرح العيون، ص٢٥١، ٢٥٢. انظر الأصفهاني، الأغاني، ٨/ ٧٧.

المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب عربية مخطوطة:

١- الأصمعي - أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م) - **تاريخ نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب**، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (٦٣) تاريخ.

ثالثاً: كتب عربية مطبوعة:

٢- ابن آدم - يحيى القريشي (ت ٢٠٣ هـ/ ٨١٨م) - **الخراج** - تصحيح أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية، (القاهرة: ١٩٦٤م).

٣- ابن أبي الحديد - عز الدين أبي حامد عبد الحميد ابن هبة الله (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) -**شرح نهج البلاغة**، ٢- ٢٠ جزء مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩١١م).

٤- ابن الأثير - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) - **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ٧ أجزاء، تحقيق محمد إبراهيم البنا، (القاهرة: ١٩٧٣م).

٥- .... **الكامل في التاريخ**، ١٢ جزء، دار صادر - دار بيروت (بيروت: ١٩٦٥م).

٦-....... **اللباب في تهذيب الأنساب**، ٣ أجزاء، مطبعة السعادة، (القاهرة: ١٩٤٩م).

٧- ابن الأثير - مجد الدين المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) - **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ٥ أجزاء، المطبعة الخيرية (القاهرة: ١٩٠٤م).

٨- ابن الأخوة - محمد بن محمد بن أحمد القريشي (ت٧٢٩ هـ / ١٣٢٧م)- **معالم القربة في أحكام الحسبة**، عني بنقله وتصحيحه روبن ليسوي (كمبرج، ١٩٣٧م).

٩- ابن الأعرابي-محمد بن زياد (ت٣٢١هـ /٨٤٥م) -**أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، تحقيق نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٨٥م).

١٠- ابن أنس - مالك الأصبحي (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م) - **المدونة الكبرى** - ٤ أجزاء، المطبعة الخيرية (القاهرة: ١٩٠٦م).

١١-....... **الموطأ**، جزآن تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٥١م).

١٢- ابن بسام- محمد بن أحمد (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) -**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد: ١٩٦٨).

١٣- ابن بطوطة - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللوائي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) -**رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** - دار صادر - دار بيروت (بيروت: ١٩٦٤).

١٤- ابن بكار- أبو عبد الله الزبير (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) -**الأخبار الموفقيات**، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني (بغداد ١٩٧٢م).

١٥-...... **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، جزءان شرح وتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، (القاهرة: ١٩٦١م).

١٦- ابن البيطار- ضياء الدين عبد الله بن أحمد (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) - **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، ٤ أجزاء (القاهرة: ١٨٧٤م).

١٧- ابن تغرى بردى- جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) -**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٢ جزء، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة: ١٩٦٣م).

١٨- ابن تيمية- تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٦م) -**الحسبة في الإسلام**، تحقيق عبد العزيز رباح- مكتبة دار البيان، (دمشق: ١٩٦٧م).

١٩- ابن الجوزي- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧/ ١٢٠٠م) -**تاريخ عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه)، ط١، مطبعة السعادة (مصر: ١٩٢٤م).

٢٠- .... **تلبيس إبليس**، المطبعة المنيرية (القاهرة: ١٩٤٨م).

٢١- .... **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ٥ أجزاء، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند: ١٩٣٨م).

٢٢- ابن حبيب-أبو جعفر بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) - **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (منشور ضمن نوادر المخطوطات ج٦) مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة: ١٩٥٤م).

٢٣-...... **المحبر** -تحقيق الزة ليختن شتيتر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن (الهند: ١٩٤٢م).

٢٤- .... **المنمق في أخبار قريش**، اعتنى بتصحيحه خورشيد أحمد فارق، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن (الهند: ١٩٦٤م).

٢٥- ابن حجر- علي بن محمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) - **الإصابة في تمييز الصحابة**، ٤ أجزاء، دار العلوم الحديثة (القاهرة: ١٩١٠).

٢٦- .... **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ١٣جزء، المطبعة الخيرية (القاهرة: ١٩٠١-١٩٠٧).

٢٧- ابن حزم - أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) - **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٨٢).

٢٨- .... **المحلى**، تحقيق محمد منير الدمشقي، المطبعة المنيرية، (القاهرة: ١٩٣١م).

٢٩- ابن حوقل - أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) -**صورة الأرض**، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٣٩م).

٣٠- ابن خرداذبة - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) - **المسالك والممالك**، مطبعة بريل (ليدن: ١٩٨٩م).

٣١- ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) - **العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ٤ مجلدات، مؤسسة جمال للطباعة (بيروت: لات).

٣٢- . . . . **المقدمة**- (بيروت ، ١٩٨٦م).

٣٣- ابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ / ٩٣٣م) - **الاشتقاق**، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة: ١٩٥٨م).

٣٤- . . . . . . **جمهرة اللغة**، ٤أجزاء مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند: ١٩٢٦م).

٣٥- ابن الديبع - عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) - **تيسير الوصول إلى جامع الأصول في حديث الرسول ﷺ**، ٤ أجزاء، تحقيق محمد حامد الفقي، المطبعة السلفية (مصر: ١٩٢٧م).

٣٦- ابن رسته - أبو علي أحمد بن عمر (٣١٠هـ / ٩٢٢م) - **الاعلاق النفسية**، مطبعة بريل (ليدن: ١٨٩١م).

٣٧- ابن الزبير - القاضي أحمد بن علي بن إبراهيم الغساني (ت٥٦٣هـ / ١١٦٧م) - **الذخائر والتحف**، تحقيق محمد حميد الله (الكويت: ١٩٥٩م).

٣٨- ابن سعد - محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) - **الطبقات الكبرى**، ٨ أجزاء، مطبعة السخاوي (ليدن: ١٩٠٥ -١٩٢١م).

٣٩- ابن سعيد - علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) - **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، جزءان، (عمان: ١٩٨٢م).

٤٠- ابن سلام- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) - **الأموال**، تحقيق محمد حامد الفقي (القاهرة: ١٩٣٤م).

٤١- ابن سيد الناس - فتح الدين أبو الفتح محمد بن أبي بكر (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م) - **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، جزءان، مطبعة المقدسي ، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٣٧م).

٤٢- ابن سيده - أبو الحسن على بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) - **المحكم والمحيط الأعظم**، ٤ أجزاء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٥٨م).

٤٣- **المخصص**، ٦ مجلدات، المطبعة الأميرية (مصر: ١٨٩٨ -١٩٠٣م).

٤٤- ابن شبة - أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (٢٦٢هـ / ٨٧٥م) - **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق محمد شلتوت (مكة المكرمة: ١٩٧٩م).

٤٥- ابن صاعد - أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) - **طبقات الأمم**، نشرة وذيل حواشية الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: ١٩١٢م).

٤٦- ابن ظفر الصقلي - أبو هاشم شمس الدين محمد بن محمد (ت٥٦٥ أو٥٦٧هـ /١١٦٩م أو ١١٧١م) - **أبناء نجباء الأبناء**، تصحيح مصطفى القباني، مطبعة التقدم (مصر/ بلات).

٤٧- ابن عبد البر - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) - **الاستيعاب في أسماء الصحابة، على هامش كتاب الإصابة**.

٤٨-ابن عبد الحق - صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) - **مواصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق على محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٥٤م).

٤٩- ابن عبدربه- أحمد بن عبد الله الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)- **العقد الفريد**، ٨ أجزاء، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر للطباعة.

٥٠- ابن العربي - محي الدين (ت٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) - **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار**، جزءان، المطبعة العثمانية، (١٨٨٧م).

٥١- ابن عساكر - ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ / ١١٧٥م) -**تهذيب تاريخ ابن عساكر**، ٧أجزاء، تصحيح الشيخ عبد القادر أفندي، مطبعة روضة الشام (دمشق: ١٩١٣م).

٥٢- ابن الفقيه- أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) - **مختصر كتاب البلدان**، مطبعة بريل، (ليدن: ١٨٨٥م).

٥٣- ابن قتيبة- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) -**الأنواء (في مواسم العرب)**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، وحيدر آباد الدكن (الهند: ١٩٥٦م).

٥٤- . . . . **الشعر والشعراء**، مطبعة بريل، (ليدن/ ١٩٠٢م).

٥٥- . . . . **عيون الأخبار**، ٤أجزاء نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: ١٩٦٣-١٩٦٤م).

٥٦- . . . . **المعارف**، تحقيق محمد ثروت عكاشة، (القاهرة: ١٩٨٠م).

٥٧- . . . . **المعاني الكبير**، جزءان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن (الهند: ١٩٤٩).

٥٨- ابن كثير- عماد الدين إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) - **البداية والنهاية في التاريخ**، ١٤ جزء، مطبعة السعادة (مصر: ١٩٣٢م).

٥٩- . . . . . . **تفسير القرآن الكريم**، ٤أجزاء، دار الفكر، (عمان: بلات).

٦٠- . . . . . . **السيرة النبوية**، ٤أجزاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٦٤م).

٦١- ابن ماجة- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) - **سنن**، جزءان، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٥٢م).

٦٢- ابن المجاور- جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) -**صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**، تحقيق اوسكر لوفقرين، مطبعة بريل، (ليدن: ١٩٥١م).

٦٣- ابن منظور-جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) - **لسان العرب**، ١٥ جزء، دار صادر -دار بيروت (بيروت: ١٩٥٥-١٩٥٦م).

٦٤- ابن نباتة- جمال الدين محمد بن محمد (٧٦٨هـ /١٣٦٦م) - **سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٥٧م).

٦٥- ابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨- ٨٣٣م) - **السيرة النبوية**، مجلدان، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة منير (بغداد: ١٩٨٦م).

٦٦- أبو تمام - حبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ /٨٤٥م) - **ديوان الحماسة**، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد صالح (بغداد: ١٩٨٠م) رواية الجواليقي.

٦٧- أبو حيان - على بن محمد بن عباس التوحيدي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) - **البصائر والذخائر**، جزءان، تحقيق إبراهيم الكيلاني، مطبعة الإنشاء (دمشق: بلات).

٦٨- .... **الامتاع والمؤانسة**، ٣ أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٥٣م).

٦٩- أبو داود - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ / ٨٨٨م) - **سنن**، ٤ أجزاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة: ١٩٥٠م.

٧٠- أبو عبيد - معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ /٨٢٤م) - **نقائض جرير والفرزدق**، مطبعة بريل، (ليدن: ١٩٠٥).

٧١- أبو الفدا - إسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود بن محمد (ت٧٣٢هـ/ ١٧٣١م) - **تقويم البلدان**، تحقيق البارون ماك كوكين ديبسلان، مطبعة دار الطباعة السلطانية، (باريس: ١٨٤٠م).

٧٢- أبو نعيم - أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) - **دلائل النبوة**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن (الهند: ١٩٧٧م).

٧٣- .... **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ١٠أجزاء، مؤسسة جواد للطباعة (بيروت: ١٩٨٠م).

٧٤- أبو يعلى - محمد بن الحسين الغراء (ت٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) - **الأحكام السلطانية**، تصحيح محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٦٦م).

٧٥- .... **كتاب الآثار**، صححه وعلق عليه أبو الوفا، مطبعة الاستقامة، (القاهرة: ١٩٣٦م).

٧٦- .... **الخراج**، المطبعة السلفية (القاهرة: ١٩٣٣م).

٧٧- الإدريسي - عبد الله بن الحسين (٥٦٠هـ / ١١٤٤م) -**جزيرة العرب من نزهة المشتاق**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٧١م).

٧٨- الأزدي - علي بن ظافر، (ت٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) - **غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات**، تحقيق الدكتور: محمد زغلول سلام، والدكتور: مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف (القاهرة: بلات).

٧٩- الأزرقي- أبو الوليد محمد بن عبد الله أحمد (ت٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) - **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار**، جزءان، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة، (بيروت: ١٩٨٣م).

٨٠- الأصبهاني- حمزة بن الحسن (ت٣٥١هـ/ ٩٧١م)، **الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة**، جزءان، دائرة المعارف (القاهرة: ١٩٧١م).

٨١- الاصطخري - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤١هـ / ٩٥٢م) - **كتاب مسالك الممالك**، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني، مطابع دار القلم (القاهرة: ١٩٦١م).

٨٢- الأصفهاني - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ / ٩٦٧م) - **الأغاني**، ٢١ جزء، مؤسسة عز الدين للطباعة (بيروت، بلات).

٨٣- الأصفهاني - الحسن بن عبدالله (ت حوالي ٣١٠هـ / ٩٢٢م) - **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وصالح أحمد العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (الرياض: ١٩٦٨م).

٨٤- الأصمعي - أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت٢١٦هـ / ٨٣١م) - **اختيار الأصمعيات**، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف (القاهرة: ١٩٦٤م).

٨٥- ...... **تاريخ العرب قبل الإسلام**، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف (بغداد: ١٩٥٩م).

٨٦- الأنباري - أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ/ ١٠١١م) -**الزاهر في كلمات الناس**، جزءان، تحقيق حاتم صالح الضامن (بغداد: ١٩٧٩م).

٨٧- الباجي - سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث (ت٤٩٤هـ / ١١٠٠م) - **المنتقى شرح موطأ مالك**، ٧ أجزاء، مطبعة السعادة، (مصر: ١٩١٣م).

٨٨- البخاري - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م) - **الجامع الصحيح**، ٩ أجزاء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٢٦م).

٨٩- البكري- أبو عبيدالله عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٩٤م) - **سمط اللآلي**، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة: ١٩٣٦م).

٩٠- ...... **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة (القاهرة: ١٩٤٩م).

٩١- البلاذري- أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) - **أنساب الأشراف**،

جـ١- تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥٩م).

جـ٢- تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي (بيروت: ١٩٧٤م).

جـ٣- تحقيق د. عبد العزيز الدوري (بيروت : ١٩٧٨م).

جـ٤، ق٢- تحقيق ماكس سكلو سنجر، (القدس: ١٩٣٨م).

جـ٥- تحقيق جويتي (القدس: ١٩٣٦م).

٩٢- ..... **فتح البلدان**، ٣ أقسام، نشر ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة البيان العربي، (القاهرة: ١٩٥٧م).

٩٣- البيروني- أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) - **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، تحقيق اد واردسا خاو (لايبزك: ١٩٢٣م).

٩٤- .... **الجماهير في معرفة الجواهر**، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن (الهند: ١٩٣٦م).

٩٥- البيهقي - إبراهيم بن محمد (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) - **المحاسن والمساوىء**، جزءان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة: ١٩٦١م).

٩٦- الترمذي- أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) - **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي**، ٤ أجزاء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٣٧م).

٩٧- التنوخي- أبو علي المحسن بن علي بن محمد (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) - **المستجار من فعلات الأجواد**، تحقيق محمد كرد علي، مطبعة الترقي، (دمشق: ١٩٤٦م).

٩٨-**نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، ٨أجزاء تحقيق عبود الشالجي، دار صادر- دار بيروت (بيروت: ١٩٧٣م).

٩٩- الثعالبي- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٦٩هـ/ ١٠٣٨م) -**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، مطبعة الظاهر، (القاهرة: ١٩٠٨م).

١٠٠- .... **لباب الآداب**، جزءان، تحقيق الدكتور قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: ١٩٨٨م).

١٠١- .... **لطائف المعارف**، تحقيق إبراهيم الأنباري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، (مصر: ١٩٦٠م).

١٠٢- الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ - ٨٦٨م) - **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، مطبعة الكاتب المصري (القاهرة: ١٩٤٨م).

١٠٣- .... **البيان والتبيين**، ٤ أجزاء تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة المدني (القاهرة: ١٩٨٥م).

١٠٤- .... **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد (بلا: ١٩٦٦م).

١٠٥- .... **الحيوان**، ٧ أجزاء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٤٥م).

١٠٦- .... **رسائل**، ١-٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة: ١٩٦٥م).

أ - رسالة في فخر السودان على البيضان.

ب- رسالة في الجد والهزل.

جـ- رسالة في نفي التشبيه، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي داود.

د- رسالة الفتيا، إلى أبي عبدالله بن أحمد بن أبي داود.

١٠٧- .... **مجموعة رسائل، (رسالة في مدح التجار وذم عمل السلطان)**، مطبعة التقدم (القاهرة: ١٩٠٦م).

١٠٨- .... **رسائل (رسالة في فضل هاشم على عبد شمس)**، تحقيق حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية (القاهرة: ١٩٣٣م).

١٠٩- الجهشياري - أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ / ٩٤٢م) - **الوزراء والكتاب**، مصطفى السقا، وإبراهيم الأنباري، وعبد الحفيظ شلبي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، (القاهرة: ١٩٣٨م).

١١٠- الجوهري - إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ أو ٣٩٨هـ / ١٠٠٣ أو ١٠٠٧م)- **الصحاح في اللغة والعلوم**، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، (بيروت: ١٩٧٤م).

١١١- الحربي- إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) - **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة مطبعة المثنى (بيروت: ١٩٦٩م).

١١٢- الحلبي - علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ / ١٦٣٤) - **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية**، ٣ أجزاء، مطبعة الاستقامة (القاهرة: ١٩٦٢م).

١١٣- الحميري- أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) - **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: ١٩٨٤م).

١١٤- الخفاجي - شهاب الدين أحمد (ت ١٠٦٩ هـ/١٦٥٨م) - **شفاء الغليل في صافي كلام العرب من الدخيل**، المطبعة المنيرية (القاهرة: ١٨٦٥).

١١٥- الخوارزمي - محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٤٠٧هـ/ ١١٠٣م) - **مفاتيح العلوم**، المطبعة المنيرية، (القاهرة: ١٩٢٣م).

١١٦- الدمشقي - الشيخ أبو الفضل جعفر بن علي (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) - **الإشارة إلى محاسن التجارة**، مطبعة المؤيد (دمشق: ١٩٠٠م).

١١٧- الدميري- كمال الدين محمد بن موسى بن علي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) - **حياة الحيوان الكبرى**، جزءان، (مصر: ١٩٥٤م).

١١٨- الدياربكري- الشيخ حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م) - **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، جزءان المطبعة الوهبية، (القاهرة: ١٨٦٦م).

١١٩- الدينوري- أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) -**الأخبار الطوال**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة: ١٩٦٠م).

١٢٠-الراغب الأصبهاني- أبو القاسم حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) - **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ٤ أجزاء، منشرات دار مكتبة الحياة (بيرت: ١٩٦١م)

١٢١- الرام هرمزي- بزرك بن شهريار الناخذاة (ت في النصف من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) - **كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره**، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٠٨م). طبع على النسخة المطبوعة بمطبعة بريل (ليدن: ١٨٨٣م).

١٢٢- الزبيدي- محب الدين أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) -**تاج العروس في جواهر القاموس**، ١٠أجزاء، المطبعة الجبرية (مصر: ١٨٨٩م).

١٢٣- الزبيري- أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ./ ٨٥٠م) - **نسب قريش**، تحقيق، ليفي بروفسال، دار المعارف (القاهرة: ١٩٥٣).

١٢٤- الزرقاني -محمد بن عبدالباقي بن يوسف (ت١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) - **شرح موطأ الإمام مالك**، ٥ أجزاء تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي، الحلبي، القاهرة: (١٩٦٢م).

١٢٥-الزمخشري - أبو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ ١١٤٤م) - **أساس البلاغة**، جزءان، مطبعة دار الكتب (القاهرة: ١٩٧٢م).

١٢٦- .... **الأمكنة والمياه والجبال**، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون (بغداد: ١٩٦٨م).

١٢٧- .... **الفائق في غريب الحديث**، ٣ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٤٥م).

١٢٨- .... **المستقصى في أمثال العرب**، جزءان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند: ١٩٦٢م).

١٢٩- الزوزني - أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) - **شرح المعلقات السبع**، المطبعة التعاونية (دمشق: ١٩٦٣م)

١٣٠- السرخسي- شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩١م) - **المبسوط**، ٣٠ جزء، مطبعة السعادة، (القاهرة: ١٩٠٦م).

١٣١- السقطي - أبو عبدالله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي (توفي في نهاية ق ٥ أو أوائل ق٦هـ/ ق ١١- ١٢م) - **في آداب الحسبة**، تحقيق ليفي بروفسال، المطبعة الدولية، (باريس: ١٩٣١م).

١٣٢- السكري - أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) - **شرح أشعار الهذليين**، ٣ أجزاء، تحقيق عبدالستار أحمد فرج، مطبعة المدني، (القاهرة: بلا. ت).

١٣٣-السلمي- عرام بن الأصبغ (من رجال القرن الثالث هـ) - **أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه**، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة: ١٩٥٥م). (منشور ضمن نوادر المخطوطات المجموعة الثامنة).

١٣٤- السمعاني- أبو سعيد عبد الكريم بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) - **الأنساب**، ٦ أجزاء، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (الهند: ١٩٦٢م).

١٣٥- السمهودي - نور الدين علي بن أحمد المصري (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) - **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ٤ أجزاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٥٤- ١٩٥٥م).

١٣٦- السويدي -محمد أمين البغدادي (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) - **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، (بغداد: ١٩٧٣م).

١٣٧- السيرافي- أبو زيد الحسن (ت ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م) - **رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وأندونيسيا**، مطبعة دار الحديث، (بغداد: ١٩٦١م).

١٣٨- السيوطي - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) - **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة منير (بغداد: ١٩٨٧م).

١٣٩- ...... **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ٦ أجزاء، المطبعة الميمنية (القاهرة: ١٨٩٦م).

١٤٠- الشافعي - أبو عبدالله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) - **الأم**، ٨ أجزاء، تصحيح محمد زهدي النجار، دار المعرفة للطباعة، (بيروت: ١٩٧٣م).

١٤١- الشريشي- أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) - **شرح مقامات الحريري**، ٤ أجزاء، تحقيق محود أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المدني (القاهرة: بلا. ت).

١٤٢- الشيباني- محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) - **الاكتساب في الرزق المستطاب**، تحقيق محمود عرنوس، مطبعة الأنوار (القاهرة: ١٩٣٨م.

١٤٣- . . . . **كتاب الآثار**، مطبعة أنوار محمدي (لكهنو: ١٨٨٨م).

١٤٤- شيخ الربوة - شمس الدين أبي عبدالله محمد بن طالب الأنصاري الدمشقي (ت٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) -**كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، (لايبزك/ ١٩٢٣م).

١٤٥- الشيزري- عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) - **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشر الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٤٦م).

١٤٦- الصابي- أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم بن زهروب (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) - **تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٥٨م).

١٤٧- الضبي- المفضل بن محمد (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) - **أمثال العرب**، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي (بيروت: ١٩٨٣م).

١٤٨- . . . . **المفضليات**، دار المعارف (القاهرة: ١٩٦٤م).

١٤٩- الطبرسي- أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) - **مجمع البيان في تفسير القرآن**، ٣٠ جزء، دار الكتاب اللبناني (بيروت: ١٩٥٦م).

١٥٠- الطبري- محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) - **تاريخ الرسل والملوك**، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة: ١٩٦٦م).

١٥١- . . . . **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ٣٠ جزء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة: ١٩٥٤م).

١٥٢- الظاهري- غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) -**زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، المطبعة الجمهورية (باريس: ١٩٨٤م).

١٥٣- العسكري- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥/ ١٠٠٤م) - **الأوائل**، تحقيق محمد السيد الوكيل، مطبعة دار أمل (المغرب: بلا. ت).

١٥٤- . . . . **جمهرة الأمثال**، جزءان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة، (القاهرة: ١٩٦٤م).

١٥٥- العيني- بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) - **عمدة القارىء لشرح صحيح البخاري**، ٢٥ جزء، المطبعة المنيرية (القاهرة: ١٩٢٩م).

١٥٦- الغزالي- أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت٥٠٥هـ/١١١٣م) - **إحياء علوم الدين**، ٤أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة: بلا.ت).

١٥٧- الفراهيدي- الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م) - **كتاب العين**، ٨أجزاء، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، بغداد.

١٥٨- الفيروز آبادي- محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م) - **القاموس المحيط**، ٤ أجزاء المؤسسة العربية للطباعة (بيروت: بلات).

١٥٩- الفيومي- أحمد بن محمد بن علي المقري (ت٦٦٠هـ/١٣٦٨م) - **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المطبعة الكبرى الأميرية، (القاهرة: ١٩١٢م).

١٦٠- القالي-أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) -**كتاب ذيل الأمالي والنوادر**، (بولاق: ١٩٠٦م).

١٦١- قدامة- أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب (ت٣٢١هـ/ ٩٣٢م) -**نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، منشور في نهاية كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ليدن: ١٨٨٩م).

١٦٢- القزويني- زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/٢٨٣م) - **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر- دار بيروت (بيروت: ١٩٦٠م).

١٦٣- القلقشندي- أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) - **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ١٤جزء المطبعة الأميرية (القاهرة: ١٩١٣م- ١٩١٩م)

١٦٤- .... **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، مطبعة السعادة (القاهرة: ١٩٦٣م).

١٦٥- .... **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح (بغداد: ١٩٥٨م).

١٦٦- الكاساني- علاء الدين أبي بكر بن مسعود (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) -**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ٧أجزاء، مطبعة الجمالية، (القاهرة: ١٩٠٩-١٩١٠م).

١٦٧- الكلاعي- أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم ين حسان الحميري (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) - **كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء**، اعتنى بتصحيحه هنري ماسه، (الجزائر: ١٩٣١م).

١٦٨- الكندي- يعقوب بن إسحاق (ت نحو ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) - **رسالة في جواهر السيوف**، مطبعة جامعة بنجاب (لاهور: ١٩٦٢م).

١٦٩- الكوفي - أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م) - **الفاخر**، تحقيق شالس انبروس استوري، مطبعة بريل (لندن: ١٩١٥م).

١٧٠- الماوردي- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) - **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (القاهرة: ١٩٦٦م).

١٧١- .... **نصيحة الملوك**، دار الحرية للطباعة (بغداد: ١٩٨٦م).

١٧٢- المبرد- أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) - **الكامل في اللغة والأدب**، جزءان، مطبعة الاستقامة (القاهرة: بلا ت).

١٧٣- المجليدي- أحمد سعيد (نهاية القرن العاشر هـ/ السابع عشر م) - **التيسير في أحكام التسعير**،(الجزائر: ١٩٧١م).

١٧٤- المرزوقي- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) - **الأزمنة والأمكنة**، جزءان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الدكن (الهند: ١٩١٣م).

١٧٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) - **التنبيه والإشراف**، دار التراث، (بيروت: ١٩٦٨م).

١٧٦- ..... **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٤ أجزاء، دار الأندلس (بيروت: ١٩٨٤م).

١٧٧- مسلم- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) - **الجامع الصحيح**، ٥ أجزاء، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: بلا. ت).

١٧٨- المطرزي- ناصر بن عبد السيد بن علي (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) - **المغرب في ترتيب المعرب**، جزءان، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن (الهند: ١٩١٠م).

١٧٩- المقدسي - مطهر بن طاهر (ت ق ٤هـ/ ق ١٠ م) - **البدء والتاريخ**، ٦ أجزاء (باريس: ١٩٠٧= ١٩١٦م).

١٨٠- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت٢٨٧هـ/ ٩٩٧م) - **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢، مطبعة بريل (ليدن: ١٩٠٦م).

١٨١- المقريزي- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) - **إغاثة الأمة في كشف الغمة**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين محمد شيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة: ١٩٤٠م).

١٨٢- **شذور العقود في ذكر النقود القديمة والإسلامية**، صححه وعلق عليه السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف: ١٩٣٨م).

١٨٣- الميداني- أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م) - **مجمع الأمثال**، جزءان (القاهرة ١٩٣٤م).

١٨٤- النابغة - نابغة الذبياني - **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر: ١٩٨٥م).

١٨٥- النسائي- أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) - **سنن**، ٨ أجزاء، مطبعة الأزهر(القاهرة: ١٩٣٠م).

١٨٦- النووي- محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) - **شرح صحيح مسلم**، ١٨ جزء، عني بنشره محمود توفيق، مطبعة حجازي، (القاهرة: ١٩٣٠م).

١٨٧- النويري- شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) - **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ١٨ جزء، مطابع كوستاتسوماس وشركاه (القاهرة: بلا ت).

١٨٨- الهمداني- الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) - **الإكليل**، ٨ أجزاء، تحقيق الأب انستانس ماري الكرملي، مطبعة السريان الكاثولوكية (بغداد: ١٩٨٩م).

١٨٩- .... **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية (بغداد: ١٩٨٩م).

١٩٠- الواقدي- محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) - **كتاب المغازي**، ٣ أجزاء، دار المعارف (مصر: ١٩٦٤م).

١٩١- وكيع- محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) - **أخبار القضاة** ، ٣ أجزاء، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة: ١٩٤٧-١٩٥٠م).

١٩٢- ياقوت- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) - **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، دار صادر -دار بيروت (بيروت: ١٩٧٧م).

١٩٣- اليعقوبي- أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) - **تاريخ اليعقوبي**، ٣ أجزاء، دار صادر- دار بيروت (بيروت: ١٩٦٠م).

١٩٤- .... **كتاب البلدان**، المطبعة الحيدرية (النجف: ١٩٣٩م).

١٩٥- .... **مشاكلة الناس لزمانهم**، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد (بيروت: ١٩٦٢م).

رابعاً: كتب عربية حديثة:

١٩٦- أبو العلا- محمود طه - **جغرافية شبه جزيرة العرب**، جزءان، مطابع سجل العرب (القاهرة: ١٩٧٢م) ارسلان- الأمير شكيب.

١٩٧- **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان، مطبعة المنار (مصر: ١٩٣١م).

١٩٨- الأفغاني- سعيد - **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، (دمشق: ١٩٦٠م).

١٩٩- الألوسي- محمود شكري الألوسي البغدادي - **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، ٣ أجزاء، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، (مصر: بلا. ت).

٢٠٠- .... **تاريخ نجد**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مطبعة السلفية (القاهرة: ١٩٢٨م).

٢٠١- بافقيه- محمد عبد القادر- **تاريخ اليمن القديم**، مطبعة الحرية (بيروت: ١٩٧٢م).

٢٠٢- باوزير- سعيد عوض - **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة خليفة للطباعة (عدن: ١٩٦٦م).

٢٠٣- البستاني- بطرس -**محيط المحيط**، نسخة طبق الأصل عن طبعة (بيروت: ١٨٧٠م).

٢٠٤- البكر- منذر عبد الكريم - **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الجنوبية في اليمن**، مطبعة جامعة البصرة (البصرة: ١٩٨٠م).

٢٠٥- بيربي- جان جاك - **جزيرة العرب**، تعريب نجدة هاجر، سعيد القز، المكتب التجاري للطباعة، (بيروت: ١٩٦٠م).

٢٠٦- جاد المولى- محمد أحمد - **أيام العرب في الجاهلية**، (بيروت: بلا. ت).

٢٠٧-الجبوري- منذر - **أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي**، دار الحرية للطباعة، (بغداد: ١٩٧٤م).

٢٠٨- جواد علي - (الدكتور) - **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ٨ أجزاء، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد: ١٩٦٠م).

٢٠٩- .... **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ١٠ أجزاء، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٨م).

٢١٠- حتي- فليب (الدكتور) - **تاريخ العرب مطول**، دار الكشاف (بيروت: ١٩٥٢م).

٢١١- الحديثي- نزار عبداللطيف (الدكتور) - **أهل اليمن في صدر الإسلام**، (بيروت: بلا. ت).

٢١٢- حسونة- محمد أحمد - **الجغرافية التاريخية الإسلامية**، مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة: بلا ت).

٢١٣- الحسيني- محمد باقر (الدكتور) - **النقود العربية والإسلامية، الموسوعة الصغيرة** ١٦٨، دار الحرية للطباعة (بغداد: ١٩٨٥م).

٢١٤ - حلاق- حسان علي - **تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي**، مطابع دار الكتاب اللبناني (بيروت: ١٩٧٨).

٢١٥- حوراني - جورج فضلو - **العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى**، ترجمة د. يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي (القاهرة: بلا. ت).

٢١٦- خليف- يوسف(الدكتور) - **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، (مصر: ١٩٥٩م).

٢١٧- خليل- محسن - **في الفكرالاقتصادي العربي الإسلامي**، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: ١٩٨٦م).

٢١٨- خياط- يوسف - **معجم المصطلحات العلمية والفنية**، دار لسان العرب (بيروت: بلا. ت).

٢١٩- الدباغ- مصطفى مراد - **جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام**، جزءان، مطابع دار الصحافة، (بيروت: ١٩٦٣م).

٢٢٠- دفتر- ناهض عبدالرزاق (الدكتور) - **المسكوكات**، مطابع دار السياسة (الكويت: بلا. ت).

٢٢١- الدوري- عبد العزيز (الدكتور) -**مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، مطبعة المعارف (بغداد: ١٩٤٩م).

٢٢٢- الرشيد- ناصر بن سعيد - **سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطاته وموقعه**، (القاهرة: ١٩٧٧م).

٢٢٣- الزاوي- الطاهر أحمد - **ترتيب القاموس المحيط**، ٤ أجزاء، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة: بلا.ت).

٢٢٤- الزركلي- خير الدين - **الأعلام**، ١١جزء، (بيروت: ١٩٦٩م).

٢٢٥- **ما رأيت وما سمعت**، المطبعة العربية، (مصر: ١٩٢٣م).

٢٢٦- سالم- السيد عبد العزيز (الدكتور) - **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، (بيروت: ١٩٧١).

٢٢٧- السعدي- أمل (الدكتورة) - **الصيرفة والجهبذة في العراق**، رسالة د. غير مطبوعة (بغداد: ١٩٨٥م).

٢٢٨- الشريف- أحمد إبراهيم -**مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ**، مطبعة مخيمر (مصر: بلا. ت).

٢٢٩- الشهاوي- إبراهيم دسوقي - **الحسبة في الإسلام**، مطبعة المدني (القاهرة: ١٩٦٢م).

٢٣٠- الصيني- بدر الدين حي - **العلاقات بين العرب والصين**، (مصر: ١٩٥٠م).

٢٣١- العاني- عبد الرحمن عبد الكريم (الدكتور)- **عمان في العصور الإسلامية الأولى**، دار الحرية للطباعة (بغداد: ١٩٧٧م).

٢٣٢- عزام- عبدالوهاب - **مهد العرب**، دار المعارف للطباعة والنشر، (مصر: ١٩٤٦م).

٢٣٣- . . . . **موقع عكاظ**، دار المعارف مصر، (مصر: بلا ت).

٢٣٤- العلي - صالح أحمد (الدكتور) - **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٦٩م).

٢٣٥- . . . . . . **خطط البصرة ومنطقتها** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: ١٩٦٨م).

٢٣٦- . . . . . . **محاضرات في تاريخ العرب**، مطبعة الارشاد، (بغداد: ١٩٦٨م).

٢٣٧- علي- محمد كرد علي - **رسائل البلغاء**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر: ١٩٦٣م).

٢٣٨- العمران- جاسم محمد كاظم - **مواسم العرب وأسواقها وأثرها في الأدب العربي قبل الإسلام**، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة بغداد، غير مطبوعة (بغداد : ١٩٨٩م).

٢٣٩- غنيمة- يوسف رزق الله - **الحيرة المدينة والمملكة العربية** (بلا . ت).

٢٤٠- فؤاد حمزة - **قلب جزيرة العرب**، الناشر مكتبة النصر الحديثة (الرياض ١٩٦٨م).

٢٤١- فهمي - عبدالرحمن (الدكتور) - **صنج السكة في فجر الإسلام**، مطبعة دار الكتب (القاهرة: ١٩٥٧م).

٢٤٢- الكبيسي- حمدان عبدالمجيد (الدكتور) - **أسواق العرب التجارية**، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: ١٩٨٩م).

٢٤٣- . . . . . . **أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية**، (بغداد: ١٩٨٨م).

٢٤٤- الكتاني -عبد الحي - **نظام الحكومة المسمى التراتيب الإدراية**، دار الكتاب العربي (بيروت: بلا .ت) كحالة- عمر رضا.

٢٤٥- . . . . . . **جغرافية شبه جزيرة العرب**، مطبعة الفجالة الجديدة (القاهرة: ١٩٦٤م).

٢٤٦- الكرملي- الأب انساتس ماري الكرملي البغدادي - **النقود العربية وعلم النهيات**، (القاهرة: ١٩٣٩ م).

٢٤٧- كستر - ج - **الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية** ، ترجمة يحيى الجبوري، مطبعة جامعة بغداد (بغداد : ١٩٧٦م).

٢٤٨- كمال- أحمد عادل - **الطريق إلى المدائن**، دار النفائس (بيروت:١٩٧٧م).

٢٤٩- لوبون-غوستاف - **حضارة العرب**، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر مطبعة البابي الحلبي، (مصر: ١٩٤٥م).

٢٥٠- موسل - **شمال الحجاز**، نقله إلى العربية د. عبدالمحسن الحسين ،مطابع رمسيس، اسكندرية (مصر: ١٩٥٢م).

٢٥١- النجدي- محمد بن عبدالله بن بليهد - **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، (القاهرة: ١٩٥١م).

٢٥٢- هنتس- فالتر - **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة عن الألمانية د. كامل العسلي. (عمان: ١٩٧٠م).

٢٥٣- هيكل - محمد حسين - **في منزل الوحي**، مطبعة دار الكتب، (القاهرة: ١٩٣٧م).

٢٥٤- وات- مونتكمري - محمد في مكة، المطبعة العصرية (بيروت: بلا. ت).

٢٥٥-وهبة- حافظ - **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (القاهرة: ١٩٦٧م).

٢٥٦- ياسين- نجمان - **تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين**، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (الموصل: ١٩٨٨م).

٢٥٧- يحيى- لطفي عبدالوهاب (الدكتور) - **العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٧٨م).

خامساً: كتب أجنبية:

٢٥٨- Delacy Oleary, D.D. Arabia before Mohammed, London, 1927.

سادساً- الدوريات: -

٢٥٩- الجاسر - حمد - **موقع سوق عكاظ**، مجلة المجمع العلمي العربي، ج٣، المجلد ٢٦، (دمشق: ١٩٥١م).

٢٦٠- حويش- عمر حامد - **أسواق العرب وأثرها في اللغة العربية**، مجلة كلية الآداب، العدد ٢١ (بغداد: ١٩٧٧م).

٢٦١- العسلي- خالد صالح (الدكتور) - **التربية العربية قبل الإسلام**، مجلة التربية العربية الإسلامية ج١ (عمان: ١٩٨٩م).

٢٦٢- **الشورى في مكة قبل الإسلام**، مجلة الحضارة الإسلامية، ج٥، مؤسسة آل البيت (عمان: ١٩٨٧م).

٢٦٣- العلي- صالح أحمد (الدكتور) - **الأنسجة في القرنين الأول والثاني**، مجلة الأبحاث، ج٤، . (بيروت: ١٩٦١م).

٢٦٤- **الجاحظ وكتابه البلدان**، مجلة كلية الآداب، عدد ١٢، (بغداد: ١٩٦٩م).

٢٦٥- **تحديد الحجاز عند المستقدمين**، مجلة العرب، ج١، السنة الثالثة (الرياض: ١٩٦٨م).

٢٦٦- **طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب**، مجلة العرب، ج ١١ السنة الثانية، (الرياض: ١٩٦٨م).



في شبه الجزيرة العربية







دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري

هاتف 4621938 فاكس 4654761 - ص.ب 183520 عمّان 11118 الأردن

E-mail:daralfiker@joinnet.com.jo